الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر

قسنطينة.

رقم التسجيل : .....

الرقم التسلسلي : .....

كلية أصـــــــول الدين

قسـم الكتـــاب والسنة.

تخصص التفسير وعلوم القرآن

المبهم في القرآن الكريم، أساليبه، و آثاره التفسيرية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التفسير و علوم القرآن

إعداد الطالب:

- عـــادل شـواش

إشراف :

أ.د/ رمضان يخلف

لجنة المناقشة:

الاسم و اللقب	الصفة	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية
د/الجمعي شبايكي	رئيسًا	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
د/رمضان يخلف	مقررًا	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
د/ذهبية بورويس	عضوًا	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

نوقشت يوم: 5 شعبان 1433هـ الموافق لـ: 25 جوان 2012 م

السنة الجامعية : 2011/ 2012

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إهداء

أهدي هذه الرسالة إلى أعزّ من أملك في الدّنيا والديّ الحبيبين – حفظهما الله– اللذين كانا نعم الوالدان طيلة مسيرتي الدّراسية واليومية.

كما أهديها إلى جميع أشقّائي الأعزّاء: عصام، سمير، سميرة، ميمونة، عبير.

كما أهدي هذا العمل إلى جميع أفراد عائلتي من أخوال وأعمام، أخص منهم جدّتي فطيمة الزهرة، وخالي يزيد.

كما أهديها إلى جميع أصدقائي: رابح بلخير، إبراهيم موفق، فوزي جبار، محمد رمضاني، عمر بن ماضي، اليمين جرجار، حمزة بري، حسان بوعجاجة، بلال ني، يوسف تومي، عيسى ركاب،...إلخ.

وإلى كلّ مسلم محب للعلم وأهله.

مقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله صلّى الله عليه وسلّم، أمّا بعد:

لقد شرّفَ ربُّ العزّة سبحانه أمّةَ الإسلام بأعظم كتاب أنزلَهُ هُو القرآن الكريم، وكَتَبَ العِزَّةَ والرِّفعةَ لمن تَمَسَّكَ به وعَمِلَ بشرَائِعِهِ، وَالذِّلَّةَ والهَوَانَ لمن أَعْرَضَ عنه وصَدَّ عن سَبِيلِهِ، فكان الإيمانُ به والتّصديقُ بأخبَارِهِ، والإيقانُ بصدْقِ عُلُومِهِ وحُسْنِهَا على الإطْلاقِ فَارِقًا بينَ أَهلِ الإيمَانِ وأهلِ الكُفرَانِ.

ولقَدْ أَدْرَكَ عُلَمَاءُ الإسلامِ عُلُوَّ شَأْنِ هذا الكِتَاب، وَسُمُوَّ قَدْرِهِ على سَائِرِ الكُتُبِ، وشَرَفَ التَّعَلُّقِ بِهِ، وفَضْلَ دِرَاسَةِ عُلومِهِ مُنذُ نُزُولِهِ إلى يومِ النَّاسِ هذا، فاشتغَلُوا بعلومِهِ اشتغالاً عظيمًا، واعْتَنَوْا بها عنايةً فائقةً، فَصَرَفُوا لذلك أَنفَسَ أَوقَاتِهِم، وَأَعظَمَ طَاقَاتِهِم.

هذا؛ وإنَّ مِنْ أَجَلِّ عُلُومِ القُرآنِ وأَنفَسِهَا التي حَظِيَتْ بنَصِيبٍ من اشتغَالِهم وعنايتهم بها؛ علمُ مبهماتِ القرآنِ، لأنَّ به تُدركُ بعض المعاني، ويُدفَعُ بعض الإشكال الذي قد يردُ عليها، فمِنهم من أَفردَهُ بمصنَّفٍ مُستَقِلٍّ تَنَاوَلَ فيه جَوَانِبَ مِنْهُ، ومِنهم من تكَلَّمَ عنهُ عَرَضًا أو إجمالاً، ومنهم من تعرَّضَ لبعضِ أُصُولِهِ وتطبيقاتها في ثنايا تفاسيرهم.

غير أنّ نظرةً فاحصةً في تلك الجهود الصّادقة، تُوقفُ على حقيقةٍ قائدةٍ إلى القناعةِ بأنَّ تلك الجهود – على فائدَتِهَا وجَلِيلِ نَفْعِهَا- لَمْ تَكُن جامعةً مُستوعِبَةً لتفاصيل هذا العلم، وَلَمْ تُعْنَ بالجواب عن إشكالات مطروحةٍ صارت الحاجةُ إلى الإجابةِ عنها مُلحَّةً عند كَثِيرِينَ، لذا كان بحثُ هذا الموضوع ودراسةُ تفاصيله دراسةً علميّةً منهجيّةً؛ تَجمعُ شَتَاتَهُ، وتُبرِزُ أَثَرَهُ في أَعمَالِ المفسِّرين؛ أَمرًا من الأهمّية بمكان.

من أجل ذلك؛ كانت رغبتي في البحث في هذا النوع من علوم القرآن ملحّة؛ بحثًا يستقصي جوانبه، ويُبرزُ تفاصيله، ويُعرّفُ بأساليبه، ويكشف عن آثاره التفسيرية، غير مُعرِضٍ عمّا اشتملت عليه مدوّنات علوم القرآن من حديثٍ حوله، ولا مستنكفٍ عن جهودٍ حديثة مبذولة.

ورأيتُ بعد نظرٍ في مادّة البحث واستشارة أساتذة كرام أن أتناوله تحت عنوان:

"المبهم في القرآن الكريم، أساليبه، وآثاره التفسيرية"،

ويغلب على ظنّي أنّ هذا العنوان دالّ على حدود البحث وفصوله ومقاصده.

ثالثًا: أهمّية الموضوع وأسباب اختياره:

يظهر هذان الجانبان في نقاطٍ عدة أهمّـــها:

أوّلاً: رغبتي في البحث في نوع من أنواع علوم القرآن متصلٍ بالتفسير؛ فهي جمعٌ بين مزيّتين، وسعيٌ في تحصيل فضيلتين، ونهلٌ من علمين شريفين وخدمة لهما.

ثانيًا: شرف علم المبهمات، إذ شرفه بشرف ما يتعلق به وهو كتاب الله عزّ وجل، ولا شيء أشرف وأجلّ ممّا تكلّم به سبحانه وتعالى.

ثالثًا: الرغبة في جمع شتات هذا العلم، ودراسة بعض جوانبه التي لم تأخذ حقّها وافيًا في دراسات أخرى، وإبراز مواقف العلماء فيها.

رابعًا: أنّ البحث في مبهمات القرآن ودراستها من خلال مضانّها عملٌ في لون من ألوان التّفسير بمفهومه العامّ.

خامسًا: كون علم المبهمات يرتبط ببعض علوم القرآن الأخرى كعلم أسباب النّـــزول، وقصص القرآن وغيرهما، لذا وجب إظهار وجوه هذه الصّلات.

سادسًا: تضارب أقوال العلماء في أثر تعيين مبهمات القرآن على التّفسير، لذا كان البحث في المسألة وتحرير القول فيها يستوجب وجود دراسة مقرونة بالنماذج التّطبيقية تبيّن الأثر الحقيقيّ لعلم المبهمات على التّفسير، نظرًا فيما تقرّر في كتب علوم القرآن تارة، واستفادة من أعمال المفسرين تارة أخرى.

خامسًا: إشكالية البحث:

إشكالية كلّ موضوع هي منطلقه وأساسه، وكلّما كان تحديدها دقيقًا أو قريبًا من الدقة؛ كان لذلك أعظم الأثر في البناء المحكم للبحث، وأنتج فوائده، وأوصل إلى مقاصده وأهدافه.

وإنّ إشكالية هذا الموضوع تكمن في البحث عن سرِّ ورود كثير من المسمَّيات المبهمة في القرآن الكريم، وذلك أنّ الله تعالى قد وصف كتابه بالميسّر فقال﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن

﴿ مُّدَّكِرٍ ﴾ القمر: 17، ووصفه بالواضح المبيّن فقال ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ الفرقان: 33، وهنا يتساءل القارئ للقرآن أو الباحث في علومه: كيف يمكن أن يكون هذا القرآن ميسّرًا ومبيّنًا من جهة، وهو متضمن لهذه المبهمات وما يلفّها من غموض من جهة أخرى؟ علمًا أنّ بقاء هذه المبهمات في القرآن على حالها ودون بيانٍ لكثير منها من قِبَلِ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قد انعكست بوضوح على أعمال المفسّرين لاحقًا وظهرت آثارها في أكثر من جانب، فما هي يا ترى هذه الآثار؟.

وثمّة تساؤلات أخرى تتصل بإشكالية البحث الكبرى، تتمثل في التساؤل عن مفهوم المبهم، وأهمّيّته والمؤلّفات فيه.

هذا ما سيحاول البحث الإجابة عنه، آملين أن نوفّق في بلوغ المرام، والله هو الهادي إلى سواء السّبيل.

سادسًا: أهداف البحث:

يسمو هذا البحث إلى بلوغ جملة من المقاصد والأهداف، أذكرها فيما يأتي:

أوّلاً: تحديد مفهوم المبهم بدقّة وبيان قيمة وأهمية علم المبهمات.

ثانيًا : التعريف بأسباب ورود المبهم في القرآن الكريم وأساليبه التي ورد بها.

ثالثًا: إبراز جهود العلماء في العناية بهذا العلم، من خلال التعريف بها، والتنويه بقيمتها، وتصنيفيها وفق ما يقرّب مادّتها ويصوّر مناهجها.

رابعًا: التعريف بالعلاقات الرابطة بين علم المبهمات وبعض علوم القرآن، وشرح وجوهها بما يفيد انبناء علم المبهمات أو بعض جوانبه عليها، كأسباب النّزول وقصص القرآن والإسرائيليات.

خامسا: إبراز الآثار التّفسيرية المترتبة على تعيين المبهم في القرآن وشرحها وبيانها، بما يؤدّي إلى إزالة الغموض عن بعض قضاياه، وحلّ إشكالات واردة في بعض الكتابات في علوم القرآن.

سابعًا: الدراسات السّابقة:

لقد اطّلعت على جملة من فهارس الرسائل الجامعية، ككشّاف الدراسات القرآنية في الرسائل الجامعية للدكتور عبد الله محمّد الجيّوسي -رحمه الله-، وكشّاف المؤلّف لجامعة الأزهر، ودليل الرسائل الماجستير والدكتوراه التي نوقشت في كلية دار العلوم من إعداد الباحثة فاطمة عبّاس عبد الرحمان مها، والدليل الإلكتروني في البحوث الشّرعية في المجلات العلمية المحكمة من إعداد

الدكتور أحمد بن محمّد الخليل، والدكتور عبد العزيز بن عبد الله النّملة، و مجلّة البحوث الإسلامية التي تصدر بالرياض، ومجلّة جامعة أمّ القرى، ومجلات جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.

ومن خلال ما اطّلعت عليه ممّا سبق ذكره، رأيت مجموعة من الدّراسات حول علم المبهمات، ومن أجل تصوير مادتها وتقريب ما فيها قسمتها إلى قسمين وذلك على النّحو الآتي:

القسم الأوّل: دراسات موضوعية عن علم المبهمات.

وهي بحوث أكاديميّة تناولت بالدّراسة – فيما يظهر من عناوينها – علم المبهمات كموضوع، أو بعض أنواع المبهمات، إلاّ أنّني لم أتمكن من الاطّلاع على أيٍّ منها، رغم بحثي في المكتبات والشبكة العنكبوتية، وسؤال المتخصّصين، والله أعلم، وهي كالآتي:

1- مبهمات الأماكن الواردة في القرآن الكريم – دراسة وتحليل-، لمحمود مصطفى الشّنقيطيّ، كلية أصول الدّين جامعة الأزهر، هكذا ذُكر في كشاف الرسائل الجامعية العلمية (الجزء الأول) بجامعة الأزهر، فإنّه لم يفد بباقي المعلومات عن البحث.

2 – مبهمات الأماكن الواردة في القرآن الكريم – دراسة موضوعية ونقدية وتفصيلية مقارنة بكتابي السُّهيليّ والسّيوطيّ- للباحث الشيخ سليمان شحدة حماد، وهي رسالة دكتوراه، بكلية القرآن الكريم- السودان.

3- الأعداد المبهمة في القرآن الكريم، لحامد وداد أحمد، وهي رسالة ماجستير، بكلية القرآن الكريم- السّودان- سنة 2000م.

4 – المبهمات في القرآن الكريم، للباحث عباس محمد عبطان، وهي رسالة ماجستير، بجامعة بغداد للعلوم الإسلامية- العراق.

5- المبهم وأثره في التّفسير، للباحث الدكتور صديق أحمد مالك علي، جامعة أمّ القرى هكذا ورد خبره وعنوان في موقع جامعة أمّ القرى ، وهو –والله أعلم- عبارة عن مقال منشور في مجلة الجامعة، لكن لم أتمكّن من الاطّلاع عليه، كما أني راسلتُ الدكتور عبر بريده الإلكترونيّ مرّات عدّة أملاً في الحصول عليه، و لم أتلقّ جوابًا.

القسم الثاني: تحقيقات لأمّهات كتب المبهمات:

وهي عبارة عن دراسات قامت بتحقيق أمّهات الكتب في علم المبهمات، ومع ذلك وجدنا في الأقسام الدراسية لتلك التحقيقات جملاً من المسائل المحرّرة ممّا تعلّق بالمبهمات، وآراء طيّبة في بعض مسائلها للباحثين المحقّقين لها، وقد أفدنا منها في مواضعها، وهي كالآتي:

1- **كتاب التّعريف والإعلام فيما أُبهم في القرآن، للإمام السّهيليّ**، فقد حققه جماعة من الباحثين، هم:

- الباحث عبد الله محمّد علي النّقراط، وذلك لنيل درجة الماجستير، وعمله هذا مطبوع من مطبوعات كلية منشورات الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التّراث الإسلامي بالجماهيرية الليبية، سنة 1992م.

- الباحث يحيى حمْد بن صالح، وذلك لنيل درجة الماجستير من قسم القرآن وعلومه بالرياض، تحت إشراف الدكتور منّاع القطان.

وقد اطّلعتُ على عمل الأول وأفدتُ منه ما كانت الحاجة إليه داعية، و لم أطّلع على عمل الثاني، علمًا أنّه لم يُطبع – والله أعلم-

2- التّكميل والإتمام لكتاب التّعريف والإعلام، للعلاّمة أبي عبد الله ابن عسكر، وقد حققه الباحث حسين عبد الهادي، تحت إشراف محمد صالح مصطفى، وذلك لنيل درجة الدكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، سنة 1404هـــ، و لم أطّلع على عمله.

3- غرر التّبيان فيمن لم يُسمَّ من القرآن، لابن جماعة، فقد حققه نخبة من الباحثين منهم:

- الباحث الفوزان محمد بن صالح بن محمد، فقد عمل على تحقيقه لنيل درجة الماجستير بقسم القرآن وعلومه بالرياض، تحت إشراف أحمد حسن فرحات.

- الباحث بدر الدّين عبد الغفار، فقد حقّقه هو الآخـــر لنيل درجة الماجستير بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنوّرة، تحت إشراف الدكتور أحمد إبراهيم مهنّا.

ولا شكّ أنّ الباحثين في القسم الدّراسيّ قد تناولا ما يتعلق بالجانب النظريّ لعلم المبهمات، إلاّ أنّني لم أستطع الاطّلاع على عملهما لكونهما لم يطبعا، والله أعلم.

4- صلة الجمع وعائد التّذييل لموصول كتابي الإعلام والتّكميل، للعلاّمة محمد بن عليّ البَلَنْسِي:

وقد حقق هذا الكتاب كلّ من:

- الباحثة بوعمري كريمة، حيث قامت بتحقيقه مقتصرة على الرّبع الأوّل من القرآن الكريم، وذلك لنيل دبلوم في الدراسات العليا- الرباط، وهو غير مطبوع، و لم أطّلع عليه.

- الباحثان حنيف بن حسن القاسمي، فقد قام بدراسة وتحقيق الجزء الأوّل من الكتاب من سورة الفاتحة إلى سورة التّوبة، لنيل درجة الماجستير بقسم الكتاب والسنة بجامعة أمّ القرى، وهو عملٌ

مطبوع في مجلدين بدار الغرب الإسلامي، بيروت(1411هـ /1991م) ، مع مشاركة عبد الله عبد الكريم محمّد، الذي حقّق الجزء الثّاني منه (من سورة يونس إلى سورة النّاس).

وقد رأيتُ الدكتور حنيف بن حسن القاسمي في الجزء الذي حقّقه قد تكلّم بإيجاز عن علم المبهمات، فلم يتجاوز عشرين صفحة، وهي على أهمّيتها غير كافية لتصوير جميع جوانب الموضوع وشرحها من جهة، و لم يتكلّم عن آثار تعيين المبهم التفسيريّة من جهة أخرى.

هذه هي جلّ البحوث التي كتبت حول علم المبهمات، وسأذكر هنا – من خلال عناوينها– أوجه الاتفاق والاختلاف بين بحثي وهذه البحوث، وذلك في النّقاط الآتية:

1 – أنّ بحثي وهذه البحوث كلّها تصبّ في خدمة علم المبهمات، إمّا دراسةً لجوانب منه، وإمّا تحقيقًا لنصوص الكتب القديمة المؤلّفة فيه.

2 – أنّ بحثي اختصّ وتفرّد بدراسة الأساليب التي وردت بها مبهمات القرآن، وأَبرزَ آثارها التّفسيرية، فلم أَرَ ممّن سبق ذكرهم مَنْ درس هذين الجانبين، عدا المقال المنشور في جامعة أم القرى للدكتور صديق أحمد مالك عليّ بعنوان: "أثر تعيين المبهم في التفسير"، وقد أفدتُ بعدم اطّلاعي عليه.

ثامنًا: خطة البحث:

لقد بحثتُ هذا الموضوع بعد المقدّمة في أربعة فصول تليها خاتمة، وتحت كلّ فصل جملة من المباحث المتفرّعة عنه، الدّارسة لجزئياته، وذلك مُبيَّنٌ في الآتي:

أمّا الفصل الأوّل؛ فقد جعلته مدخلاً عامّا إلى علم المبهمات، وذلك عبر ثلاثة مباحث وكلّ مبحث تتفرّع عنه مطالب، فاختص المبحث الأوّل بمفهوم علم المبهمات وأهمّيته، وعني الثّاني بذكر الصّور التي وردت بها مبهمات القرآن، وختمتُ بمبحث ثالث أتحدث فيه عن المؤلّفات في هذا العلم بنوعيها الاستقلاليّة وكتب علوم القرآن.

وأمّا الفصل الثّاني؛ فقد جعلته في الحديث عن أسباب علم المبهمات وطرق الوصول إليه وصلته ببعض علوم القرآن، وجعلته في مبحثين: فالأوّل منهما في أسباب وروده، وطرق الوصول إليه، والآخـــر في علاقته ببعض علوم القرآن؛ وقد اقتصرتُ منها على: علم أسباب النّزول، وعلم قصص القرآن، وعلم الإسرائيليات.

وأمّا الفصل الثّالث وهو من أهم فصول البحث؛ فقد اختصّ بالأساليب التي وردت بها مبهمات القرآن، شرحتها في أربعة مباحث: الأوّل منها أسلوب التّصريح، والثّاني أسلوب الكناية، والثالث أسلوب التعريض، والرّابع أسلوب الذكر والحذف.

وأمّا الفصل الرّابع فهو ثمرة هذا البحث وإحدى كبرى محاوره؛ فقد اختصّ في إبراز الآثار المترتبة على تعيين مبهمات القرآن، وجعلتُ تلك الآثار في ستّة مطالب ضمن ثلاثة مباحث، أمّا المبحث الأوّل منها فهو الاختلاف في التّفسير والاشتغال بالتّرجيح بين أقوال المفسّرين، والثّاني في التّوسع في الأخذ عن أهل الكتاب والاستطراد في ذكر ما لا فائدة فيه، والثّالث في العناية بذكر أسباب النّزول والوقوف على مناقب المبهمين أو مثالبهم.

هذه هي خطة البحث التي يرجو الباحث من خلالها الوصول إلى أهدافه، بالإضافة إلى المقدمة التي هي تعريف عام بالموضوع، والخاتمة التي ذكرت فيها أهم النتائج المتوصل إليها من خلال البحث، واقترحتُ ممّا رأيته جديرًا بالاقتراح من مواضيعَ ودراساتٍ مستقبليّة يكون هذا البحث أحد مصادرها.

تاسعًا: المنهج المتبع:

لّما كان هذا البحث يتكون من ثلاث محاور أساسية هي ما يتعلق بمدخل إلى علم المبهمات وما يتعلق بأساليبه وأثرها في التّفسير، فإنّه سيخضع للعديد من المناهج العلمية، وذلك بحسب ما يتضمّنه من عناصر ومباحث، وذلك مبيّن في الآتي:

المنهج الوصفيّ: فقد اعتمدته عند تحديد المفاهيم العامة لعلم المبهمات، وأهميتها والمؤلفات فيها.

المنهج الاستقرائيّ: وذلك فيما يتعلّق بعدد المؤلّفات في الفصل الأول، وبأساليب المبهمات في القرآن في الفصل الثالث.

المنهج التّحليليّ: فقد ظهر اعتماده أكثر في الفصول: الثاني والثالث والرابع، وذلك عند حديثي عن أسباب الإبهام في القرآن، وعلاقة علم المبهمات ببعض علوم القرآن، وعند أساليب المبهمات في القرآن، وكذا في إبراز أثر تعيين المبهم في التفسير.

طريقتي العامة في كتابة البحث:

أ- ما يتعلق بالآيات القرآنية: وسوف اتّبع فيها المنهج الآتي:

أوّلاً: أخرّج الآيات القرآنية في متن الرسالة بعد سوق الآية مباشرة، وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية، و لم أجعل ذلك في الهامش تخفيفًا لها.

ثانيًا: اعتمدت في كتابة الآيات القرآنية رواية –حفص عن عاصم– لذلك فإن ترقيم الآيات سيكون موافقا لها، كما اعتمدت على مصحف المدينة النّبوية للنّشر الحاسوبيّ.

ب– ما يتعلق بالأحاديث النبوية: وسوف اتّبع فيها المنهج الآتي:

أوّلاً: أخرّج الأحاديث النّبوية التي سأذُكرها في الرسالة، فإذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك عن ذكر درجته من حيث الصّحة والضّعف، وإذا لم يكن في أحدهما نقلت حكم العلماء عليه– صحة أو ضعفا – .

ثانيًا: عند تخريج الحديث من مصادره الأصيلة أذكر اسم الكتاب واسم الباب، ورقم الحديث.

ج– ما يتعلق بالتهميش: وسوف اتّبع في كتابة الهوامش الطريقة الآتية:

أوّلاً: أُرتّبُ معلومات المصادر والمراجع على النّحو الآتي: أذكر أوّلا: اسم الكتاب ثم مؤلّفه ثم محقّق الكتاب–إن وجد– ثم دار النّشر ثم مكان النّشر ثم رقم الطبعة ثم سنة الطبع، ثمّ رقم الجزء – إن وجد – ثمّ الصفحة.

ثانيًا: أذكر كلّ المعلومات الخاصة بالكتاب عند الإحالة عليه لأوّل مرة في البحث، ولا أعيد ذكر المعلومات في الإحالات الأخرى، بل أكتفي بذكر اسم الكتاب واسم المؤلف – إلاّ في مواضع التّراجم فلا أعيد كتابته–، والجزء والصفحة.

ثالثًا: إذا اعتمدتُ على أكثر من طبعة للكتاب نفسه فإنّي أعيد ذكر المعلومات التي بها تتميّز الطبعات عن بعضها البعض، والأمر نفسه بالنسبة للتحقيق؛ فإذا اعتمدت على أكثر من تحقيق لكتاب واحد فإنّي أعيد كتابة المحقق حتى تتميز الكتب، واستثنيتُ من هذه القاعدة كتاب جامع البيان للإمام الطّبري؛ فقد اعتمدت على تحقيقين الأوّل للدكتور عبد المحسن التّركي، والثاني للعلامة أحمد شاكر، فإذا اعتمدت على تحقيق عبد المحسن التّركي فلا أميّزُهُ لأنّ الاعتماد عليه أكثر، وإذا اعتمدت تحقيق أحمد شاكر فإنّي أميّز ذلك بذكر اسم المحقق.

ج– ما يتعلق بتراجم الأعلام: وسوف اتّبع فيها المنهج الآتي:

أوّلاً: أترجم لأغلب الأعلام الذين وردت أسماؤهم في متن الرسالة في أوّل ذكر لهم، غير مبال بشهرة العلم أو عدم شهرته.

ثانيًا: جعلتُ التّرجمة للعلم في أوّل موضع ذكر فيه دون غيره من المواضع.

د- ما يتعلّق ببعض المصطلحات المستعملة:

أ- كثيرًا ما أذكرُ في البحث عبارة: "روايات أهل الكتاب" أو: "مصادر أهل الكتاب" ومقصودي بذلك: الرّوايات التي نقلها الصّحابة والتّابعون وتابعو التّابعين عن أهل الكتاب، وهي مبثوثة في كتب التفسير والحديث دون غيرها.

ب- أذكر في البحث كلمة "مبهم" أو "مبهمات القرآن" أو "علم المبهمات" أو "الإبهام" وأقصد بها جميعًا علم المبهمات بمعناه الاصطلاحي.

وممّا يحسنُ التنبيه عليه في هذا المقام؛ أنّني التزمتُ ذكرَ مقدّمةٍ عند كُلِّ فصلٍ قبل الشّروع فيه، أشرحُ فيها وأبيّنُ عملي فيه، و لم أَلتزِمْ بها في مَطَالِعِ المباحث والمطالب، فقد أذكرها تارة وقد أتركها تارة أخرى، وذلك بحسب الحاجة.

كما التزمتُ إيرادَ خاتمة في نهاية كلّ فصلٍ، أذكرُ فيها ما خَلُصتُ إليه، و لم أَلتزِمْ بذلك في نهايات المطالب والمباحث.

هذه هي أهمّ النقاط التي يمكن ذكرها في وصف طريقتي العامّة في كتابة هذا البحث.

عاشرًا: مصادر ومراجع البحث:

إنّ طبيعة البحث ألزمتني بالرجوع إلى مصادر ومراجع في علم المبهمات وعلم التفسير وفي علوم القرآن الأخرى، وغيرها، وبيان ذلك على النحو الأتي:

1- **كتب في التفسير**:كجامع البيان للإمام الطّبري، وتفسير التحرير والتّنوير لابن عاشور، وغيرهما.

2-**كتب في علوم القرآن والمبهمات**: وأعني بكتب علوم القرآن هنا بعض الكتب الأمّهات كالبرهان للزّركشي، والإتقان للسيوطيّ والزيادة والإحسان لابن عقيلة المكّيّ، وأعني بكتب المبهمات – وإن كانت من كتب علوم القرآن، إلاّ أنّني ميّزتها لإظهارها والتعريف بها أكثر من غيرها- كالتّعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن للإمام السّهيلي، وغرر التبيان فيمن لم يسم من

القرآن لابن جماعة، والتكميل والإتمام لابن عسكر، وصلة الجمع وعائد التذييل للبلنسي، وترويح أولي الدّماثة للأُدْكاوي، ومفحمات الأقران للسيوطي، وبعض الدراسات الحديثة الأخرى، وغيرها.

3-كتب في الحديث: كالكتب السّتة، والمستدرك على الصّحيحين للحاكم وغيرها.

4-كتب في التراجم والسّير: مثل سير أعلام النّبلاء للذهبي، والإصابة لابن حجر، والأعلام للزركلي وغيرها.

5- كتب في البلاغة: مثل الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، وفنون بلاغية لأحمد مطلوب وغيرهما.

6- المعاجم والكتب اللّغوية: القاموس المحيط للفيروز آبادي، ولسان العرب لابن منظور، معجم مقاييس اللّغة وغيرها.

7- كتب في اصطلاحات الفنون: كالكليات لأبي البقاء الكفوي وكشّاف اصطلاحات الفنون لحاجي خليفة.

هذه هي أهم المصادر والمراجع التي استعنت بها بعد الله تعالى في إنجاز هذا البحث، وقد كانت الاستفادة منها متفاوتة، بحسب الحاجة إليها.

حادي عشر: العقبات والصعوبات:

لقد اعترتني في إنجاز هذا البحث عدة صعوبات، أبرزها ما يلي:

1- قلّة الدراسات الموضوعية حول علم المبهمات – وإن وجدت لم أستطع الحصول عليها- التي قد أستضيء بها في شرح بعض القضايا.

2- عدم تخصصي في الجانب البلاغيّ جعل استقرائي واستنباطي للأساليب التي وردت بها مبهمات القرآن عملاً شاقًّا.

وفي الختام: أحمد الله تعالى وأشكره على نعمه وآلائه الكثيرة، وعلى توفيقي لإتمام هذا البحث الذي أسأل الله تعالى أن ينفعني به، وينفع جميع من قرأه.

ولا بدّ من التذكير بأنّني قد بذلت ما في وسعي في سبيل إخراج هذا البحث في الصورة اللائقة به، فإن كنت مصيبًا فذلك من الله وأسأله القبول والتوفيق، وإن انحرفت عن الصواب فذاك منّي ومن الشيطان، وأسأله المغفرة والتسديد.

وإنّي شاكرٌ على الدّوام لأستاذي الفاضل المشرف على الرسالة الدكتور رمضان يخلف على تحمله عناء ومشقة الإشراف على طالب مبتدئ في كتابة البحث العلمي مثلي، وأسأله تعالى أن يبارك في عمره وأن يجعله منارة علم يستضيء بها الطّلاّب.

كما أسجل تقديري وشكري للأستاذين الفاضلين: الدكتور رابح دوب والدكتور مساعد بن سليمان الطّيار على ما أسداهما إليّ من نصائح وإفادات، فأسأل الله أن يثيبهما ويجعل ذلك في ميزان حسناتهما.

كما أتوجه بالشكر الجزيل للأساتذة الأفاضل الدكتور عبد الحميد قوفي والدكتور عبد العزيز ثابت والدكتورة صونيا وافق على تشجيعاتهم المستمرة في إكمال هذا البحث، فجزاهم الله خير الجـــــزاء.

والشكر موصول لإدارة كلية أصول الدّين بجامعة الأمير عبد القادر، ممثّلة في وعلى وجه الخصوص قسم الكتاب والسّنة ممثّلاً في رئيسيه السّابق الأستاذ الدكتور مختار نصيرة والحالي الدكتور الجمعي شبايكي.

وكما أشكر كلّ من ساعدني في مراجعة هذه الرسالة وتصويب أخطائها وأخص بالذّكر منهم: فؤاد بوغرارة وهشام شوقي ومراد خنيش فجزاهم الله خيرا.

كما أشكر أساتذتي الأفاضل الأكارم: أعضاء لجنة المناقشة على جهدهم الذي بذلوه في قراءة هذا البحث، وأسأل الله أن ينفعني بملاحظاتهم وتصويباتهم وأن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم، كما أشكر جميع من أعانني على إنجازه من داخل الجامعة وخارجها، وأسأل الله أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم.

وأخيرًا أحمد الله على عونه وتوفيقه وتسديده فله الحمد أوّلاً وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا، وصلّى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

الفصل الأول

مدخل إلى علم المبهمات

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم علم المبهمات وأهمّيته.

المبحث الثاني: صور مبهمات القرآن.

المبحث الثالث: المؤلفات في علم المبهمات.

تمهيد:

سأتطرّق في ثنايا هذا الفصل للحديث عن مفهوم علم المبهمات بمعنييه اللّغوي والاصطلاحي، ثمّ أبرزُ قيمة هذا العلم وأهميته، وبعدها أعرض صور مبهمات القرآن وأنواعها، وفي الختام أذكر المؤلفات في هذا العلم المفردة له، وحديث كتب علوم القرآن عنها، وبيان ذلك وفق المباحث الآتية:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: مفهوم علم المبهمات و أهمّيته.

المطلب الأول: مفهوم علم المبهمات.

الفرع الأول: لغـــة.

المبهمات جمعٌ مفرده مبهم، وهو من حيث الاشتقاق والأصل اللّغوي من مادة "بهم"، قال ابنُ فارس[1]: "الباء والهاء والميم أن يَبْقَى الشّيء لا يُعرَف المأتى إليه، يقال هذا أمرٌ مبهم"[2].

وقال أبو منصور بن محمّد الأزهري[3]: "وطريقٌ مبهم؛ إذا كان خفيًّا لا تَستَبِينُ ويقـــال ضربه فوقع مبهمًا: أي: مغشيًا عليه لا ينطقُ ولا يميزُ "[4].

---

[1] – هو أحمد بن فارس بن زكرّياء القزويني الرّازي، أبو الحسين من أئمة اللّغة والأدب، أصله من قزوين وأقام مدة في همذان ثمّ انتقل إلى الرّي فتوفي فيها، وإليها نسبته من تصانيفه مقاييس اللغة والصّاحبيّ، توفي سنة: 395هـــ. ينظر: معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب. ياقوت الحموي. تحقيق: إحسان عبّاس. دار الغرب الإسلامي: بيروت. ط1، 1993م. ج1. ص 410 إلى 418. وفيات الأعيان وأبناءُ أبناءِ الزّمان. لأبي العبّاس شمس الدّين أحمد بن محمّد بن أبي بكر بن خلكان. تحقيق: إحسان عبّاس. دار صادر: بيروت. ج1. ص 118 إلى 120. الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرّجال والنّساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. خير الدّين الزّركلي. دار العلم للملايين: بيروت. ط15، 2002م. ج1. ص 193.

[2] – معجم مقاييس اللغة .لأبي الحسين أحمد ابن فارس. تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون. دار الفكر: بيروت. 1399هـــ، 1989م. باب الهاء وما بعدهما في الثلاثي. ج1. ص 311.

[3] – هو محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور أحد الأئمة في اللّغة والأدب، مولده ووفاته في هراة بخراسان، نسبته إلى جدّه الأزهر، عني بالفقه فاشتهر به أوّلاً ثمّ غلب عليه التّبحر في العربية، فرحل في طلبها وقصد القبائل وتوسع في أخبارهم، ووقع في إسار القرامطة، فكان مع فريق من هوازن يتكلمون بطباعهم البدوية ولا يكاد يوجد في منطقهم لحن، من كتبه: تهذيب اللغة، توفي سنة: 370هـــ. ينظر: معجم الأدباء. ج5. ص 2321 إلى 2323. شذرات الذهب في أخبار من ذهب. لشهاب الدّين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمّد العكري المشهور بابن عماد الحنبلي. تحقيق: محمود الأرناؤوط. دار ابن كثير: دمشق، بيروت. ط1، 1413هـــ، 1992م. ج1. ص 301. الأعلام. ج 5. ص 311.

[4] – تهذيب اللّغة. لأبي منصور محمّد بن أحمد الأزهري. تحقيق: محمّد عبد المنعم خفاجي، محمود فرج العقدة. راجعه: علي محمّد البجاوي. الدار المصرية للتّأليف والترجمة: مصر. مادة "بهم". ج6. ص337.

وقال ابن منظور[1]:"وطريقٌ مُبهمٌ إذا كانَ خَفِيًّا لا يَسْتَبِينُ ...ووقع في بُهمَة لا يَتَّجهُ لَهَا: أيْ خُطَّةٍ شَدِيدَةٍ، واستَبْهَم عليهمُ الأمرُ لم يَدْرُوا كيف يَأْتُون له، واسْتَبْهَمَ عليه الأَمرُ أيْ: استغْلقَ، وتَبهَّمَ أيضًا إذا أُرْتِجَ عليه، وروَى ثَعْلَبٌ أنَّ ابنَ الأَعْرَابِيِّ أَنْشَدَهُ :

أَعْيَيْتَنِي كُلَّ العَيَـــــــــــــــــا ءِ فَــلاَ أَغَرٌّ ولا بَهِـــــــيمُ

قال: يُضْرَبُ مَثَلاً للأَمْرِ إذا أَشْكَلَ، لم تَتَّضِح جِهَتُهُ واسْتِقَامَتُهُ ومَعْرِفَتُهُ ... وأمرٌ مُبْهَمٌ لاَ مَأْتَى لهُ، واسْتَبْهَمَ الأَمْرُ إذا اسْتَغْلَقَ؛ فهُو مُسْتَبْهِم، وفي حديث عليٍّ رضي الله عنه: كَانَ إذَا نَزَلَ به إِحْدَى المبهمَات كَشَفَهَا: يُرِيدُ مَسْأَلَةً مُعْضِلَةً شَاقَّــةً، سُمِّيَتْ مُبهَمَةً لأَنَّهَا أُبْهِمَتْ عن البَيَانِ فلم يُجعَلْ عليها دَلِيلٌ، ومنه قِيلَ لَمَا لاَ يَنْطِقُ بَهِيمَةٌ، وفي حديث قُسٍّ: تَجْلُو دُجُنَّاتِ الدَّيَاجِي و البُهَمُ؛ البُهَمُ: جمعُ بهمَةٍ بالضَّمِّ، وهي مُشْكِلاَتِ الأُمُورِ، وكلامٌ مُبهَمٌ: لاَ يُعرَفُ لَهُ وجْهٌ يُؤتَى مِنْهُ، مأخوذٌ مِن قَوْلِهِم: حائِطٌ مُبهمٌ إذا لم يَكن فيه بابٌ.

ابنُ السِّكِّيتِ: أَبْهَمَ عَلَيَّ الأَمْرَ إذا لم يَجْعَل له وَجْهًا أَعْرِفُهُ، وإِبْهَامُ الأَمْرِ: أن يَشْتَبِهَ فلا يُعْرَفُ وَجْهُهُ، وقد أَبْهَمَهُ، وحائطٌ مُبهمٌ لا بابَ فِيهِ، وبابٌ مُبهَمٌ: مغلقٌ لا يُهتَدَى لِفَتْحِهِ إذا أُغلقَ"[2].

وقال أبو البقاء[3]: " أُبهِمَ الأَمْرُ اشتبَه، و أَبْهَمَ البابَ أغلَقَه"[4].

---

[1] – هو جمال الدّين بن منظور الإفريقي أبو الفضل، ولد بمصر سنة 630هـ، اختصر كثيرًا من الكتب وقيل بلغت مختصراته خمسمائة مجلّد، ولي قضاء طرابلس وكان عارفًا بالنّحو واللّغة والتاريخ والكتابة، وعنده تشيّع بلا رفض، له مؤلّفات منها: لسان العرب، توفي سنة: 711هـ. ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة. جلال الدّين السّيوطي. تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم. دار الفكر: بيروت. ط2، 1399هـ، 1979م. ترجمة رقم: . ج1. ص 248. الأعلام. ج7. ص 108.

[2] – لسان العرب. محمّد بن مكرم بن منظور. دار المعارف: القاهرة. مادة "بهم". ج1. ص376.

[3] – هو أيوب بن موسى أبو البقاء الكفوي، كان من قضاة الأحناف، ولي القضاء في (كفّة) بتركيا وفي القدس وبغداد ثمّ عاد إلى استنبول، من مؤلفاته: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللّغوية، توفي سنة: 1094هـ. ينظر: معجم المؤلفين تراجم مصنّفي كتب العربية. عمر رضا كحالة. مؤسسة الرسالة: بيروت. ط1، 1414هـ، 1993م. ج1. ص 418. الأعلام. ج2. ص 38.

[4] – الكلّيات معجم في المصطلحات والفروق اللّغوية. لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي. مؤسسة الرّسالة: بيروت. ط2، 1419هـ، 1998م. ص33.

وقال الرّاغب الأصفهاني[1]: "وقيل لكل ما يصعُبُ على الحاسَّة إدراكه إن كان محسوسا؛ وعلى الفهم إن كان معقولا: مبهم"[2].

ومن خلال ما سبق يتضح أنّ معنى المبهم في اللّغة يدور حول المعاني الآتية: الخفي، الذي لم يعرف بعد، أو المشكل والمشتبه، أو ما يصعب إدراكه.

الفرع الثّاني: اصطلاحًا.

وردت تعريفات عدة لعلم المبهمات نقتصر على ذكر أهمّها فيما يلي :

أشار الإمام عبدُ الرّحمان السُّهيلي[3] في مقدمة كتابه "التعريف والإعلام" أثناء ذكره للمقصد الذي من أجله ألّف في هذا الفن إلى تعريف لعلم المبهمات حيث قال: "...ما تضمنّه كتاب الله العزيز من ذكر من لم يسمه فيه باسمه العلم من نبيّ أو وليّ، أو غيرهما من آدمي، أو ملك أو جنّي، أو بلد، أو كوكب، أو شجر أو حيوان، له اسم علم قد عُرف عند نقلة الأخبار والعلماء الأخيار"[4].

---

[1] – هو الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم الأصفهاني أو الأصبهاني، المعروف بالراغب أديب من الحكماء العلماء من أهل أصبهان، سكن بغداد واشتهر حتى كان يقرن بالإمام الغزالي، من كتبه: محضرات الأدباء، المفردات في غريب القرآن. توفي سنة: 502هـ. ينظر: معجم الأدباء. ج3. ص 1156. الأعلام. ج2. ص 255.

[2]– المفردات في غريب القرآن . لأبي القاسم الحسين بن محمّد (الرّاغب الأصفهاني). تحقيق: محمّد سيّد كيلاني. دار المعرفة: بيروت. ص64.

[3] – هو عبد الرّحمان بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السّهيلي (نسبة إلى سُهَيْل وهي قرية قريبة من مالقة) المالقيّ الأندلسيّ أبو القاسم، حافظ عالم باللّغة والسّير، كُفَّ بصره وعمره 17سنة، ظلّ بمالقة فقيرًا مُعدمًا يتسوّغ بالعفاف، ويتبلّغ بالكفاف حتّى نُمِيَ خبره إلى صاحب مراكش فطلبه إليها وأكرمه، فأقام يصنّف كتبه إلى أن توفي بها، من مصنفاته: الروض الأُنف، التّعريف والإعلام في ما أبهم في القرآن، توفي سنة: 581هـ. ينظر: بغية المُلْتمس في تاريخ رجال الأندلس. لأحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الشهير بالضّبي. تحقيق: إبراهيم الأبياري. دار الكتاب المصري: القاهرة، دار الكتاب اللبناني: بيروت. ط1، 1410هـ، 1989م. ترجمة رقم: 1028. ج2. ص 477، 478. الوافي بالوفيات. صلاح الدّين خالد بن أيبك الصّفدي. تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى. دار إحياء التّراث العربي: بيروت. ط1، 1420هـ، 2000م. ترجمة رقم: 6770. ج18. ص 100 إلى 102. الدّيباج المُذهب في معرفة علماء أعيان المذهب. القاضي إبراهيم بن نور الدّين المعروف بابن فرحون. تحقيق: مأمون بن محي الدّين. دار الكتب العلمية: بيروت. ط1، 1417هـ، 1996م. ترجمة رقم: 318. ص 246 إلى 248.

[4] – التّعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام. عبد الرّحمان السّهيلي. تحقيق عبد الله محمّد علي النقراط. منشورات الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي: طرابلس. ط1، 1401هـ، 1992م. ص 50.

وأشار إلى تعريفه أيضًا بدر الدّين ابن جماعة[1] أثناء ذكره للمقصد الذي من أجله ألّف كتابه "غرر التبيان في من لم يسمّ في القرآن" فقال: "...أذكر فيه إن شاء الله تعالى اسم من ذكر في القرآن العظيم بصفته أو لقبه، أو كنيته، وأنساب المشهورين من الأنبياء والمرسلين، والملوك المذكورين، والمعنيّ بالنّاس و المؤمنين إذا ورد لقومٍ مخصوصين، وعدد ما أبهم عدده، وأمد ما لم يبيّن أمده"[2].

وعرّفه الدكتور عبد الجواد خلف[3] بقوله : " الدراسة التّفسيرية التي تتناول آيات القرآن الكريم من حيث معرفة ما أبهم من عدد أو أمد أو اسم أو نسب ، بواسطة النّقل المحرر الدّقيق عن ثقات الأمة"[4].

وعرّفه الدكتور خالد السّبت[5] فقال: " هي كل ما ورد في القرآن الكريم غير مسمًّى باسمه الذي يعرف به ، من إنسان أو غيره"[6].

---

[1] – هو بدر الدّين محمّد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشّافعي، قاض، من العلماء بالحديث وسائر العلوم، ولد في حماه، وولي الحكم والخطابة بالقدس، ثمّ القضاء بمصر، وكان من خيرة القضاة، له تصانيف منها: التّبيان لمبهمات القرآن، غرر التبيان في من لم يسمّ في القرآن. توفي بمصر سنة: 733هـ. ينظر: الدّرر الكامنة في أعيان المائة الثّامنة. شهاب الدّين أحمد بن علي ابن محمّد بن علي بن أحمد المشهور بابن حجر العسقلاني. دار الجيل: بيروت. 1414هـ، 1993م. ج3. ص 281 إلى 283. شذرات الذّهب. ج8. ص 184، 185، الأعلام. ج 5. ص 297، 298.

[2] – غرر التبيان في من لم يسمّ في القرآن. بدر الدّين محمّد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة المعروف: بابن جماعة. دراسة وتحقيق: عبد الجواد خلف. دار قتيبة: دمشق. ط1، 1410هـ، 1990م. ص 191.

[3] – هو عبد الجواد خلف محمد عبد الجواد ولد سنة 1940م بسمالوط في محافظة المنيا بجمهورية مصر العربية، درس بها الابتدائية و الإعدادية والثانوية، ثمّ التحق بكلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر من سنة 1962م إلى 1966م، من مصنفاته: القاضي ابن جماعة: حياته وآثاره مع تحقيق مخطوطه النادر في تفسير مبهمات القرآن، وهو رسالة دكتوراه في جامعة البنجاب بباكستان، تفسير سورة الأنبياء دراسة تحليلية، مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن، تفسير سورة الأنفال دراسة تحليلية، المبهم في القرآن أسبابه مواضعه بيانه. ينظر: موقع الدكتور عبد الجواد خلف.

[4] – مباحث في مبهمات القرآن سورتي الفاتحة والبقرة. عبد الجواد خلف. دار البيان: مصر. ط1، 1412هـ، 1992م. ج1. ص 29.

[5] – هو خالد بن عثمان بن علي السبت، من موالد منطقة الزلفى، عام 1384هـ، انتقل مع والديه إلى منطقة الدّمام، ودرس بها الابتدائية والمتوسطة والثانوية، ثمّ التحق بقسم السنة في كلية أصول الدّين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، له عدة منتجات علمية: كتاب مناهل العرفان دراسة وتقويم وهي رسالة ماجستير، وقواعد التّفسير رسالة دكتوراه. ينظر: المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين. إعداد: أعضاء ملتقى أهل الحديث. كتاب إلكتروني.

[6] – قواعد التّفسير. خالد بن عثمان السّبت. دار ابن عفّان: القاهرة. ط1، 1420هـ، 1999م. ج2. ص717.

وعرفه الدكتور مساعد الطّيار[1] بقوله: " ما لم يُنَصَّ على ذكرِه من الأسماءِ، وقد يكون الإبهام لعلمٍ أو نبات، أو حيوانٍ أو مكانٍ أو زمانٍ...."[2].

وعرّفه الدكتور حازم حيدر بأنّه: " هو الألفاظ المذكورة في القرآن الكريم على وجه الإشارة من غير تصريح بأسماء أعيانها"[3].

وعرّفه الباحث محمّد بكر إسماعيل بقوله: " والمبهم في كتاب الله تعالى هو ما خفي اسمه أو رسمه أو وصفه أو زمانه أو مكانه ونحو ذلك ممّا خفيت آثاره أو جهلت أحواله لسبب من الأسباب الجلية أو الخفية سواء احتاج المكلّفون إلى معرفته بالبحث عن الوسائل التي تزيل خفاءه، وتدفع إشكاله أم لم يحتاجوا إلى ذلك"[4].

فمن خلال هذه التّعاريف نلاحظ أنّ الإمام السّهيلي له مزية السّبق في وضع تعريفٍ لهذا العلم وبيان حدوده، أمّا ابن جماعة فيلاحظ على تعريفه لعلم المبهمات أنّه أضاف على ما ذكره السّهيلي مبهمات الأعداد والأزمنة، وبذلك وضع لعلم المبهمات تعريفًا جديدًا أقرّه أكثر من جاء بعده واعتمدوا عليه كما نرى في التّعاريف السّابقة، كما يلاحظ أيضًا على تعريف ابن جماعة أنّه أدخل شيئًا جديدًا في علم المبهمات مثل علم الأنساب وتبِعه في هذا الدكتور عبد الجواد خلف.

---

[1] – هو مساعد بن سليمان بن ناصر الطّيار تخرّج من قسم القرآن وعلومه في كلية أصول الدين بالرياض سنة 1409هـ، ثمّ التحق بالتدريس في كلية المعلمين بالرياض، والتحق بقسم الدراسات العليا في تخصص علوم القرآن سنة 1409هـ، 1410هـ، وأنهى رسالة الماجستير بتقدير ممتاز، وكانت بعنوان: وقوف القرآن وأثرها في التفسير، ثمّ التحق بالكلية نفسها لنيل درجة الدكتوراه وأنهى مناقشاها سنة 1421هـ، بتقدير ممتاز وكانت بعنوان: التفسير اللغوي في القرآن الكريم، من مصنفاته أيضًا: فصول في أصول التفسير، أنواع التصانيف المتعلقة بالقرآن الكريم. ينظر: موقع الدكتور مساعد الطّيار. المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين.

[2] – أنواع التّصانيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم. مساعد بن سليمان الطّيار. دار ابن الجوزي: المملكة العربية السّعودية. ط2، 1423هـ. ص191.

[3] – علوم القرآن بين البرهان والإتقان. حازم سعيد حيدر. مكتبة دار الزّمان: المدينة المنوّرة . 1420هـ. ص156.

[4] – الموسوعة القرآنية المتخصصة. إعداد: ثلّة من الباحثين. إشراف وتقديم: محمود حمدي زقزوق. ص 608.

وبالنّظر في تلك التّعاريف وما تضمّنته من حدود يمكن أن أقترح تعريفًا لعلم المبهمات على أنّه: "**كلُّ ما لم يُصرَّحْ باسمِه العَلَمِ أو عددِه أو زمَنِه أو مكَانِه أو غير ذلك، وإنّما ذُكرَ جِنسُه أو صفَتُه في القرآن الكريم**".

المطلب الثّاني : أهمّية علم المبهمات.

تبرز أهمية معرفة علم المبهمات ودراسته في النّقاط الآتية:

أولاً: كونه من العلوم المتعلقة بكتاب الله عزّ وجلّ:

تبرز قيمة علم المبهمات وأهميته بكونه أحد العلوم المرتبطة بالكتاب العزيز، وعليه فإنّ موضوع البحث في هذا العلم هو الاشتغال ببيان ما أبهم في آيات الذّكر الحكيم من حيث معرفة ما أبهم عدده أو زمانه أو مكانه أو اسمه أو غير ذلك، وإذا كان أهل كلّ فن يشتغلون بمعرفة أسماء أهل صناعتهم، فالاشتغال بمعرفة أسماء من كتم عنهم القرآن أولى وأجدَر من غيره من الفنون والعلوم، قال الإمام السّهيلي رحمه الله: "وإذا كان أهل الأدب يفرحون بمعرفة شاعر أبهم اسمه في كتاب، وكذلك أهل كلّ صناعة يَعنُون بأسماء أهل صناعتهم، ويرونه من نفيس بضاعتهم، فالقارئون لكتاب الله أولى أن يتنافسوا في معرفة ما أبهم فيه، ويتحلوْا بعلم ذلك عند المذاكرة"[1].

وقال كذلك ابن عسكر الغسانيّ[2]: "وإنّ من أشرف علومه وأطرف مفهومه، علم ما أبهم فيه من

---

[1] – التّعريف والإعلام. عبد الرّحمان السُّهيلي. تحقيق: عبد الله محمّد علي التّقراط. ص50.

[2] – هو محمّد بن علي بن عبيد الله بن الخضر بن هارون ابن عسكر الغسّاني (نسبة إلى أحد أجداده)، القاضي أبو عبد الله المالقي المالكي، أديب، عالم بالتّاريخ والحديث من أهل مالقة، ولي قضاءها نيابة ثمّ أصالة، وحسنت سيرته، فاستمرّ على ذلك بقية عمره، له شعر حسن، وكتب منها: نزهة النّاظر في مناقب عمّار بن ياسر، التّكميل والإتمام لكتاب التّعريف والإعلام للسّهيلي، توفي سنة: 636هـ. ينظر: تاريخ قضاة الأندلس. أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النُباهي الأندلسي. تحقيق: لجنة إحياء التّراث العربي في دار الآفاق. دار الآفاق: بيروت. ط5، 1403هـ، 1983م. ص 123. سير أعلام النّبلاء. شمس الدّين محمّد بن أحمد بن عثمان الذّهبي. مؤسسة الرّسالة: بيروت. ط1، 1405هـ، 1985م. ج23. ص 65، 66. شجرة النّور الزّكية في طبقات المالكية. محمّد بن محمّد مخلوف. المطبعة السّلفية: القاهرة. ص181.

أسماء الذين نزلت في أوساطهم الآيات، وكانوا سببًا لما فيه من الأخبار والحكايات"[1].

وإلى هذا المعنى أشار الإمامُ البَلَنْسِيّ[2] رحمه الله تعالى فقال: " وإذا كانت الأدباء تتدارس علم ما أبهم من أسماء الشّعراء، و تتنافس في ذكر طبقاتهم وأخبارهم للأمراء، فالقارئون لكتاب الله بذلك أحرى، وعلى سنن الصّالحين أجرى، فبركة القرءان تزيد الرّيان وتروي الظمآن "[3].

ثانيًا: كونه قد عُنِيَ به السّلف الصّالح:

وذلك بسؤالهم للنّبيِّ صلّى الله عليه وسلم، أو بسؤال بعضهم لبعض ممّن يَعرفون أنّ لديه العلم ببيان مبهمات القرآن، قال الإمام السّيوطي[4]: "علم المبهمات علم شريف اعتنى به السّلف كثيرًا..."[5]، والأمثلة على ذلك ما يلـــي:

1- ما روي عن أبي سلـــــــمة بن عبد الرحمان[6]، قال: مـــــــرَّ بـــي عبد الرّحـــمانِ بنُ

---

[1] – التّكميل والإتمام لكتاب التّعريف والإعلام. محمّد بن علي الخضر الغسّاني (ابن عسكر). تحقيق: حسن مروة. دار الفكر: دمشق، ودار الفكر المعاصر: بيروت. ط1، 1418هـ ،1997م. ص 34.

[2] – هو محمّد بن علي بن أحمد بن محمّد الأوسي البلَنْسِي الغرناطي من علماء غرناطة، لكنّه اشتهر بالانتساب إلى بلنسية، أبو عبد الله، كان مكبًّا على العلم والاستفادة، قائمًا على العربية والبيان، ماهرًا فهيمًا، ذاكرًا لكثير من المسائل، حافظًا متقنًا، تولى بعض أمور السّلطان المتغلب على الدولة، من مؤلفاته: صلة الجمع وعائد التّذييل لموصول كتابي الإعلام والتّكميل. توفي سنة 782هـ. ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة. لسان الدّين ابن الخطيب. حققه: محمّد عبد الله عنان. مكتبة الخانجي: القاهرة. ط2، 1393هـ، 1973م. ج3. ص 38، 39. بغية الوعاة. ترجمة رقم: 323. ج1. ص 191. الأعلام.ج6. ص 286.

[3] – تفسير مبهمات القرآن الموسوم بصلة الجمع وعائد التّذييل لموصول كتابي الإعلام والتّكميل. لأبي عبد الله محمّد بن علي البلنسيّ. تحقيق: حنيف بن حسن القاسمي. دار الغرب الإسلامي: بيروت. ط1، 1411هـ، 1991م. ج1. ص101.

[4] – هو عبد الرحمان بن أبي بكر بن محمّد ابن سابق الدّين الخضيري السّيوطي جلال الدّين، إمام حافظ مؤرّخ أديب، له نحو 600 مصنّف، نشأ في القاهرة يتيمًا (مات والده وعمره خمس سنوات)، ولّما بلغ أربعين سنة اعتزل النّاس، وخلا بنفسه في روضة المقياس على النّيل، فألّف أغلب كتبه منها: الإتقان في علوم القرآن، مفحمات الأقران في مبهمات القرآن، وبقي على ذلك إلى أن توفي سنة 911هـ. ينظر: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة. جلال الدين عبد الرّحمن السّيوطي. تحقيق: أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية: مصر. ط1، 1387هـ، 1927هـ، ج1. ص 335 إلى 344. شذرات الذهب. ج10. ص 74 إلى 79. الأعلام. ج3. ص 301، 302.

[5] – مفحمات الأقران في مبهمات القرآن. جلال الدّين السّيوطي. تحقيق: مصطفى ديب البغا. دار الهدى: الجزائر. ص7.

[6] – هو عبد الرّحمان بن عوف بن عبد عوف القرشيّ الزُّهريُّ المدنيُّ أبو سلمة ، كان طلاّبة للعلم، فقيهًا مجتهدًا، أرضعته أمّ كلثوم أي خالته من الرّضاعة أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، له حديث وفقه وفتوى وهو من متقدمي التّابعين، ولِيَ قضاء=

أبي سعيدٍ الخُدريِّ[1]. قال: قلتُ له: كيف سمعتَ أباكَ يذكرُ في المسجدِ الذي أسِّسَ على التَّقوى؟ قال: قالَ أبي[2]: دخلتُ على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم في بيتِ بعضِ نسائِهِ. فقلتُ: يا رسولَ الله! أيُّ المسجديْنِ الذي أُسِّسَ على التَّقوَى؟ قال: فأَخَذَ كَفًّا من حَصْبَاءَ فضربَ به الأرضَ، ثمّ قال: "هو مسْجِدُكُم هذا" (لِمَسجِدِ المدينةِ)، قال: فقلتُ: أشهدُ أنّي سمعتُ أباك هكذا يذكُرُه"[3].

فمن خلال هذا الحديث ندرك أنّ الصّحابة كانوا يعتنون بمعرفة بعض المبهمات الواردة في القرآن الكريم، وذلك بسؤالهم النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أو بسؤال بعضهم لبعض، مثل صنيعهم هنا بسؤالهم عن المسجد المقصود في الآية، ألا وهو مسجد قباء، ومنه ردّ كلّ الأقوال التي قالت غير ذلك، قال الإمام النّووي عقب شرحه لهذا الحديث ما نصّه: "هذا نصّ بأنّه المسجد الذي أسس على التّقوى المذكور في القرآن، ورَدّ لما يقوله بعض المفسّرين أنّه مسجد قباء، وأمّا أخذه صلّى الله عليه وسلّم الحصباء وضربه في الأرض فالمراد به المبالغة في الإيضاح، لبيان أنّه مسجد المدينة، والحصباء بالمد الحصى الصّغيرة"[4].

=المدينة وتوفي بها سنة: 94هـ. ينظر: أخبار القضاة. لوكيع محمّد بن خلف بن حيّان. مراجعة: سيّد محمّد اللّحام. دار عالم الكتب: مصر. ج1. ص 81 ، 82. تهذيب الكمال في أسماء الرجال. لجمال الدّين أبي الحجاج يوسف المزي. مؤسسة الرّسالة: بيروت. ط2، 1403هـ، 1983م. ترجمة رقم: 7409. ج33. ص 370 إلى 376.

[1] – هو عبد الرّحمن بن سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخزرجي أبو حفص، ويقال أبو جعفر، ويقال أبو محمّد بن أبي سعيد الخدري المدني، قال الإمام النّسائي: ثقة، وذكره ابن حبان في الثّقات. توفي سنة: 112هـ. ينظر: كتاب الطّبقات الكبير. لمحمّد بن سعد بن منيع الزّهري. تحقيق: علي محمّد عمر. مكتبة الخانجي: القاهرة. ط1، 1421هـ، 2001م. ترجمة رقم: 1676. ج7. ص 263. تهذيب الكمال. المزي. ترجمة رقم: 3829. ج 17. ص 134، 135.

[2] – هو سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن الأبْجَرِ أبو سعيد الخدري الأنصاري الخزرجي، صحابي كان من ملازمي النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وروى عنه أحاديث كثيرة وغزا اثنتي عشرة غزوة، وله 1170 حديث. توفي سنة 74هـ. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصّحابة. لعزّ الدّين ابن الأثير أبي الحسن علي بن محمّد الجزري. تحقيق وتعليق: علي محمّد معوض، أحمد عادل عبد الموجود. دار الكتب العلمية: بيروت. ترجمة رقم: 2036. ج2. ص 451، 452. الإصابة في تمييز الصّحابة. لابي الفضل أحمد بن علي بن حجر. تحقيق: عبد المحسن التركي. القاهرة. ط1، 1429هـ، 2008م. ترجمة رقم: 3210. ج4. ص 293 إلى 297.

[3] – الجامع الصحيح. مسلم بن الحجاج. تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي. دار الحديث: مصر. كتاب الحج. باب بيان أنّ المسجد الذي أسس على التّقوى هو مسجد النّبي صلّى الله عليه وسلّم. حديث رقم: 1398. ج2. ص 1015.

[4] – المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج. لمحيي الدّين أبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النّووي. مؤسسة قرطبة. ط2، 1414هـ، 1994م. ج9. ص 240.

2-كذلك ما روي عن ابن عبّاسٍ[1] رضي الله تعالى عنهما قال: مَكثتُ سنةً أُريدُ أن أسألَ عمرَ بنَ الخطَّابِ عن آيةٍ فما أَستطيعُ أن أسأله هَيْبَةً له، حتَّ خرج حاجًّا فخرجتُ معه فلمَّا رجَعْنا وكنّا ببعضِ الطَّريقِ عدَلَ إلى الأَرَاكِ[2] لحاجةٍ له، قال: فوقفتُ له حتَّى فرغ ثمّ سرْتُ معه، فقلت: يا أميرَ المؤمنين منِ اللّتانِ تظَاهَرَتَا على النّبي صلَّى الله عليه وسلَّم من أزواجِه ؟ فقال: تلك حفصةُ وعائشةُ "[3].

وفي رواية أخرى عن يحيى بنِ سعيدٍ قال سمعتُ عبيدَ بنَ حنينٍ يقولُ سمعت ابنَ عبَّاسٍ يقولُ: كنتُ أريدُ أن أسألَ عُمرَ عن المرأتين اللّتين تظَاهرَتَا على رسول الله صلّى الله عليه وسلم، فمكثْتُ سنةً، فلم أَجدْ له مَوضعًا حتى خرجتُ معه حَاجًّا فلمَّا كُنَّا بِظَهْرَانَ[4] ذهب عمرُ لحاجَتِه، فقال: أدركْنِي بالوضوءِ فأدْرَكْتُه بالإدَاوَةِ فجعلت أَسكُبُ عليه الماءَ، ورَأيتُ موضعًا فقلتُ: يا أميرَ المؤمنينَ من المرأَتَان اللَّتَان تظَاهرتَا ؟ قال ابنُ عبَّاسٍ: فما أَتْممت كلامِي حتى قال: "عائشة وحفصة"[5].

---

[1] – هو عبد الله بن عباس بن عبد المطّلب القرشيّ الهاشميّ، حبر الأمّة والصّحابيّ الجليل، ولد بمكّة، ونشأ في بدء عصر النّبوة، فلازم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وروى عنه الأحاديث الصّحيحة، وكُفَّ بصره في آخر عمره، فسكن الطّائف وتوفيَ بها سنة 68هـ. ينظر: الاستيعاب في أسماء الأصحاب. لأبي عمر يوسف بن عبد البر النّمري القرطبي. دار الفكر: بيروت. 1426هـ، 2006م. ترجمة رقم: 1597. ج1. ص 559 إلى 563. أسد الغابة. ابن الأثير. ترجمة رقم: 3037. ج3. ص 291 إلى 295. سير أعلام النّبلاء. الذّهبي. ج3. ص 331 إلى 359.

[2] – الأَرَاك: هو شجر معروف طيّب الرّيح يُستاك به. ينظر: غريب كلمات صحيح البخاري. عبد المتعال محمّد الجبري. ص29.

[3] – الجامع الصحيح. محمّد بن إسماعيل البخاري. قام بشرحه وتحقيقه: محب الدين الخطيب، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه واستقصى أطرافه: محمد فؤاد عبد الباقي، نشره وراجعه،وقام بإخراجه وأشرف على طبعه: قصيّ محب الدين الخطيب. المطبعة السّلفية: مصر. ط1، 1400هـ.كتاب التّفسير. باب ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ . حديث رقم:4913. ج3. ص 313. الجامع الصحيح. مسلم بن الحجاج. كتاب الطّلاق. باب في الإيلاء واعتزال النّساء وتخييرهنّ. ج4. ص190.

[4] – ظَهْرَان: واد قرب مكّة، وعنده قرية يقال لها مرُّ، تضاف إلى هذا الوادي فيقال مرُّ الظهران، وهو ما يعرف اليوم بالجموم على أكيال من مكة. ينظر: معجم البلدان. لشهاب الدّين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي. دار صادر: بيروت. 1397هـ، 1977م. ج4. ص 63. مراصد الاطّلاع على أسماء الأمكنة والبقاع. لصفيّ الدّين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي. تحقيق: علي محمّد البجاوي. دار الجيل: بيروت. ط1، 1412هـ، 1992م. ج2. ص 906.

[5] – الجامع الصّحيح. محمّد بن إسماعيل البخاري. كتاب تفسير القرآن.باب ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾. حديث رقم: 4915. ج3. ص314.

3- وممّا يدلّ كذلك على عناية السّلف الصّالح بهذا العلم هو ما أثر عن عكرمة[1] رضي الله عنه في قوله تعالى :﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ النّساء الآية :100. قال عكرمة مولى ابن عباس : " طلبت اسم هذا الرجل أربع عشرةَ سنةً حتَّى وجدتُه"[2].

وفي حديث ابن عباس وقول عكرمة دلالة واضحة أيضًا على عناية ذلك الجيل بهذا العلم واشتغالهم به، قال الإمام السُّهيليّ: "فهذا أوضح دليل على اعتنائهم بهذا العلم ونفاستِه عندهم والله عزّ وجلّ يعظم الأجر في تعريف ذلك، و يجزل الذّخر ويحفظنا في جميع أحوالنا من السّمعة والرّياء"[3]، وكذلك يفهم من صنيعهم هذا أنّ الاشتغال به حسن وفضل، قال الإمام السُّهيليّ بعد ذكره لقول عكرمة: "وفي قول عكرمة دليل على شرف هذا العلم قديما وأنّ الاعتناء به حسن، وأنّ المعرفة به فضل"[4]، وقال كذلك الإمام السّيوطي عقب ذكره لحديث ابن عبّاس ما نصّه: "قال العلماء هذا أصل علم المبهمات "[5].

---

[1] – هو عكرمة بن عبد الله، أبو عبد الله البربري المدني، مولى عبد الله بن عبّاس، تابعي، كان من أعلم النّاس التّفسير والمغازي، طاف البلدان، وروى عنه زهاء ثلاثمائة رجل، منهم أكثر من سبعين تابعيًّا، توفي بالمدينة سنة 105هـ. ينظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني. دار الكتب العلمية: بيروت. ط1، 1409هـ، 1988م. ترجمة رقم: 245. ج3. ص 326 إلى 247. تهذيب تهذيب الكمال في أسماء الرّجال. لشمس الدّين أبي عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان (الشهير بالذّهبي). تحقيق: غنيم عبّاس غنيم، مجدي السّيد أمين. دار الفاروق الحديثة: القاهرة. ط1، 1425هـ، 2004م. ترجمة رقم: 4703. ج6. ص 402 إلى 409. الأعلام. ج4. ص 244.

[2] – الجامع لأحكام القرآن والمُبيّنُ لما تضمَّنَه من السّنة وآي الفرقان. لأبي عبد الله محمَّدِ بنِ أحمدِ بن أبي بكرٍ القُرطبيِّ. تحقيق: عبد الله عبد المحسن التّركي. مؤسسة الرّسالة: بيروت. ط1، 1427هـ، 2006م. ج1. ص46.

[3] – التّعريف والإعلام.عبد الرّحمان السّهيلي. تحقيق: عبد.أ. علي مهنّا. دار الباز: مكة المكرّمة. ط1، 1407هـ، 1987م. ص 16.

[4] – المصدر نفسه. ص 16.

[5] – مفحمات الأقران. جلال الدين السّيوطي. ص 8.

ثالثًا: كثرة التّأليف فيه[1]:

فإنّ النّاظر فيما كتب قديمًا وحديثًا في علم المبهمات وما يتعلق به، يجد عددًا ليس قليلاً من الكتب والتّآليف في هذا العلم، وهذه المؤلفات أوردها فيما يلي:

- "التّعريف والإعلام فيما أبهم من القرآن" للعلاّمة عبد الرّحمان السُّهيلي.
- "التّكميل والإتمام فيما أبهم من القرآن" لابن عسكر.
- "غرر التّبيان في من لم يسم في القرآن" لبدر الدّين ابن جماعة .
- "صلة الجمع وعائد التّذييل" للإمام البلنسي.
- "مفحمات الأقران في مبهمات القرآن" للإمام السّيوطي.
- "الياقوت والمرجان لمبهمات القرآن" للدكتور عبد الجواد خلف.

وغيرها من المؤلفات التي تدلّ على اهتمام العلماء بهذا العلم، وإعطائه جانبًا من الأهمية بإفراده في التّأليف، فهذا وإن دل على شيء فإنّما يدل على شرف هذا العلم وفضله.

[1] – سأقتصر على ذكر بعضها باختصار، لأنّ تفصيلها في المبحث الثّالث من هذا الفصل.

رابعًا: عناية كتب علوم القرآن بهذا العلم:

فقد أُفرد بباب خاصّ كما فُعِلَ بأنواع علوم القرآن الأخرى، وهو بارزٌ في أمهات كتب علوم القرآن، كالبرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزّركشي[1]، حيث جعل النّوع السّادس من أنواع علوم القرآن: علم المبهمات، والإتقان والتّحبير كلاهما للإمام السّيوطي حيث جعله في الكتاب الأوّل النوع السّبعين وفي الكتاب الثّاني النّوع رقم مائة، وكذلك ابن عَقِيلة المكّي[2] في كتابه الزّيادة والإحسان في علوم القرآن حيث جعل النّوع الرابع والثلاثين بعد المائة علم مبهمات القرآن.

وبناءً على ما سبق ذكره يمكن القول بأنّ علم المبهمات علم له أهميته وفائدته وقيمته كبقية علوم القرآن وإن تفاوتت في ذلك، إلاّ أنّه يمكن أن نعتبره من العلوم التي لا يمكن لأي دارس لعلوم القرآن أن يجهله.

---

[1] – هو محمّد بن بهادر بن عبد الله الزّركشي، أبو عبد الله بدر الدّين، عالم بفقه الشّافعية والأصول، تركي الأصل مصري المولد والوفاة، له تصانيف كثيرة في عدة فنون، منها البحر المحيط، البرهان في علوم القرآن، توفي سنة: 794هـ. ينظر: الدّرر الكامنة. ترجمة رقم: 1059. ج3. ص 397، 398. الأعلام. ج6. ص 60، 61.

[2] – هو محمد بن أحمد بن سعيد بن مسعود المشتهر كوالده بعَقِيلَة المكّي الحنفي، يكنى أبا عبد الله، مؤرّخ، من المشتغلين بالحديث، من أهل مكّة مولده ووفاته فيها، من كتبه: لسان الميزان في التّاريخ رتبه على حوادث السنين إلى سنة 1123هـ، والفوائد الجليلة في الحديث، توفي سنة: 1150هـ. ينظر: سلك الدرر في أعيان القرن الثّاني عشر. لأبي الفضل محمّد خليل بن عليّ المرادي. دار الكتاب الإسلامي: القاهرة. ج4. ص 30، 31. فهرس الفهارس والأثبَات ومعجم المعَاجم والمشيخات والمسلسلات. عبد الحي بن عبد الكبير الكتّاني. إعتناء: إحسان عبّاس. دار الغرب الإسلامي: بيروت. ط2، 1402هـ، 1982م. ج2. ص 607، 607. الأعلام. ج6. ص 13.

المبحث الثّاني: صور مبهمات القرآن.

إنّ المبهمات الموجودة في القرآن الكريم كثيرة، كما أنّها قد وردت في صور وأنواع مختلفة، وأوّل من استنبط أنواع وصور المبهمات الموجودة في القرآن الكريم -بالتّتبع والاستقراء-؛ هو العلاّمة جلال الدّين السّيوطي في كتابيه الإتقان والتّحبير، **أمّا في كتابه الإتقان فقد** قسّمها إلى قسمين[1] وهما:

- **القسم الأول**: فيما أبهم من رجل أو امرأة أو ملك أو جِنّي أو مثنّى أو مجموعٍ عرف أسماء كلّهم أو "من"، أو "الذي" إذا لم يرد به العموم.

- **القسم الثاني**: في أسماء الجموع الذين عرف بعض أسمائهم.

و أشار **إلى القسم الثّالث** لكن لم يمثل له؛ و هو مبهمات الأقوام والحيوانات والأمكنة والأزمنة ونحو ذلك. وذكَر بأنّه استوفى الكلام عليه في مؤلّفه حول علم المبهمات؛ وهو بعنوان "مفحمات الأقران في مبهمات القرآن"، ولكن يبدو أنّ الإمام السّيوطي قد وهم لأنّه لم يتعرض إلى هذه الأقسام في مؤلّفه "مفحمات الأقران"، وإنّما تعرض لها بالشّرح والتّفصيل في "كتابه التّحبير في علم التّفسير"، أو يكون الذي حقق[2] كتاب "مفحمات الأقران في مبهمات القرآن" لم يتمكن من الحصول على النسخة التي ذكرت فيه أنواع مبهمات القرآن أي أنّها ضاعت- والله أعلم-.

وأمّا الكتاب الثّاني فهو التّحبير في علم التّفسير فقد قسّم فيه مبهمات القرآن إلى أربعة أقسام[3] أي أنّه زاد قسمًا على ما ذكره في الإتقان، وهي على النّحو الآتي:

---

[1] - ينظر: الإتقان في علوم القرآن. جلال الدّين السّيوطي. تحقيق: مركز الدراسات القرآنية: المملكة العربية السعودية. ج6. ص 2022 إلى 2096.

[2] - ممّن حققّه مصطفى ديب البغا.

[3] - ينظر: التّحبير في علم التّفسير. جلال الدّين السّيوطي. تحقيق: فتحي عبد القادر فريد. دار العلوم: الرّياض. ط1، 1402هـ، 1982م. ص 391 إلى 436.

-القسم الأوّل: فيما أبهم من رجل أو امرأة أو ملك أو جِنّي أو مثنّى أو مجموعٍ عرف أسماء كلّهم أو "من"، أو "الذي" إذا كان نصًّا للواحد.

- القسم الثّاني: مبهمات الجموع.

- القسم الثّالث: في المبهم من أسماء الحيوانات و الأمكنة والنّجوم ونحوها.

- القسم الرّابع: في المبهم من أسماء الأيّام و اللّيالي وسائر الأزمنة.

ونحن هنا استنادًا واعتمادًا على ما سبق، مع نظر وتأمل في ما حوته تلك التّقاسيم من معارف يمكن تقسيـــم هذه المبهمات إلى نوعين رئيسين مع الشّرح والتّمثيل لكن نوع منهما، وذلك عبر مطلبين اثنين كما يأتـــي:

المطلب الأوّل: مبهمات يجب التّوقف فيها ولا يجوز البحث عنها .

وهو كلّ مبهم استأثر الله بالعلم به، وأخبرنا بذلك، و هذا النّوع من المبهمات يجب التّوقف فيه و الخوض فيه محرّم، ولا يصّح معرفته، قال الزّركشي في كتابه البرهان: "...إلاّ أنّه لا يبحث فيما أخبر الله باستئثاره بعلمه"[1]، وقال الدكتور خالد بن عثمان السّبت بعد أن ذكر ما قرره الزركشي ما نصّه: "...ويتأكّد هذا الأمر حينما يكون المبهم ممّا أخبر الله تعالى باختصاصه بعلمه، ونفي ذلك عن الخلق فإنّ البحث عن مثل هذا سعي في متاهة، وسيرٌ في عماية، والذم الذي يلحق صاحبه آكد من الذّم الذي يلحق على الأوّل"[2]، وقال الدكتور عبد الجواد خلف: "مبهمات يجب التوقف عنها، ولا يصّح الخوض فيها أو البحث عن المراد منها وهو كل مبهم استأثره الله تعالى بعلمه وأخبرنا عنه بذلك"[3]، والمثال على ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ لقمان: 34. فمتى تقوم السّاعة لا يعلمها إلا هو سبحانه.

---

[1] - البرهان في علوم القرآن. بدر الدّين الزّركشي. تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم. دار التّراث: مصر. ط1، 1404هـ، 1984م. ج1. 155.

[2] - قواعد التّفسير. خالد السّبت. ج2. ص 718.

[3] - مباحث في مبهمات القرآن. عبد الجواد خلف. ص 17.

المطلب الثّاني: مبهمات يجوز البحث فيها وطلب معرفتها:

المراد بهذا النّوع هو الأسماء التي لم يصرّح بها في القرآن الكريم من الأعلام والأزمنة والأمكنة وغير ذلك و لم يرد في الشَّرع نهيٌ عن البحث فيها وبيانها، فحكمها إذن هو جواز الكشف عنها، علمًا أنّ جلّ المبهمات الواردة تكاد تكون من هذا النّوع، الذي ينقسم بدوره إلى أربعة أقسام وهي كالآتي:

الفرع الأوّل: مبهمات الأشخاص والملائكة التي أريد بها التّعيين.

وهو كلّ ما أبهم في القرآن من رجل أو امرأة أو ملك أو جنّي أو مثنّى أو مجموعٍ عرف أسماء كلّهم أو "من"، أو "الذي" إذا لم يُرد به العموم وأريد به التّعيين، والأمثلة على ذلك ما يأتي:

المثال الأوّل:

قوله تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّۖ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِۚ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ المائدة: 27.

المقصود من ﴿ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ ﴾ في الآية هما قابيل وهابيل، وهذا الأخير هو المقتول، وفي هذا يقول الإمام أبو جعفر الطّبري[1] عقب تفسيره لهذه الآية: "... وكان المقرَّبان ابني آدم لصلبه أحدهما: هَابيل، والآخر قَابيل"[2]، ثمّ ساق الرّوايات في ذلك. وقال الإمام السّهيلي في بيانه للمبهم في هذه الآية: "وإنّما هما من بني آدم لصلبه وهما قابيل وهابيل..."[3].

فهذا المثال من الأمثلة عن المثنى المبهم الذي عرفت أسماؤهما.

---

[1] – هو محمّد بن جرير بن يزيد بن كثير الطّبري، أبو جعفر المؤرّخ المفسّر الإمام، ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها، طلب العلم بعد الأربعين ومائتين، وأكثر التّرحال ولقي نبلاء الرّجال، وكان من أفراد الدّهر علمًا، وذكاءً، وكثرة التّصانيف قلّ أن ترى العيون مثله، عرض عليه القضاء فامتنع، من كتبه: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، توفي سنة: 311هـ. ينظر: وفيات الأعيان. ج4. ص 191، 192. سير أعلام النّبلاء. ج 14. ص 267 إلى 282. الأعلام. ج6. ص 69.

[2] – جامع البيان عن تأويل آي القرآن. لأبي جعفر محمّد بن جرير الطّبري. تحقيق: عبد المحسن التّركي. دار هجر: مصر. ط1، 1422هـ، 2001م. ج8. ص316، 317.

[3] – التّعريف والإعلام. السّهيلي. تحقيق: عبد الإله مهنّا. ص 49.

المثال الثّاني:

من الأمثلة عن المبهمات المفردة التي يراد بها شخصًا بعينه ما ورد في قــوله تــعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴾ المجادلة: 1.

فالتي جادلت النّبيّ صلى الله عليه وسلّم في زوجها في هذه الآية هي خولة بنت ثعلبة[1] وزوجها هو أوس بن الصّامت[2]، قال الإمام بدر الدّين ابن جماعة: "﴿ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ ﴾ هي خولة بنت حكيم، وقيل بنت ثعلبة، ﴿ فِي زَوْجِهَا ﴾ هو أوس بن الصّامت"[3]، ويؤكّد هذا الكلام فيما روي عن خويلةَ بنتِ مالكِ بنِ ثعلبةَ قالتْ: ظاهرَ منِّي زوجِي أوسُ بنُ الصَّامتِ، فجئتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أشكُو إليه، ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يُجَادلني فيه، ويقول: " اتَّقِي الله فإنه ابنُ عمِّك" ، فما برحتُ حتَّى نزلَ القرآن: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ المجادلة: 1..."[4].

فنرى من خلال هذا المثال أنّه يندرج ضمن مبهمات الأفراد الذين عرفت أسماؤهم على التّعيين من رجل أو امرأة.

---

[1] – هي خولة بنت ثعلبة، ويقال خويلة، وقيل خولة بنت حكيم، وقيل خولة بنت مالك بن ثعلبة بن أصرم، أمّا عروة ومحمّد بن كعب، وعكرمة فقالوا: خولة بنت ثعلبة، كانت تحت أوس بن الصّامت فظاهر منها وفيها نزلت: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ إلى آخر القصّة في الظّهار. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب. ابن عبد البر. صححه وخرج أحاديثه: عادل المرشد. دار الأعلام: الأردن. ط1، 1423هـــ، 2002م. ترجمة رقم: 3284. ص 893، 894. أسد الغابة. ترجمة رقم: 6886. ج7. ص 92، 93. الإصابة. ترجمة رقم: 11244. ج13. ص 340 إلى 344.

[2] – هو أوس بن الصّامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم، أخو عبادة بن الصّامت، شهد بدرًا والمشاهد كلّها مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، قال ابن عبّاس: أول ظهار كان في الإسلام أوس بن الصّامت، سكن هو وشداد بن أوس بيت المقدس وتوفي بالرملة سنة: 34هـــ. ينظر: أسد الغابة. ترجمة رقم: 308. ج1. ص 323. تهذيب التهذيب. ج1. ص 422.

[3] – غرر التبيان. بدر الدين ابن جماعة. ص 502.

[4] – سيأتي تخريجه ص 76.

المثال الثّالث:

قوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ الشّعراء: 193 – 194.

المبهم في الآية هو قوله: ﴿ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴾ والمراد به جبريل عليه السّلام، وإلى هذا المعنى ذهب جماهير أهل التّفسير، قال ابن عطية الأندلسي[1]: "و﴿ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴾ جبريل عليه السّلام بإجماع"[2]، وقال الإمام ابن كثير[3]: "﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴾ وهو جبريل عليه السّلام، قاله غير واحد من السّلف: ابن عبّاس، محمّد بن كعب، وقتادة...وهذا ممّا لا نزاع فيه"[4]، وقال الإمام ابن عاشور[5]: " و﴿ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴾ جبريل وهو لقبه في القرآن، سمّي روحًا لأنّ الملائكة من عالم الروحانيات وهي المجرّدات"[6].

فنلاحظ في هذا المثال أنّه من مبهمات الملائكة التي يراد بها ملك معيّن دون غيره.[7]

---

[1] – هو عبد الحق بن غالب بن غالب بن عطية أبو محمّد الغرناطي، مفسّر فقيه وله شعر، ولد سنة 481هـ، ولي قضاء المرية، وكان يكثر من الغزوات في جيوش الملثمين، من مصنفاته: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، توفي سنة: 542هـ. ينظر: طبقات المفسّرين. عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. تحقيق: علي محمد عمر. مكتبة وهبة: القاهرة. ط1، 1396هـ. ج1. ص 50. بغية الوعاة. ج2. ص 73.

[2] – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. لأبي عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي. تحقيق: عبد السلام عبد الشافعي محمّد. دار الكتب العلمية: بيروت. ط1، 1422هـ، 2001م. ج4. ص 242.

[3] – هو إسماعيل بن عمر ابن كثير بن ضوء بن درع القرشي البُصْرَوِيّ ثمّ الدمشقي، أبو الفداء عماد الدين، حافظ، مؤرّخ، فقيه، ولد في قرية من أعمال بصرى الشّام، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة 706هـ، ورحل في طلب العلم، من تصانيفه البداية والنهاية، تفسير القرآن العظيم، توفي سنة: 774هـ. ينظر: الدرر الكامنة. ج1. ص 373 ، 374. شذرات الذهب. ج8. ص 397 إلى 399. الأعلام. ج1. ص 320.

[4] – تفسير القرآن العظيم. لأبي الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير. تحقيق: سامي بن محمّد سلامة. دار طيبة: الرياض. ط1، 1420هـ، 1999م. ج6. ص 162.

[5] – هو محمد الطّاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة، ولد سنة 1296هـ بتونس، عيّن شيخًا للإسلام مالكيًّا سنة: 1932م، وكان من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة، له عدة مؤلفات منها: تفسير التّحرير والتّنوير، مقاصد الشريعة الإسلامية، توفي سنة: 1393هـ. ينظر: الأعلام. ج6. ص 174. معجم المؤلفين. ج2. ص 12.

[6] – تفسير التحرير والتنوير. محمد الطاهر ابن عاشور. الدار التّونسية للنشر: تونس. ج19. ص 189.

[7] – من الأمثلة أيضًا التي تندرج تحت هذا النّوع؛ ما ورد في الآيات الآتية: ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ ﴾ البقرة: 30، ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ ﴾ البقرة: 258، ﴿ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗا ﴾المائدة: 12، =

الفرع الثّاني: مبهمات الجموع الذين عرفت بعض أسمائهم:

المراد بهذا النّوع هو: المبهمات الواردة في القرآن الكريم بصيغة الجمع لكن لا نستطيع بيان كلّ من أُريد بهذه الجموع وإنّما يمكن معرفة بعض أسمائها، قال الإمام السّيوطي رحمه الله: "هو الذي سُمّيَ بعضهم"[1] أي عرفت بعض أسماء مبهمات القرآن دون آخرين، ومن أمثلته ما يأتي:

المثال الأوّل:

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ آل عمران: 23 .

سُمِّي من هؤلاء ﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ في ما رواه الإمام الطّبري في تفسيره : نعيم بن عمرو والحارث بن زيد، فقد روى بإسناد له إلى ابن عباس قال: دخل رسول الله صلّى الله عليه وسلم بيت المِدْرَاسِ على جماعة من يهود فدعاهم إلى الله، فقال له نعيم[2] بن عمرو والحارث

=﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ﴾ المائدة: 23، ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ الأعراف: 175، ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾التوبة: 40، ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ ﴾ هود: 42، ﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾ يوسف: 58، ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ﴾يوسف: 36، ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا ﴾ النحل: 92، ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ الكهف: 9، ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴾ الكهف: 60، ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ مريم: 77 ، ﴿ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ النمل: 23، ﴿ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ النمل: 48، ﴿ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ القصص: 9، ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ الأحزاب: 37، ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ يس: 20. فكلّ مبهمات هذه الآيات يراد بهم أفرادًا بعينهم.

[1] – التّحبير في علم التّفسير. جلال الدّين السّيوطي. ص407.

[2] – قال العلاّمة أحمد شاكر في تعليقه على هذا الأثر: "في المخطوط والمطبوع نعيم بن عمرو وكذلك جاء في تفسير القرطبي ج4. ص 50. وتفسير البغوي (بهامش ابن كثير) ج2. ص 119. ولكن الذي جاء في رواية ابن هشام عن ابن إسحاق في سيرته ج2. ص 201. (نعمان بن عمرو)، وكذلك جاء أيضًا فيما أخرجه السّيوطي في الدّر المنثور ج2. ص 14. ونسبه إلى ابن إسحاق وابن جرير، وابن المنذر وابن أبي حاتم، والاختلاف في أسماء اليهود كثير مشكل!!". ينظر: جامع البيان. الطّبري.=

بن زيد: على أيِّ دين أنت يا محمّد؟ فقال: "على ملّةِ إبراهيمَ ودينه"، فقالا: فإنَّ إبراهيمَ كان يهوديًّا. فقال لهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "فهلُمُّوا إلى التّوراةِ فهي بيننَا وبينَكُم". فأبيَا عليه. فأنزل الله عزَّ وجلّ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ إلى قوله ﴿ مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾"[1]. وقال الإمام السّهيليّ: "قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ هما النّعمان بن عمرو والحارث بن زيد..."[2].

المثال الثّاني:

من الأمثلة على مبهمات الجموع الذين عرفت بعض أسمائهم ما ورد في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ النّـــساء: 98.

سُمِّي من هؤلاء ﴿ ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ ﴾ عبد الله ابن عباس وأمُّه أمُّ الفَضْلِ[3]، وذلك لما رواه الإمام البخاريّ في صحيحه عن عُبَيدِ الله بن أبي يزيد[4] قال: "سمعت ابن عباس رضي الله عنهما قال:

=حققّه وعلّق حواشيه: محمود محمّد شاكر. راجعه وخرّج أحاديثه: أحمد محمود شاكر. مكتبة ابن تيمية: القاهرة. ط2، ج6. ص 288.

[1] – جامع البيان. الطّبري. ج 5. ص 293.

[2] – التّعريف والإعلام. السّهيلي. تحقيق: عبد إ. مهنّا. ص32.

[3] – هي لبابة بنت الحارث بن حزن الهلالية، أخت ميمونة أمّ المؤمنين، يقال أنّها أوّل امرأة أسلمت بعد خديجة، توفيت رضي الله عنها بعد زوجها العباس في خلافة عثمان. ينظر: الاستيعاب. صححّه وخرّج أحاديثه: عادل مرشد. ترجمة رقم: 3445. ص 935. الإصابة. ترجمة رقم: 12342. ج 14. ص 476، 477.

[4] – هو عبيد الله بن أبي يزيد المكّي، مولى آل قارظ بن شيبة الكنانيُّ، حلفاء بني زهرة، وقال البخاريّ: مولى أهل مكّة، وثّقه علي بن المدينيّ وغيرُه، وهو من كبار مشيخة ابن عيينة كعمروا بن دينار وأبي إسحاق. توفي سنة: 126هـــ. ينظر: رجال صحيح مسلم. لأبي بكر أحمد بن علي بن منجويه الأصبهاني. تحقيق: عبد الله الـــلّيثي. دار المعرفة: بيروت. ط1، 1407هـــ، 1987م. ترجمة رقم: 1041. ج2. ص 18، 19. تهذيب الكمال. ترجمة رقم: 3697. ج19. ص 178، 179. سير أعلام النّبلاء. ج5. ص242.

كنت أنا وأمّي من المستضعفين"، وفي رواية أبي مُليكَة[1]: "أنّ ابن عباس تلا ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ ﴾ قال كنت أنا وأمّي ممّن عذر الله "[2].

إلى غير ذلك من الأمثلة التي تندرج ضمن هذا النّوع [3].

الفرع الثّالث: مبهمات الأمكنة و الأزمنة والأعداد:

هي المبهمات الواردة في القرآن الكريم التي تدلّ على مكان أو زمن أو عدد بعينه، ومن الأمثلة على ذلك ما يأتي:

المثال الأوّل:

من الأمكنة التي لم يصرّح بها في القرآن الكريم ما ورد في قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا ﴾ النّساء: 75.

المراد بـــ "القرية" في هذه الآية مكّة؛ قال الإمام البلنسي: "...والقرية الظّالم أهلها: مكّة"[4]، وقال الإمام أبو جعفر عقب تفسيره لهذه الآية: "...يعني بذلك أنّ هؤلاء المستضعفين من الرّجال والنّساء والولدان يقولون في دعائهم ربّهم، بأن ينجيهم من فتنة من قد استضعفهم من المشركين:

---

[1] – هو عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة التيمي المكي قاض، من رجال الحديث الثّقات. ولاه ابن الزّبير قضاء الطّائف. توفي سنة 117هـــ. ينظر: تهذيب الكمال. ترجمة رقم: 3405. ج15. ص 256 إلى 258. تهذيب التّهذيب. ترجمة رقم: 3456. ج5. ص 218، 219. الأعلام. ج4. ص 102.

[2] – الجامع الصّحيح. محمّد بن إسماعيل البخاري. كتاب التّفسير. سورة النّساء. باب ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ حديث رقم: 4587. ج3. ص218، 219.

[3] – منها ما ورد في الآيات الآتية: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ﴾البقرة: 189، ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ ﴾ البقرة: 217، ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ﴾البقرة: 219، ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾آل عمران: 23، ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ آل عمران: 181،﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ الحجر: 95، ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ الأحزاب: 23 ، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ الحجرات: 4،﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴾ الفيل: 1.

[4] – صلة الجمع وعائد التذييل. البلنسي. ج1. ص 241.

يا ربّنا أخرجنا من هذه القرية، والعرب تسمي كل مدينة قرية...وهي في هذا الموضع –فيما فسّره أهل التّأويل– مكّة"[1].

المثال الثّاني:

ومن الأزمنة التي لم يَرد التّصريح بها في القرآن ما ورد في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾التّوبة: 36.

فالمراد بـــ: "الأشهر الحرم" في هذه الآية هي ذو القعدة وذو الحجّة ومحرّم ورجب، لما رواه الإمام البخاريّ في صحيحه عن أبي بكرةَ رضيَ اللهُ عنه[2]، عن النّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم، قال: "الزّمان قدِ استدارَ كهيئتِهِ يومَ خلقَ اللهُ السَّمواتِ والأرضَ، السَّنةُ اثنا عشرَ شهْرًا، منها أربعةٌ حرمٌ، ثلاثَةٌ متواليات: ذُو القِعْدَةِ وذُو الحجَّةِ والمُحَرَّم، ورجَبُ مُضَرَ، الذي بين جُمَادَى وشَعْبَانَ"[3].

المثال الثالث:

من الأمثلة عن مبهمات الأعداد في القرآن الكريم ما ورد في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾ الشّعراء: 54.

فالشّرذمة في الآية عددها مبهم بيد أنّ بعض المفسّرين قاموا ببيانها، مثل صنيع الإمامين الطّبري في قوله: "وذكر أنّ الجماعة التي سمّاها فرعون شرذمةً قليلين كانوا ستمائة ألف وسبعين ألفًا"[4]،

---

[1] – جامع البيان. الطّبري. ج 7. ص 225.

[2] – هو نفيع بن الحارث بن كلدة الثّقفي، أبو بكرة صحابي من أهل الطّائف، له 132 حديث، وإنّما قيل له أبو بكرة لأنّه تدلّى ببكرة من حصن الطّائف إلى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم. وهو ممّن اعتزل الفتنة أيّام الجمل والصّفين. توفي بالبصرة سنة 52هـــ. ينظر: الإصابة. ترجمة رقم: 8832. ج11. ص 120، 121. تهذيب التّهذيب. ترجمة رقم: 7220. ج 9. ص 237. الأعلام. ج8. ص 44.

[3] – الجامع الصّحيح. محمّد بن إسماعيل البخاري. كتاب بدء الخلق. باب ما جاء في سبعِ أرضينَ. حديث رقم: 3197. ج2. ص 420.

[4] – جامع البيان. الطبري. ج 17. ص 573.

والإمام البغوي[1] في قوله: "﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ ﴾ عصابة﴿ قَلِيلُونَ ﴾، والشّرذمة القطعة من النّاس غير كثير، وجمعها شراذم. قال أهل التّفسير: كانت الشّرذمة الذين قللهم فرعون ستمائة ألف، وعن ابن مسعود قال: كانوا ستمائة وسبعين ألفًا، ولا يحصى عدد أصحاب فرعون"[2].

إلى غير ذلك من الأمثلة التي تدخل في هذا النّوع.[3]

الفرع الرّابع: مبهمات الحيوانات والنّباتات والكواكب:

هذا النّوع في كتاب الله تعالى قليل بالنّظر إلى الأنواع الأخرى الكثيرة، كما أنّ كشف وبيان مبهمات هذا النّوع غالبًا لا يكون إلاّ بالاعتماد والنّظر في روايات أهل الكتاب، و كثيرًا ما تكون هذه الروايات متعددة أو متضاربة أحيانًا، ومن الأمثلة على ذلك ما يأتي:

المثال الأوّل:

قوله تعالى:﴿ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ البقرة: 260.

---

[1] – هو الحسين بن مسعود بن محمد، الفرّاء، أو ابن الفراء، أبو محمد ويلقب بمحيي السّنة، البغوي فقيه، محدّث، مفسّر، نسبته إلى بغا من قرى خراسان بين هراة ومرو، من مصنفاته شرح السنة، معالم التنزيل، توفي سنة: 510هـ. ينظر: وفيات الأعيان. ترجمة رقم: 185. ج2. ص 136، 137. الأعلام. ج2. ص 259.

[2] – معالم التنـــزيل .لأبي محمّد الحسين بن مسعود البغوي. حققه وخرّج أحاديثه: محمّد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش. دار طيبة: الرياض. 1411هـ. ج6. ص 114.

[3] – ومن الأمثلة أيضًا التي تندرج تحت هذا النّوع الأمثلة الآتية:﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ ﴾ البقرة: 58،﴿ ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞ ﴾ البقرة: 197، ﴿ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖ ﴾البقرة: 184، ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٞ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡ ﴾البقرة: 243، ﴿ أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ ﴾ البقرة: 259،﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا ﴾ النّساء: 75، ﴿ وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ﴾ الأعراف:163، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَا ﴾التوبة: 28، ﴿ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ ﴾ التوبة: 108، ﴿ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ﴾ يوسف: 42، ﴿ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ ﴾ الكهف: 19، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ ﴾ النمل: 18، ﴿ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴾ الروم: 3، ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٖ ﴾ الزخرف: 31، ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴾ البلد: 1.

وردت روايات عديدة في بيان نوع الطّيور التي أمر الله سبحانه وتعالى نبيّه إبراهيم الخليل عليه السّلام أن يأخذها، قال الإمام الطّبري: "يعني بذلك جلّ ثناؤه: قال الله له: فخذ أربعة من الطّير. فذكر أنّ الأربعة من الطّير: الدّيك والطّاووس، والغراب، والحمام"[1]. وروى هذا القول مجاهد[2] وابن جريج[3]. وروي عن ابن عباس أنّه قال: "هي الغرنوق، والطّاووس والدّيك والحمامة". وروي عنه أيضًا قال: "أنّه أخذ وزًّا و رألاً – وهو فرخ النّعام- ، وديكًا وطاووسًا"[4]. إلى غير ذلك من الأقوال التي ذكرت في بيان أنواع هذه الطّيور.

المثال الثّاني:

قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ الفتح: 18.

قال الإمام السّهيلي في بيانه لنوع الشّجرة التي بايع تحتها الرسول صلى الله عليه وسلّم ومن معه من المؤمنين ما نصّه: " كانت الشجرة سَمُرَة[5]، فهي من شجر العضاه[6] ..."[7]، وقال بدر الدين

---

[1] – جامع البيان. الطّبري. ج4. ص633.

[2] – هو مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، مولى بني مخزوم تابعيّ مفسّر من أهل مكّة، قال عنه الذّهبي: "شيخ القرّاء والمفسّرين"، أخذ التّفسير عن ابن عبّاس قرأه عليه ثلاث مرّات، يقف عند كلّ آية يسأله: فيم نزلت؟ وكيف كانت؟، وتنقل في الأسفار واستقر بالكوفة، وقيل مات وهو ساجد سنة: 104هـ. ينظر: تهذيب الكمال. ترجمة رقم: 5783. ج 27. ص 228 إلى 235. سير أعلام النّبلاء. ج4. ص 449 إلى 457. الأعلام. ج 5. ص278.

[3] – هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، أبو الوليد و أبو خالد، فقيه الحرم المكّي، كان إمام أهل الحجاز في عصره، وهو أوّل من صنّف التّصانيف في العلم بمكّة. روميُّ الأصل من موالي قريش، مكّي المولد و الوفاة. توفي سنة 150هـ. ينظر: تهذيب الكمال. ترجمة رقم: 3539. ج 18. ص 338 إلى 353. تذكرة الحفّاظ. لأبي عبد الله شمس الدّين محمّد الذّهبي. دار الكتب العلمية: بيروت. ج1. ص 92، 93. الأعلام. ج 4. ص 160.

[4] – ينظر: تفسير القرآن العظيم. ابن أبي حاتم. تحقيق: أسعد محمّد الطّيب. مكتبة نزّار الباز: مكة المكرّمة. ط1، 1417هـ، 1997م.ج2. ص 511. تفسير القرآن العظيم. ابن كثير. ج1. ص 689.

[5] –السّمُرَة بضم الميم: من شجر الطّلح ...والسَّمُرُ ضربٌ من العِضاهِ، وقيل من الشّجر صغارُ الورق، قصار الشّوك. ينظر: لسان العرب. ابن منظور. ج23. ص 2092.

[6] –العِضَاه: هو كلُّ شجرٍ يَعظم وله شوك. ينظر: الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية. لإسماعيل بن حمّاد الجوهري. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار. دار العلم للملايين: بيروت. ط3، 1404هـ، 1984م. ج 3. ص 2240.

[7] – التّعريف والإعلام. تحقيق: عبد الإله مهنّا. ص 159.

ابن جماعة: "﴿ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ هي سمرة من عضاة الحديبية، كان جالسًا تحتها في بيعة الرضوان"[1].

ومنه فإنّنا نرى أنّ هذا المثال يدخل في مبهمات النباتات التي لم يصرّح بنوعها في القرآن الكريم.

المثال الثّالث:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴾ الأنعام: 76.

اختلف أهل التّفسير في نوع الكوكب الذي رآه نبيّ الله إبراهيم عليه السّلام على عدة أقوال، فمنه من قال أنّه الزّهرة، وممّن نسب إليه هذا القول زيد بن عليّ[2] وذلك في ما رواه ابن أبي حاتم[3] حاتم[3] عن زيد بن علي في قوله: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ﴾ قال: الزّهرة[4].

وهناك من قال إنّه المشتري، وممّن نسب إليه هذا القول الإمام السّدي[5]، وذلك في ما رواه أيضًا ابن أبي حاتم بسند له إلى السّدي في قول الله تعالى ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ﴾ قال هو المشتري[6].

وغير ذلك من الأقوال التي وردت في بيان نوع الكوكب الذي رآه إبراهيم عليه السّلام، وذكرها كتب التّفسير، وكلّها مأخوذة عن أهل الكتاب لأنّه لا يوجد في شرعنا بيانها.

---

[1] – غرر التّبيان. بدر الدين ابن جماعة. ص 482.

[2] – هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: الإمام، أبو الحسين العلوي الهاشمي القريشي، ويقال له "زيد الشّهيد"، قال أبو حنيفة: ما رأيت في زمانه أفقه منه ولا أسرع جوابًا ولا أبين قولاً، كانت إقامته بالكوفة، وقرأ على واصل بن عطاء واقتبس منه علم الاعتزال، توفي سنة 122هـ. ينظر: سير أعلام النّبلاء. ج5. 389 إلى 391. الأعلام. ج3.ص 59.

[3] – هو عبد الرّحمان بن محمد أبي حاتم ابن إدريس بن المنذر التّميمي الحنظلي الرّازي، أبو محمّد حافظ للحديث، من كبارهم، كان مترله في درب حنظلة بالرّي، وإليهما نسبته، توفي سنة 327هـ. ينظر: تذكرة الحفاظ. ترجمة رقم: 812. ج2. ص 829 إلى 832. الأعلام. ج3. ص 324.

[4] – تفسير ابن أبي حاتم. ج 4 . ص 1328.

[5] – هو إسماعيل بن عبد الرّحمن السّدي، تابعي حجازي الأصل، سكن الكوفة، صاحب التّفسير والمغازي والسّير، وكان إمامًا عارفًا بالوقائع وأيّام النّاس، توفي سنة: 128هـ.ينظر: النجوم الزّاهرة في ملوك مصر والقاهرة. لجمال الدّين أبي المحاسن يوسف بن تَغري بَردي الأتابكي. قدم له وعلّق عليه: محمّد حسين شمس الدّين. دار الكتب العلمية: بيروت. ط1، 1413هـ، 1992م. ج1. ص 390. الأعلام. ج1. ص 317.

[6] – تفسير ابن أبي حاتم. ج 4 . ص 1328.

وغيرها من الأمثلة التي تندرج تحت هذا النّوع[1].

وفي الختام يعتبر هذا التّقسيم باعتبار الغالب، لأنّه توجد بعض الجزئيات التي عدّها ممّن تكلّم في علم المبهمات من الإبهام، بيد أنّها لا تندرج تحت أيّ قسم من الأقسام السّالفة الذّكر، ومثال ذلك نوع الجزء من البقرة الذي ضرب به القتيل في قصّة موسى عليه السّلام[2]، فقد تكلّمت عنه كتب المبهمات و كتب التّفسير ببيان نوعه لكنّه لا يندرج تحت أيّ قسم من الأقسام السّابقة. والله أعلم.

---

[1] – ومن الأمثلة أيضًا التي تندرج ضمن هذا النّوع: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ يوسف: 4، ﴿ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ﴾الكهف: 18، ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَاآدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴾ طه: 120 . ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَاأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ النمل: 18، ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾ النمل: 20، ﴿ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴾ التكوير:16.

[2] – من الأمثلة كذلك التي لا تندرج تحت أي صنف من الأصناف السّابقة نوع الصّنم في قوله تعالى: ﴿ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ ﴾الأعراف: 138، واسم الريح في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴾ القمر: 19، والمراد بالصّلاة في قوله تعالى: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾ البقرة: 238.

المبحث الثّالث : المؤلفات في علم المبهمات.

عَني العلماء بعلم المبهمات قديما وحديثا، وكان من مظاهر ذلك كثرة تآليفهم في مباحثه ومسائله، ممّا يدل بجلاء على أهميته وغزير فائدته.

وقد أفادت كتب التاريخ والتّراجم والعلوم بعدد من تلك المؤلفات في هذا العلم ، المطبوع منها والمخطوط والمفقود، ومن أجل ذلك حاولت – قدر الجَهد – الوقوف على أسمائها وتوصيفها اعتمادًا على ما توفّر عندي من المعلومات والأخبار حولها، سواء أكانت هذه الــتّآليف مفردة لهذا العلم، أو غيرها من كتب علوم القرآن التي عَنت به، وذلك على النّحو الآتي:

المطلب الأول : المؤلفات المستقلة في هذا العلم.

سأحاول في هذا المبحث أنْ أذكرَ كلّ الكتب – التي عثرت عليها أو على عناوينها– وهي مفردة للتّأليف في علم المبهمات، وقد رتّبتها حسب تاريخ وفاة مؤلفيها، وهي كما يلي:

1– التّعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام ، للإمام عبد الرَّحمن السُّهَيْلِي: وهو أوّل كتاب أُلِّف في هذا العلم[1]، ويعدّ عمدةً في بابه، ونلخص ميزات هذا الكتاب في النّقاط الآتية:

– بدأ رحمه الله كتابه بمقدمة مختصرة بيّن فيها موضوع الكتاب، وأهمّية علم المبهمات عند السّلف.

– لم يشترط في كتابه ذكر الأحاديث الصّحيحة، فقال رحمه الله: "...وإن كنّا لم نشترط في هذا الكتاب على أن نقتصر على الصّحيح..."[2].

[1] - لكن هذا لا يعني أنّ هذا العلم لم يكن موجودًا قبل الإمام السُّهيلي، بل كان مبثوثًا في كتب التّفسير ومتداولاً بين العلماء، مثل تفسير مقاتل بن سليمان، والجامع البيان للإمام الطبري وتفسير ابن أبي حاتم.

[2] – التّعريف والإعلام. السّهيلي. تحقيق: مهنّا. ص 89.

– ذكر في نهاية الكتاب الباعث على تأليفه والمنهج العام الذي سار عليه؛ فقال رحمه الله: "كان إملائي لهذا الكتاب على سائل سألني عن هذه الأسماء المبهمة في القرآن إملاء ممّا حفظته قديمًا وحديثًا مطالعة ودرسًا في كتب التّفسير والأخبار، ومسندات الحديث والآثار، فمنه ما حفظت لفظه فأوردته كما حفظته، ومنه ما اختلفت فيه ألفاظ الرّواة فلم أتتبع جميعها ولكنّي لخصت المعنى متحرّيًا، وللصّواب في الأنحاء متوخيًّا، وأضربتُ عن الأسانيد لما رويته من ذلك مختصرًا إذ كان الكتاب جوابًا لسائل وعجالة لمستفهم ولكنّي أحلت في أكثره على المواضع التي منها أخذت، والدّواوين التي طالعت، وكذلك ما أوردت فيه من الأنساب فهو موجود أيضًا في كتب السّير وأنساب العرب المشهورة عند أهل الأدب، فلم أحتج إلى الاستشهاد على ما ذكرته بأكثر مما أوردته وأحلت عليه، ومن الله عزّ وجل أسأل الأجر، وإيّاه أستوجب جزيل الذّخر"[1].

– استطراده في ذكر أمور لا علاقة لها بعلم المبهمات، فمثلاً بَعدَ ذِكرِه للمراد بإسرائيل، بدأ في شرح الاسم وبيان أصله؛ هل هو عربي أم عبراني وسرد الأدلة في ذلك[2].

وقد نال هذا الكتاب اهتمامًا واضحًا من قبل نخبةٍ من الباحثين، دراسةً وتحليلاً وتحقيقًا، أذكر منهم:

أ– الباحث عبد الله محمّد علي النّقراط، فقد قام بتحقيق هذا الكتاب وذلك لنيل درجة الماجستير، وعمله هذا مطبوع بكلية منشورات الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على الـــتّراث الإسلامي بالجماهيرية الليبـــية، ســـنة: 1992م.

ب– الباحث يحيى حمْد بن صالح، فقد قام هو الآخر بتحقيق هذا الكتاب لنيل درجة الماجستير بكلية أصول الدين، قسم القرآن وعلومه: الرّياض. تحت إشراف الدكتور منّاع القطان غير أنّه لم يطبع، و لم أتمكن من الاطّلاع عليه.

ج– الباحث هيثم عياش، وهو الآخر قد حقق الكتاب، وهو مطبوع بعنوان: "غوامضُ الأسماءِ المُبهمة والأحاديث المُسنَدة في القرآن" بدار الفكر العربي ودار الوسام: بيروت، سنة 1988م.

---

[1] – المصدر السّابق. ص 189، 190.

[2] – التّعريف والإعلام. السّهيلي. تحقيق: مهنّا. ص 20.

د – الباحث عبد الإله عليّ مهنّا، فقد حققه، و عمله هذا مطبوع من قبل دار الكتب العلمية في بيروت. توزيع: دار الباز في مكة المكرّمة. عام 1407هـ، 1987م.

وممّا تجدر الإشارة إليه في هذا الموضع أنّ ثمّة اختلافًا بين تحقيق الباحثِين النّقراط وعياش وعلي مهنّا، أنتجه اختلاف في عدد النسخ المعتمدة لدى المحقّقين، وطبيعتها، إذ هناك زيادات هامة في تحقيق النّقراط دون تحقيق عياش وعلي مهنّا، كما تفرّد عياش وعلي مهنّا في تحقيقهما بزيادت أُخَر، والعمل في تحقيق هذا الكتاب يكون غاية في الكمال – فيما يظهر لي – إذا جُمعَت هذه الأعمال كلّها مع العناية بتلك الزيادات عند كلٍّ أحد منهم في كتاب واحد.

هـ – الباحث محمود ربيع، فإنه ممّن حقّق الكتاب أيضا، فيما أفادهُ الدكتور حنيف بن حسن القاسمي،[1] وأنّه مطبوع سنة 1938م.

وعلى ضوء ما سبق يتبيّن أنّ العناية بكتاب السُّهيليّ كانت كبيرة، تظهر في جهود الباحثين والدّارسين في تحقيق نصّه ودراسة مسائله، وسبب ذلك في تقديري راجع إلى الإدراك التّام لقيمته العلمية، ولسبق وجوده وانتشاره، ممّا جعله كتابًا أمّا في بابه له أثره في حركة التّأليف في علم المبهمات بعده.

– كما ذكر بعض من ترجم للإمام عبد الرّحمان السُّهيلي[2] أنّ له كتابين آخرين في علم المبهمات أحدهما: " الإيضاح والتّبيين لما أبهم من تفسير الكتاب المبين"، والآخر هو: "المختصر الوجيز فيما تضمن كتاب الله العزيز في ذكر من لم يسم فيه باسمه العليم من نبي أو ولي وغيرهما آدمي أو ملك أو غير ذلك من كلّ شيء"، بيد أنّ الكتاب الأوّل لا يزال مخطوطًا في مكتبة المصغرات الفيلمية بقسم المخطوطات بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، رقمه في القسم: 1147، ورقمه التسلسلي: 104108[3]. وأمّا الثّاني فلم أعثر عليه لا مخطوطًا ولا مطبوعًا ولعله في حكم المفقود– والله أعلم–.

---

[1] – ينظر: تفسير مبهمات القرآن. البلنسي. ج1 . ص45.

[2] – ينظر: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين. إسماعيل باشا البغدادي. دار إحياء التراث العربي: بيروت. 1951م. ج1. ص 520. الأعلام. خير الدّين الزِّركلي. ج3. ص313.

[3] – تحصلت على هذه المعلومات من ملتقى أهل الحديث. خزانة التراث.

2- **كتاب البيان فيما أبهم من الأسماء في القرآن، لأبي عبد الله محمد بن سليمان الزّهري، الإشبيلي**[1]، ذكر هذا الكتاب بعض من ترجم له[2]؛ و لم أجد أحدا من المشتغلين بهذا الفن أشار إليه أو أخبر عنه، ولعله في حكم المفقود، والله أعلم.

3- **التّكميل والإتمام لكتاب التّعريف والإعلام، للعلاّمة أبي عبد الله ابن عسكر**: وهو الكتاب الثّالث الذي أُلِّف بعد كتاب الإمامِ السُّهَيْلي، وهو – كما هو واضح من عنوانه- محاولة لاستدراك وإكمال ما غفل عنه الإمام السُّهَيْلي من المبهمات في القرآن الكريم، ومقصده الشريف هذا قد أفصح عنه في مقدمة كتابه، فقد قال – بعد ثنائه الوافر على الإمام السُّهَيْلِي وكتابه- ما نصّه: " وقد أبدعَ في التَّصنيف في هذا الغرض، وبادرَ إلى أداء هذا المُفترض، شيخُ شيوخِنا، وأستاذُ أستاذِينا، ومعلمُ معلمِينا، العالمُ الأجلُّ، الإمامُ الأكملُ أبو زيد عبد الرَّحمان بن أبي الحسن السُّهيلي- رضوان الله عليه- ، فإنّه جمع في كتابه المسمّى بـــ(كتاب التّعريف والإعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء والإعلام)، فهو وإن كان ضئيلا حجمه؛ فقد أشرق في الإبداع نجمه، وإنّي لم أزلْ منذ رأيت مبناه، وفهمت مقصده الشريف ومنحاه، ارتشفت من حياضه، واقتطفت من أزاهيرِ رياضه ... **وأجد الشيخ رضي الله عنه قد أحلَّه ولم يحل مقفله، ألحقته من كتابه في الطُّررِ، وأضفتُ جوهرهُ إلى تلك الدُّررِ، حرصًا على أن تعظُم الفائدةُ لمن استفاد، وتبقى الفائدةُ بعد النّفادِ** "[3].

أمّا عن سمات الكتاب وميزاته، فإليك أهمّـــها فيما يـــأتي:

- استدرك على الإمام السُّهَيْلي تسعًا وسبعين وأربعمائة آية (479)، فيما أفاده الدكتور حسين عبد الهادي[4].

---

[1] - هو محمّد بن سليمان بن أحمد بن إبراهيم الزّهري، أبو عبد الله الإشبيلي المالكي النّحوي، عالم نحوي، ولد بمالقة، سكن إشبيلية، له من الكتب: أقسام البلاغة وأقسام الفصاحة، البيان فيما أبهم من الأسماء في القرآن، مات شهيدًا على يد التّـــتار سنة 617هـــ. ينظر: هدية العارفين. ج2. ص110. الأعلام. ج5. ص 320.

[2] - ينظر: هدية العارفين. إسماعيل باشا. ج2. ص110. الأعلام. الزركلي. ج5. ص 320.

[3] - التكميل والإتمام. ابن عسكر. ص34، 35.

[4] - نقلاً عن: تفسير مبهمات القرآن. البلنسي. ج1. ص47.

– يُورد الأقوال مجرّدة عن أسانيدها، فيكون قد نَهَجَ نَهْجَ شيخه إلاَّ قليلاً، كما أشار إلى ذلك في خاتمة كتابه، حيث قال: "واقتصرت على ذكر الأقوال في الأكثر، من غير إسناد، جريًا على مذهب الشّيخ[1] في كتابه"[2].

– يذكر عدد الآيات المتضمّنة للمبهمات في السّورة التي سيتناولها.

و هذا الكتاب أيضًا قد حظِيَ بعناية فائقةٍ من قبل كوكبة من الباحثين، أذكر منهم:

أ– الباحث حسين عبد الهادي، فقد عمل على الكتاب تحقيقًا وتعليقًا، تحت إشراف: محمد صالح مصطفى، وذلك لنيل درجة الدكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. سنة 1404هـ، كما أنّي لم أتمكن من الاطّلاع على عمله.

ب– الباحث حسن إسماعيل مروة، فقد حقّق الكتاب وقدّم له، وهو مطبوع بدار الفكر: دمشق، ودار الفكر المعاصر: بيروت، سنة : 1997م.

4– الاستدراك والإتمام للتّعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام، لابن فرتون[3]، وهو الكتاب الذي ظهر بعد الكتب السّابقة، ذكره بعض من ترجم له[4]، وهذا الكتاب كما يظهر من عنوانه هو استدراك على كتاب السّهيلي لما فاته من مبهمات القرآن، غير إنّي لم أقف عليه لا مطبوعًا ولا مخطوطًا، والله أعلم.

5– كتاب الاستدراك على التّعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام لأبي عبد الله ، محمّد بن علي الغرناطي المعروف بالشّامي [5]. ذكره إسماعيل باشا

---

[1] – المراد بالشّيخ هو الإمام عبد الرحمان السّهيلي.

[2] – التّكميل والإتمام. ابن عسكر. ص 486.

[3] – هو أحمد بن يوسف بن أحمد بن يوسف بن إبراهيم السلمي، أبو العبّاس ابن فرتون: مؤرّخ من أهل فاس، نزل بسبتة نحو 630هـ، ودخل الأندلس سنة 635هـ فزار الجزيرة الخضراء ومالقة وهو يأخذ عن كلّ علماء بلد يدخله، ويأخذون عنه، واستقر بسبتة إلى أن توفي بها سنة 660هـ. ينظر: شجرة النّور الزّكية. ص 200. الأعلام. ج1. ص 274.

[4] – ينظر: شجرة النّور الزّكية. ص200. الأعلام. ج1. ص 274.

[5] – هو محمّد بن علي بن يحيى بن علي، أبو عبد الله الغرناطي، الفقيه المالكي المعروف بالشّامي، ولد سنة 671هـ، له من التّصانيف: الاستدراك على التّعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام، قصيدة في مدح النّبي صلّى الله عليه وسلّم، توفي سنة 715هـ. ينظر: الدّرر الكامنة. ج4. ص 96، 97. هدية العرفين. ج2. 143.

البغدادي[1] في كتابه هدية العارفين[2]، وهو أيضًا –كما يظهر من عنوانه– استدراك لما فات الإمام السّهيلي من مبهمات القرآن، غير أنّي لم أعثر عليه لا مخطوطًا ولا مطبوعًا، ولعلّه في حكم المفقود –والله أعلم–.

6– **كتاب التّبيان لمبهمات القرآن للإمام بدر الدين ابن جماعة الكناني الحموي**، ذكره حاجي خليفة[3] في كشف الظّنون[4]، وإسماعيل باشا في هدية العارفين[5]، والزِّرِكْلِي في الأعلام[6]، و لم أعثر أعثر عليه لا مخطوطًا ولا مطبوعًا، ولعله في حكم المفقود، و الله أعلم.

7– **كتاب غرر التّبيان فيمن لم يسم في القرآن للإمام بدر الدين ابن جماعة الكناني الحموي**؛ هو اختصار للكتاب السّابق الذكر، فقال في مقدمة هذا الكتاب: "هذا الكتاب اختصرت فحواه من كتاب سبق لي في معناه أذكر فيه إن شاء الله اسم من ذكر في القرآن العظيم بصفته أو لقبه أو كنيته وأنساب المشهورين من الأنبياء و المرسلين والملوك المذكورين، والمعنيّ بالنّاس والمؤمنين إذا ورد لقوم مخصوصين، وعدد ما أبهم عدده وأمد ما لم يبيّن أمدُه، وذكرت ما وقع فيه من الاختلاف وقدّمت المختار من مواقع الخلاف، واقتصرت فيه على ذكر الأسماء دون تفاصيل القصص والأنباء، ورتبته على ترتيب سور القرآن..."[7].

---

[1] – هو إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم البابانيّ البغداديّ، عالم بالكتب ومؤلّفيها، بابانيّ الأصل، بغداديّ المولد والمسكن، اشتهر بكتابيه: إيضاح المكنون في الذّيل على كشف الظّنون، وهدية العارفين أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين، توفي سنة: 1339هـ. ينظر ترجمته لنفسه في كتابه: إيضاح المكنون في الذّيل على كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون. ج 3. ص 158. الأعلام. ج1. ص 326.

[2] – ينظر: هدية العارفين. إسماعيل باشا. ج2. ص 143.

[3] – هو مصطفى بن عبد الله القسطنطينيّ، الحنفيّ، الشّهير بين علماء البلد بكاتب جلبي، وبين أهل الديوان بحاجي خليفة، مؤرخ، عارف بالكتب ومؤلفيها، مشارك في بعض العلوم، اهتم بتدوين أسماء الكتب، ويقتني المؤلفات، له: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، وسلم الوصول إلى طبقات الفحول في التراجم، وغيرها. ينظر: هدية العارفين. ج2. ص240، 241. الأعلام. ج8. ص 138، 139.

[4] – كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. مصطفى بن عبد الله الشّهير بحاجي خليفة. تحقيق: محمّد شرف الدين، رفعت بيلكه. دار إحياء التّراث العربي: بيروت. ج1. ص 341.

[5] – هدية العارفين. إسماعيل باشا. ج2. ص 148.

[6] – الأعلام. الزركلي. ج5. ص 298.

[7] – غرر التبيان. بدر الدين ابن جماعة. ص 191.

و قد حظيَ هذا الكتاب كذلك بعناية عدد من الباحثين حيث قاموا بتحقيقه والتّعليق عليه وهم:

أ- الباحث عبد الجواد خلف. فقد عمل على تحقيق هذا الكتاب والتّعليق عليه. وذلك لنيل درجة الدكتوراه بجامعة البنجاب –باكستان-، تحت إشراف: حافظ أحمد يار، وهو كتاب مطبوع من قبل دار قتيبة: دمشق، عام 1410هـ.

ب- الباحث الفوزان محمد بن صالح بن محمد، فقد عمل هو الآخر على تحقيق هذا الكتاب تحت إشراف: أحمد حسن فرحات وذلك لنيل درجة الماجستير بقسم القرآن وعلومه. الرياض. وهو غير مطبوع. ولكنّي لم أطّلع على الرّسالة.

ج- الباحث: بدر الدّين عبد الغفار. فقد قام هو الآخر بتحقيق هذا الكتاب والتّعليق عليه تحت إشراف الدكتور: أحمد إبراهيم مهنّا، وذلك لنيل درجة الماجستير بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنوّرة ، وهو كذلك غير مطبوع. كما أنّي لم أتمكن من الإطلاع على عمله.

8- كتاب صلة الجمع وعائد الـــتّذييل لموصول كتابي الإعلام والتّكميل ، للعلاّمة محمد بن علي البَلَنْسِي يعتبر هذا الكتاب من المصادر الهامّة في علم المبهمات، نظرًا لما تميز به من سمات وميزات نبرزها فيما يأتي:

أولاً: بالإضافة إلى الجمع بين الكتابين (أي كتاب السّهيلي وكتاب ابن عسكر) قام بزيادات وإضافات عليهما.

ثانيًا: يتبع تفسير المبهمات ببعض الفوائد التي ليست من شرط الكتاب ولا ترجع إلى الغرض الذي من أجله أُلّف، وقد صرّح بذلك فقال: "ونبَّهت على أشياءَ ليستْ من الشَّرط إيثارًا للبسط وتكميلاً للفوائد، وإتيانًا لموصولاتها من الصِّلة والعائد، من فوائد لغوية ونحوية، وعقائد دينية وشرعية "[1].

ثالثًا: تعقُّبُه لبعض الرّوايات الضّعيفة وبيان عدم قيام حجة بها والاحتكام إلى الأحاديث الصّحيحة الثّابتة للفصل في المسائل المختلف فيها.

[1] – صلة الجمع وعائد التّذييل. البلنسي. ج1، ص103.

رابعًا: عنايته بضبط الأسماء بعد كشف إبهامها بإحكام وإتقان معتمدًا في ذلك على المصادر التي تعنى بذلك[1].

كما عني بهذا الكتاب عناية فائقة من قبل مجموعة من الباحثين وهم كما يلي :

أ- الباحثة بوعمري كريمة، حيث قامت بتحقيق هذا الكتاب والتّقديم له، لكنّها اقتصرت على الرّبع الأوّل من القرآن الكريم، وذلك لنيل دبلوم في الدراسات العليا، الرباط. وهو غير مطبوع. كما أنّي لم أتمكن من الحصول على هذا العمل.

ب- الباحثان حنيف بن حسن القاسمي، وعبد الله عبد الكريم محمّد. فقد حققّا ودرسا هذا الكتاب فاشتغل حنيف القاسمي على الجزء الأول منه من سورة الفاتحة إلى سورة التّوبة، وعمل عبد الكريم على الجزء الثّاني منه من سورة يونس إلى سورة النّاس. وهو كتاب مطبوع في مجلدين من طرف دار الغرب الإسلامي: بيروت. لكن بعنوان تفسير مبهمات القرآن الموسوم بصلة الجمع وعائد التّذييل لموصول كتابي الإعلام والتّكميل.

9- كتاب الإحكام لبيان ما في القرآن من الإبهام للإمام ابن حجر العسقلاني[2]. وقد ذكر هذا الكتاب السّخاوي في كتابه الجواهر والدّرر في ترجمة شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر[3] ، وحاجي خليفة في كشف الظنون[4] ، وإسماعيل باشا في هدية العارفين[5] بعنوان:"الإحكام بما في القرآن من الإبهام"، وأمّا ابن عماد الحنبلي في شذرات الذّهب[6]، والزِّرِكْلِي في الأعلام[7] فقد ذكراه بعنوان:

---

[1] – للاستزادة أكثر: يرجى النّظر في كتاب صلة الجمع وعائد التذييل. البَلَنسي. ج1. ص65، 66، 67.

[2] – هو أحمد بن علي بن محمّد الكناني العسقلاني، شهاب الدين ابن حجر، أبو الفضل، من أئمة العلم والتّاريخ، أصله من عسقلان بفلسطين، ولع بالأدب والشّعر ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن و الحجاز وغيرهما لسماع الشّيوخ، وعلت له الشّهرة فقصده النّاس للأخذ عنه، وأصبح حافظ الإسلام في عصره. توفي بالقاهرة سنة: 852هـ. ينظر: الدرر الكامنة. ج4. ص 492 إلى 500. البدر الطّالع بمحاسن من بعد القرن السابع. محمّد بن علي الشوكاني. دار الكتب العلمية: بيروت. ترجمة رقم: 51. ج1. ص 61 إلى 64. الأعلام. ج1. ص 178، 179.

[3] – الجواهر والدّرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر. شمس الدين محمّد بن عبد الرحمان بن محمّد السّخاوي. تحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد. دار ابن حزم: بيروت. ط1، 1419هـ، 1999م. ص678.

[4] – كشف الظنون. حاجي خليفة. ج1. ص 21.

[5] – هدية العارفين. إسماعيل باشا. ج1. ص 128.

[6] – شذرات الذّهب في أخبار من ذهب. ابن عماد الحنبلي. ج9. ص 498.

[7] – الأعلام. خير الدين الزّركلي. ج1. ص 178.

"الإعلام لبيان ما في القرآن من الأحكام"، قال الدكتور حسن مروة معلقًا عليهما:" ولعلّه تطبيع، والحاصل أنّه ليس لابن حجر كتاب بهذه التّسمية، وممّا يؤكد صحة ما ذهب إليه العلماء الأفاضل في تسمية الكتاب إحالات ابن حجر نفسه عليه في كتاب الإصابة، فكثيرًا ما يقول: وقد بسطته في كتابي مبهمات القرآن"[1][2].

و هذا الكتاب لم يعثر عليه لا مخطوطًا ولا مطبوعًا ولعله في حكم المفقود – والله أعلم–.

10– **مفحمات الأقران في مبهمات القرآن للإمام جلال الدّين السُّيوطي**، فقد ذكر الإمام السُّيوطي بأنّ هذا الكتاب سيكون مميّزًا عن غيره من الكتب السّابقة التي ألّفت في هذا الفن، نظرًا لما يذكره من الفوائد في مختلف المجالات، كذلك ما يقوم به من تخريج الأحاديث، و عزو الأقوال إلى أصحابها، حيث قال: "...وهذا كتاب يفوق الكتب الثّلاثة[3] بما حوى من الفوائد والزّوائد وحُسن الإيجاز و عَزْوَ كلِّ قولٍ إلى قائله مخرِّجًا من كتب الحديث والتّفاسير المُسْندة، فإنَّ ذلك أَدعى لقَبوله وأوقع في النفس فإن لم أقف عليه مسندًا عزوته إلى قائله من المفسِّرين والعلماء وقد سميته مفحمات الأقران في مبهمات القرآن"[4].

كما عنِي بتحقيق هذا الكتاب والتّعليق عليه عدد من الباحثين أذكر منهم :

أ– الباحث: مُصطفى ديْب البُغا حيث قام بتحقيقه والتّعليق عليه وتخريج أحاديثه. وهو مطبوع بدار الهدى : الجزائر.

ب– الباحث: إيَّاد خالد الطَّباع ، فقد قام هو الآخر بتحقيق هذا الكتاب والتّعليق عليه، وهو مطبوع. لكن لم أتمكن من الحصول عليه.

---

[1] – مثال ذلك قوله في نهاية ترجمته لعتّاب بن أسيد بن أبي العيص ما نصّه: "...وكنت أتوَهَّمُ أنّـــه من بقِيَّةِ حديث الكلبِيِّ، والأمر فيه مختلف الاحتمال، **وقد بسطته في كتابي مبهمات القرآن**". ينظر: الإصابة. ج7. ص 64.

[2] – التّكميل والإتمام. لابن عسكر. ص 18، 19.

[3] – أي كتاب التعريف والإعلام للإمام السهيلي و التكميل والإتمام لابن عسكر وغرر التبيان لبدر الدين ابن جماعة، كما صرّح قبل هذا الكلام في مقدمته.

[4] – مفحمات الأقران في مبهمات القرآن. السّيوطي. ص 7.

11-كتاب **تلخيص التّعريف والإعلام للإمام محمد بن عمر بن مبارك بن الحضرمي المشهور بـــ: بَحْرَق**[1]، وهو عبارة عن مخطوط متواجد بمكتبة جامعة الأزهر، وأبرز ما فيه من صفات وميزات ما يأتي:

- عبارة عن اختصار لكتاب التّعريف والإعلام للإمام للسُّهيلي، فقد بيّن ذلك في مقدمتـــه فقال: "هذه نبذة ملخصة من التّعريف والإعلام لما أبهم في القرآن من أسماء الأعلام من نبي أو ولي أو ملك أو جنّي أو بلد أو شجر أو كوكب أو غير ذلك ممّا له اسم"[2].

- عدد المبهمات التي تناولها بالدّراسة تقدر بأربعين ومائة موضع، بدأها بقوله تعالى ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ البقرة: 35، وانتهى بقوله تعالى: ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴾ المسد:4.

- عدد صفحات المخطوط: خمس عشرة صفحة.

- إلتزم بشرطه في الاختصار فهو يقتصر فقط على بيان المبهم من الآية دون أيّة استطرادات أو تعقبات، وهذا ما أشار إليه في نهاية الكتاب: "وهذا آخر ما لخصته من الكتاب المذكور و لم أحذف منه إلاّ ما خرج به عن شرطه فأطال به الكتاب وزدت فيه ضبط كثير من الأسما [أي الأسماء]يشتدّ الحاجة إليها..."[3].

---

[1] - هو محمد بن عمر بن مبارك بن الحميري الحضرمي الشافعي، الشهير بـــ: بَحْرَق، فقيه أديب باحث متصوّف، نعته الزّبيدي بعلامة اليمن، ولد بحضر موت وأخذ بها وبزبيد ومكة والمدينة، عن علمائها ونبغ، وولي القضاء بالشّحر، ثمّ استقال ورحل إلى الهند، فأكرمه السّلطان مظفر، وأقام بها إلى أن مات في أحمد آباد سنة: 930هـــ. ينظر: النّور السّافر عن أخبار القرن العاشر. عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروس. حققه وضبط نصوصه وصنع فهارسه: أحمد حالوا، محمود الأرناؤوط، أكرم البوشي. دار صادر: بيروت. ط1، 2001م. ص202 إلى 211. الأعلام. ج6. ص 315، 316.

[2] - تلخيص كتاب التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء الأعلام. محمد بن عمر بن مبارك الحضرمي. مخطوط. عدد الأوراق: 15. رقم النّسخة: 305116. مخطوطات مكتبة الأزهر. صفحة رقم: 01.

[3] - المصدر نفسه. صفحة رقم: 15.

12-كتاب **موسوعة الأعلام والأسماء المبهمة في القرآن الكريم أو المسمّى ترويح أولي الدّماثة بمُنتقى الكتب الثلاثة للإمام عبد الله بن عبد الله بن سلاّمة الأُدْكَاوِي الشّهير بالمؤذن**[1]، فقد جمع فيه الإمام الأدكاوي الكتب الثلاثة التي ألّفت قبله وهي كتاب السّهيلي و ابن عسكر والبلنسي وانتقى من فوائد هذه الكتب ما رآه مناسبًا، وزاد عليها بكثرة الاستطرادات أو ذكره لبعض القصص الطّريفة، وكذلك الإكثار من الفوائد اللغوية والنّحوية، وغيرها من الفوائد التي ليست لها صلة بعلم المبهمات، قال الباحثان مروان عطية ومحسن خرابة: "ويبدوا لنا الكتاب ممتعًا لما حفل به من كثرة الاستطرادات، فكثيرًا ما ينتقل من الحديث عن المبهم إلى ملابساته وما يتعلق به، فبعد الحديث عن مبهمات الفاتحة انتقل واستطرد إلى أسماء هذه السّورة ومعاني هذه الأسماء وفضائل السّورة وفوائدها، وغير ذلك. وقد استقصى أسماءها بحيث لا نجد ذلك في كتاب آخر.

ونراه يتحدث عن إبليس وعن اسمه ويستطرد بعد ذلك إلى مناقشة كون إبليس من الملائكة أو من الجنّ، مناقشة مستفيضة تعطي للكتاب نكهة حلوة، ومتعة خاصّة، وكذلك نراه يتحدث عن آدم وحواء ويستطرد إلى معنى الاسمين ويتحدث عن هبوطهما من الجنّة، وذكر صفاتهما، وعمر آدم، ومكوثه في الجنّة، واليوم الذي خلق فيه، وولادته، ووفاته، وقبره. ونراه أيضًا يتحدث عن الملكين ببابل ويذكر أعاجيب هذه الأماكن....وهناك أمر خليق بالذّكر هو كثرة الفوائد اللّغوية والنّحوية في الكتاب"[2].

وهذا الكتاب قام بتحقيقه كلّ من مروان عطية ومحسن خرابة بمراجعة وإشراف الدكتور خالد محمّد الخنين، وعملهم هذا مطبوع في مجلدين من قبل مكتبة العبيكان بالرّياض سنة: 1421هـ، 2001م.

---

[1] – هو عبد الله بن عبد الله بن سلامة الأُدْكَاوِي المصري الشافعي الشّهير بالمؤذن، ولد في قرية أُدكو قرب رشيد سنة 1104هـ ونشأ في القاهرة، وتعلّم فيها، وقضى معظم حياته فيها، وهو أديب متأدّب، مصري، ناظم، ناثر، له شعر جيد. من كتبه: تحفة الأريب من شعر الغريب، توفي سنة: 1184هـ. ينظر: معجم المؤلفين. ترجمة رقم: 8042. ج2. ص 255، 256. الأعلام. ج 4. ص 99، 100.

[2] – موسوعة الأسماء و الأعلام المبهمة في القرآن الكريم. عبد الله بن عبد الله بن سلامة الأدكاوي. تحقيق: مروان عطية، محسن خرابة. مكتبة العبيكان: الرياض. ط1، 1421هـ، 2001م. ج1. ص43، 44.

13- **كتاب أسامي الذين نزل فيهم القرآن الحكيم**، ذكر هذا الكتاب الدكتور حنيف بن حسن القاسمي فقال: "وقد عثرت أثناء زيارتي إلى تركيا في صيف عام 1406هـ على مخطوط في المبهمات ضمن مجموع لم أقف على مؤلفه، وهو بعنوان كتاب **أسامي الذين نزل فيهم القرآن الحكيم** وهو مرتب على حروف المعجم، بدأ فيه مؤلفه بذكر أبي بكر الصّديق رضي الله عنه موردًا الآيات التي نزلت فيه من مختلف سور القرآن، وهو قبل أن يذكر الآية التي نزلت فيمن يذكره يترجم له، فيذكر اسمه كاملاً، ويبيّن حاله ويذكر وفاته، ثمّ يذكر الآية أو الآيات التي نزلت فيه...وبعد انتهاء الأفراد الذين نزل فيهم القرآن بدأ بذكر القبائل التي نزل فيها القرآن، فبدأ بحرف الألف فذكر الأوس فبني أسد، فبني أسلم، ثمّ حرف التّاء فذكر تميم، وحرف الثّـــاء ثقيف...إلخ، ثمّ يذكر أسماء الذين ذكروا في القرآن و لم يكونوا من أمة سيّدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم، فذكر أسماء أصحاب الكهف... هذا الكتاب ضمن مجموع (2480) بمكتبة السليمانية باستامبول"[1].

14- **كتاب الياقوت والمرجان في مبهمات القرآن أو مباحث في مبهمات القرآن سورتي الفاتحة والبقرة للدكتور عبد الجواد خلف**. قال الدكتور حسن إسماعيل مروة معلقًا على هذا الكتاب ما نصّه:"... وقيمةُ هذا الكتاب الجامع في أنّه اتّبع منهجًا أقرب إلى الشُّمولية؛ فهو يذكر الآية، ثمّ يعرض أقوال المتقدّمين جميعًا فيها، ثمّ يبيِّن الحكمة من الإبْهام فيها، معرِّجًا على شرح غريبها، وكشف ما فيها من أسرار بلاغية، إلى غير ذلك"[2].

وهو كتاب مطبوع في مجلدين من قبل دار البيان بالقاهرة سنة: 1412هـ، 1992م.

كما أنّي تمكنت من الحصول على الصفحات الأولى (30 صفحة) من هذا الكتاب، وأَبرَز ما ذكره في هذه الصّفحات ألخصّه في النّقاط الآتية:

- بدأ كتابه بتمهيد ذكر فيه السّبب الذي من أجله ألّف في هذا العلم، فقال: "...وأمّا الكاتبون في هذا الفن فلم يزيدوا في كلّ تاريخ الإسلام عن خمسة عددًا، وأمّا ما كتبوه فلم يزد عن

---

[1] - تفسير مبهمات القرآن. البلنسي. ج1. ص 53، 54.

تنبيه: بحثت عن عنوان هذا المخطوط في فهرس مخطوطات العربية والتركية والعثمانية بمكتبة السّليمانية من إعداد محمود سيد أوغلي و محمود السيد الدغيم، فلم أجد عنوان هذا المخطوط الذي عثر عليه الدكتور حنيف.

[2] - التّكميل والإتمام. لابن عسكر. ص60.

كتيبات صغيرة قدّر لبعضها أن تمتد له يد الطّباعة لتنتقل منها إلى أيدي القارئين، وقدّر لغيرها أن يظلّ حبيس المخطوطات على أرفف المكتبات وأدراجها، وإن بقى مع ذلك "علم المبهمات وتفسيره" خافيًا على كثير من النّاس، فقويت عزيمتي ونشطت همّتي إلى جمع هذا السّفر الجليل المتواضع"[1].

- بيّن أيضًا المنهج العام الذي سار عليه في كتابه، فقال –حفظه الله-: "توخيت فيه جمع ما سجله الجهابذة الأوائل كالسّهيلي، وابن عسكر، وابن جماعة والسّيوطي، والبلنسي، وشرحت ما كان لابدّ من شرحه حول الآيات المبهمة من معانٍ لغوية، ونقلت ما وقع من أقوال أهل التّأويل فيها، واستنبطت لكل مبهم سبب إبهامه، معتمدًا في ذلك على إمعان النّظر في أمهات كتب التّفسير بالمأثور، ونقل جملة الأحاديث والسنن، والآثار، والأخبار، وأشرت إلى الضّعيف منها بقدر الجهد على قلته"[2].

- ذكر في هذه الصفحات عدة عناصر توضح المقصود من علم مبهمات القرآن، فذكر أسباب الإبهام (هي نفس الأسباب التي ذكرها الزركشي)، وطرق معرفته، وصوره وما يجوز البحث عنه من هذه الصّور وما لا يجوز، وتكلم عن أصل نشأة علم المبهمات وأوّل من كتب فيها كتابة استقلالية، ثمّ ذكر الحدود العشرة لعلم المبهمات.

15- **المبهم في القرآن الكريم، أسبابه، مواضعه، بيانه** للدكتور عبد الجواد خلف. وجدت عنوان هذا الكتاب على موقع المؤلّف.

16- **كتاب فيض الرحمان بمن أبهم في القرآن للدكتور نصر أبو العطايا**، وهو مطبوع بمكتبة نزار الباز سنة: 1415هـ، بمكة المكرمة في مجلد واحد. و لم أتمكن من الحصول عليه.

---

[1] – مباحث في مبهمات القرآن. عبد الجواد خلف. ص 8.

[2] – المرجع نفسه. ص 8.

17- **كما أنّ هناك رسائل جامعية أُلِّفت في هذا العلم**، تمكنت من العثور على عناوينها فقط، هي كالآتي:

أ- الأعداد المبهمة في القرآن الكريم، لحامد وداد أحمد، وهي رسالة ماجستير، بكلية القرآن الكريم- السّودان- سنة 2000م.

ب- مبهمات الأماكن الواردة في القرآن الكريم - دراسة وتحليل-، لمحمود مصطفى الشّنقيطيّ، كلية أصول الدّين جامعة الأزهر، هكذا ذُكر في كشاف الرسائل الجامعية العلمية (الجزء الأول) بجامعة الأزهر، فإنّه لم يفد بباقي المعلومات عن البحث.

ج- مبهمات الأماكن الواردة في القرآن الكريم - دراسة موضوعية ونقدية وتفصيلية مقارنة بكتابي السُّهيليّ والسّيوطيّ- للباحث الشيخ سليمان شحدة حماد، وهي رسالة دكتوراه، بكلية القرآن الكريم- السودان.

د- المبهمات في القرآن الكريم، للباحث عباس محمد عبطان، وهي رسالة ماجستير، بجامعة بغداد للعلوم الإسلامية- العراق.

ومن خلال ما سبق يتبيّن لنا أنّ علم المبهمات قد نال عناية فائقة قديمًا وحديثًا، هذا وإن دلّ على شيء فإنّما يدل على قيمة هذا العلم وأهميته.

المطلب الثّاني: عناية كتب علوم القرآن به.

لقد عَنَتْ كتب علوم القرآن هي الأخرى بعلم المبهمات، بأن جعلته نوعًا من أنواع علوم القرآن، كما تناولت هذه الكتب بشرح هذا العلم وبيانه، وزيادة في بعض الأحيان على ما ذكرته الكتب المفردة له بالتّأليف، والأمثلة على ذلك ما يلي[1]:

أوّلاً: كتاب البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدِّين الزَّركشيِّ حيث جعل النّوع السّادس من أنواع علوم القرآن التي ذكرها في هذا الكتاب علم المبهمات؛ ومجمل ما ذكره عن هذا العلم أنّه بدأ بذكر المؤلفات المفردة له بالتّصنيف مشيرًا إلى كتاب التّعريف والإعلام للسّهيلي وكتاب

[1] - ترتيبها يكون على حسب وفاة مؤلّفيها.

التّكميل والإتمام لابن عسكر، ثمّ بيّن اهتمام السّلف بهذا العلم وهذا بذكره الآثار الواردة في ذلك، ثمّ ذكر أسباب الإبهام في القرآن ممثلا لكلّ سبب ذكره بعدة أمثلة وهو ما انفرد به الإمام الزركشي عمن سبقه[1]، ثمّ ذكر في الأخير بعض التنبيهات المفيدة جدًّا نلخصها في ما يلي[2]:

– أنّه ذُكر في القرآن من له اسمان فيُقتصَر على أحدهما دون الآخر، وذكر الحكمة من ذلك.

– المبالغة في الصِّفات للدّلالة على أنّه يريد إنسانًا بعينه.

– عدم التّصريح بذكر أي امرأة في القرآن الكريم إلاّ مريم، وقد عللّ ذلك وذكر أنّ قضيتها عقدية، أي أنّهم كانوا يقولون بأنّ عيسى ابن الله، فأراد عزّ وجل أن يصحّح لهم هذا المفهوم ويقول لهم بأنّ عيسى بلا أب، وإنّما هو ابن امرأة اسمها مريم، وأمّا عدم التصريح ببقية النساء بأسمائهن فلحكمة ذكرها الزَّركشيِّ عن بعض الأشياخ، فقال رحمه الله :" ...لحكمة ذكرها بعضُ الأشياخ بأنّ الملوك والأشراف لا يذكرون حرائرهم، ولا يبتذلون أسماءهم، يُكَنُّون عن الزوجة بالعُرْس، والعيال، والأهل، ونحوه فإذا ذكروا الإماءَ لم يَكَنُّوا عنهنّ، ولم يصُونوا أسماءهنّ عن الذِّكر والتَّصريح بها، فلّما قالت النصارى في مريم وفي ابنها ما قالت صرّح الله باسمها، ولم يكِّنِ عنها تأكيدًا لأمر العبوديَّة التي هي صفةٌ لها وإجراءٌ للكلام على عادة العرب في ذكر أبنائها؛ ومع هذا فإنَّ عيسى لا أب له، واعتقاد هذا واجب ، فإذا تكررّ هذا منسوبًا إلى الأمّ استشعرت القلوب ما يجب عليها اعتقاده من نفي الأب عنه، وتتريه الأمّ الطاهرة عن مقالةِ اليهود لعنهم الله"[3].

ثانيًا: كتاب الإتقان في علوم القرآن للإمام جلال الدّين السّيوطي فقد ذكر في كتابه أنواعًا كثيرة من علوم القرآن، منها علم مبهمات القرآن، حيث جعله في النّوع السّبعين من هذه الأنواع، وملخص ما ذكره حول هذا العلم؛ أنّه بدأ بذكر من أفرده بالتّصنيف من الإمام السُّهيلي وابن عسكر، وابن جماعة، وأشار أيضًا أنّ له تصنيفًا مفردًا في هذا العلم[4] أي أنّه هنا سيذكره إجمالاً، ثمّ بعد ذلك ذكر أسباب الإبهام وهي نفسها التي أوردها الإمام الزَّركشيِّ، ثمّ تعقّب هذا

---

[1] – سيأتي تفصيل هذه الأسباب في المبحث الأوّل في الفصل الثاني من هذه المذكرة.

[2] – ينظر: البرهان في علوم القرآن . بدر الدّين الزركشي. ج1. ص 160 إلى 163.

[3] – البرهان في علوم القرآن. بدر الدين الزّركشي. ج1. ص 163.

[4] – هو كتاب مفحمات الأقران في مبهمات القرآن .

الأخير في قوله:" لا يبحث عن مبهم أخبر الله باستئثاره بعلمه لقوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ الأنفال: 60، والعجب ممّن تجرّأ وقال إنّهم من قريظة أو من الجن "[1].

ثمّ قال السُّيوطي عقب هذا :" ليس في الآية ما يدلُّ على أنَّ جنسَهم لا يُعلم ، وإنّما المنفيُّ علمُ أعيانِهم ولا ينافِيهم العلمُ بكونهم من قُريظَةَ أو من الجنِّ، وهو نظيرُ قوله تعالى في المنافقين: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِۖ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ التّوبة: 101، فإنَّ المنفيَّ علمُ أعيانِهم، ثمّ القولُ في أولئك أنّهم قُرَيْظَةُ أخرجه ابنُ أبي حاتمٍ عن مجاهدٍ، والقولُ بأنّهم من الجنِّ أخرجه ابنُ أبي حاتمٍ من حديثِ عبد الله ابن غريب عن أبيه مرفوعًا عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم فلا جُرأةَ"[2].

ونلاحظ على كلام الإمام السُّيوطي أنّه لم يعقِّب على الزَّركشيِّ في القاعدة، فإنَّ القاعدةَ جليلة وصحيحة في بابها، وإنَّما حصل التَّعقيب من ناحيةِ المثال، أي أنّ المنفيّ هنا علم أعيانهم وأسمائهم وليس بالضّرورة أن لا يُعلم جنسهم خاصة إذا ورد في السّنة ما يُبيّن ذلك، ثمّ أعطى مثالاً ليوضح مقصودَه.

ثمّ ذكر الإمام السُّيوطي إضافات انفرد بها عمّن قبله وهو تقسيم هذه المبهمات الموجودة في القرآن الكريم إلى ثلاثة أقسام وهي كما يلي[3]:

أ- ما أُبْهم من رجل أو امرأة أو ملك أو جنّي أو مثنّى أو مجموعٍ عرُف أسماءُ كلِّهم، أو "من" أو " الذي" إذا لم يُرد به العموم.

ب- في مُبْهَمات الجموع الذين عُرِفت بعض أسمائهم.

---

[1] - البرهان في علوم القرآن . بدر الدين الزّركشي. ج1. ص244.

[2] – الإتقان في علوم القرآن .جلال الدين السّيوطي. ج6. ص2021.

[3] – المصدر نفسه. ج6. ص من2022 إلى 2096.

ج- مبهمات الأقوام والحيوانات والأمكنة والأزمنة ونحو ذلك، وهذا القسم أشار إليه لكن لم يشرحه و لم يمثل له.

ثالثًا: كتاب الزيادة و الإحسان في علوم القرآن لابن عَقِيلَة المكّي حيث جعل النّوع الرّابع والثّلاثين بعد المائة من أنواع علوم القرآن التي ذكرها؛ علم المبهمات، وقد بدأ رحمه الله في حديثه عن هذا العلم بذكر من أفرده بالتّصنيف من كتابات السّهيلي وابن عسكر وابن جماعة والسّيوطي، ثمّ بيّن اهتمام السّلف بهذا العلم، وبعدها قسّم علم المبهمات إلى قسمين[1]:

أ- فيما أُبْهِم من رجل أو امرأة أو ملك أو جنّي أو مثنّى أو مجموعٍ عرُف أسماءُ كلِّهم، أو "من" أو " الذي" إذا لم يُرد به العموم.

ب- في مبهمات الجموع الذين عرفت بعض أسمائهم.

ونلاحظ على تقسيم الإمام ابن عقيلة لمبهمات القرآن أنّه اقتصر على قسمين فقط دون ذكره للقسم الثّالث ألا وهو مبهمات الأمكنة والأزمنة والحيوانات.

رابعًا: كتاب الموسوعة القرآنية المتخصصة، قام بتأليفها كوكبة من الباحثين تحت إشراف الدكتور محمود حمدي زقزوق، وهي تعتبر من أكبر الموسوعات التي أُلّفت في علوم القرآن حديثًا، حيث تناول مؤلفوها ببيان جلّ مباحث علوم القرآن؛ منها علم المبهمات، وقد كتب في هذا الأخير الباحث محمّد بكر إسماعيل، حيث بدأ في حديثه عن هذا العلم ببيان حدّه في اللّغة والاصطلاح، ثمّ قسّم مبهمات القرآن من ناحية الأهمية إلى نوعين رئيسين[2]:

أ- نوع ضرب الله عن ذكره صفحًا لعدم تعلق التّكليف به؛ لخلوه من الفائدة، كمعرفة بقرة بني إسرائيل التي أمروا بذبحها، فلا ينبغي أن نسأل عن حجمها ولونها، وهل هي عاملة أم غير عاملة فالبحث عن ذلك تكلّف لا طائل تحته، بل هو تنطّع يدل على فساد العقل والطّبع وسوء الأدب مع الله عز وجل.

ب- ونوع أبهمه الله لأسباب كثيرة؛ ذكر هنا بعض الأسباب التي أوردها الزّركشي، وانفرد هو بأسباب أخرى[3].

---

[1] - ينظر: الزيادة والإحسان. ابن عقيلة. ج7. ص 106 إلى 157.

[2] - ينظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة. ص 608 إلى 610.

[3] - ينظر: تفصيل ذلك في المبحث الأول من الفصل الثّاني في هذه المذكرة.

ثمّ شرع في ذكر صور مبهمات القرآن التي أوردها الإمام السّيوطي، وبعدها ذكر بعض النّماذج التّطبيقية لمبهمات القرآن، إلاّ أنّه ذكرها وفق العناوين الآتية[1]:

1- ذكر أسماء من عظّم الله شأنهم من الرّجال. 2- ذكْرَ أسماء من عظّم الله شأنهنّ من النّساء. 3- من أبهم الله أسماءهم من الجموع تعظيمًا لجهودهم. 4 - من حقر الله شأنهم من الرّجال. 5- من أبهم الله أسمائهنّ تحقيرًا لشأنهنّ. 6- الجموع التي أبهم الله أسماءهم احتقارًا لشأنهم. 7 - مبهمات الأماكن. 8 - مبهمات الأزمنة. 9- مبهمات الحيوانات.

وبناءً على ما تم ذكره ندرك عناية كتب علوم القرآن بعلم المبهمات، وذلك بجعله أحد أنواعها، وهذا وإن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على أهمية هذا العلم وقيمته.

وأهم ما يقال في نهاية هذا الفصل أنّ علم المبهمات تعرض لبيان حدّه العلماء قديمًا وحديثًا، وأنّهم متفقون على ماهيته، كما له أنواع وصور تكاد تنحصر في أربع ليست كلّها على درجة من الأهمية، وعناية العلماء به وأهميته برزت من خلال المؤلفات فيه وحديث كتب علوم القرآن عنه.

كما ندرك أيضًا في نهاية هذا الفصل أنّ للإمام السّهيليّ أثرًا واضحًا في هذا العلم أُبرزُ أهمّ مظاهرِه في النّقاط الآتية:

1- كان السّهيليّ أوّل واضعٍ لتعريف علم المبهمات في مقدمة كتابه، مشيرًا إلى بعض قواعده، والنّاظر في ما جاء بعده من كتابات لا يجد ردًّا أو نقدًا أو توهينًا لهذا التّعريف، بل يجد تأثّرًا به واعتمادًا عليه.

2- أنّ السّهيليّ قد صنّف في علم المبهمات كتبًا ثلاثة، الأوّل مطبوع، والثّاني مخطوط، والثالث مفقود، واشتهر أكثر في الأوساط العلمية "التّعريف والإعلام لما أبهم في القرآن" وهو المطبوع، وإنّ الملاحظ على حركة التأليف في علم المبهمات ليجد كتبًا أخرى قد أنتج فكرتها هذا الكتاب، فهي **إمّا أنّها وضعت لتختصره** ككتاب تلخيص التّعريف والإعلام لبَحْرَق، **وإمّا أنّها جامعة** بينه وبين كتب أخرى في علم المبهمات كصلة الجمع وعائد التذييل لموصول كتابي الإعلام والتّكميل للبلنسي، وترويح أولي الدّماثة بمنتقى الكتب الثّلاثة للأُدكاوي، وإمّا أنّها **وضعت لتستدرك** عليه ما فاته كالاستدراك والإتمام للتّعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام، لابن فرتون.

[1] - ينظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة. ص 610 إلى 623.

الفصل الثاني

أسباب الإبهام، طرق الوصول إليه وعلاقته بمباحث علوم القرآن

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أسباب الإبهام وطرق الوصول إليه.

المبحث الثاني: علاقة علم المبهمات بعلوم القرآن.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد:

أتحدث في ثنايا هذا الفصل عن أسباب الإبهام في القرآن الكريم، ثمّ أبيّن الطرق والسّبل التي بها أتوصل إلى معرفته، وختامًا لهذا الفصل أتكلم عن علاقة علم المبهمات ببعض علوم القرآن الأخرى، و اخترت ثلاثة[1] منها لكون علاقتها بعلم المبهمات شديدة؛ أوّلها علم أسباب النّزول، وثانيها قصص القرآن، وثالثها الإسرائيليات، وأبرزتُ وجه الصّلة بين علم المبهمات وبين هذه العلوم مؤكّدًا ذلك ببعض النّماذج التّطبيقية، وبيان ذلك على النحو الآتي:

[1] – تكلمت هنا عن العلوم التي لها صلة وثيقة بعلم المبهمات، بيد أنّ هناك بعض العلوم التي تحتاج كذلك إلى إبراز أوجه الاتّفاق والاختلاف بين علم المبهمات وهذه العلوم مثل علم غريب القرآن، وعلم المتشابهات، ومشكل القرآن وغير ذلك، فيمكن أن نرجئها أو نتركها إلى مقالات وبحوث أخرى.

المبحث الأوّل: أسباب الإبهام وطرق الوصول إليه.

المطلب الأوّل: أسباب الإبهام في القرآن الكريم.

أوّل من تحدّث في أسباب المبهمات في القرآن الكريم هو الإمام بدر الدّين الزّركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن[1]، ويبدو أنّه قد أوتي ذكاءً حادًّا، وفهمًا ثاقبًا حتّى تمكن رحمه الله من استنباطها وجعلها في سبعة أسباب، كما أنّ جلّ من أتى بعده[2] – فيما اطّلعت عليه – إلاّ وأعاد الأسباب نفسها التي ذكرها دون زيادة أو نقصان، عدا الباحث محمد بكر إسماعيل فقد زاد على ما ذكره الزّركشي.

ونحن هنا سنذكر الأسباب التي أوردها العلاّمة بدر الدّين الزّركشي، مع شرحها والتّمثيل لها، ونشير إلى ما ذكره محمد بكر إسماعيل، ونزيد عليهما بما ظهر لنا، وذلك وفق الفروع الآتية:

الفرع الأول: الاستغناء ببيانه في موضع آخر.

لو تتبعنا أساليب القرآن الكريم لوجدناها كثيرة جدّا للدّلالة على أنّ هذا كلام معجز وأنّه من عند حكيمٍ خبير، ومن بين هذه الأساليب أنّنا نجد أسماء ذكرت في موضع وأبهمت في مواضع أخرى؛ وذلك استغناءً ببيانها واكتفاءً بالتّصريح الواحد، قال عبد الجواد خلف في هذا الصّدد ما نصّه: "أن يكون أبهم في موضع لبيانه في موضع آخر"[3]، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

---

[1] – ينظر: البرهان في علوم القرآن. الزركشي. ج1. ص 156 إلى 160.

[2] – مثل الإمام السّيوطي في كتابيه الإتقان ج6. ص 2018 إلى 2020، ومفحمات الأقران. ص 9، 10. وعبد الجواد خلف في كتابه مباحث في مبهمات القرآن. ص 15، 16.

[3] – مباحث في مبهمات القرآن. عبد الجواد خلف. ص 14.

المثال الأوّل:

قوله تعالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم ﴾ الفاتحة: 7. فإنّ المنعم عليهم في هذه الآية قد بيّنوا –كما ذكر طائفة ممّن فسّرها– في آية أخرى من سورة النّساء وهي قوله تعالى: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنعَمَ ٱللَّهُ عَلَيهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾النّساء: 69. قال أبو جعفر الطّبري في تفسيره للآية الأولى: "...فقيل لمحمّد صلى الله عليه وسلّم قل يا محمّد: اهدنا يا ربّنا / الصّراط المستقيمَ، صراط الذين أنعمت عليهم بطاعتك وعبادتك، من ملائكتك وأنبيائك والصّديقين والشّهداء والصّالحين"[1]، وقال الإمام السّهيلي: "قوله تعالى:﴿ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم ﴾ هم الذين ذكرهم الله في سورة النّساء حين قال: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنعَمَ ٱللَّهُ عَلَيهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ ، وانظر إلى قوله تعالى ﴿ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ واجمع بينه وبين قوله ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم ﴾ تجده شرحًا له، لأنّ الصراط الطريق ومن شأن سالك الطّريق الحاجة إلى الرفيق ولذلك قال تعالى: ﴿ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾، وكذلك قال عليه الصّلاة والسّلام: "اللّهمَّ الرفيقُ الأعلَى"[2]"[3]، وقال بدر الدّين الزّركشي: "قوله :﴿ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم ﴾ بينه بقوله: ﴿ مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ﴾"[4]، وقال الدكتور عبد الجواد خلف: "فالمنعم عليهم هنا

---

[1] – جامع البيان. الطبري. ج1. ص176، 177.

[2] – الجامع الصحيح. محمد بن إسماعيل البخاري. كتاب المغازي. باب آخر ما تكلّم به النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم. حديث رقم: 4463. ص 1093. وتمام الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يقول وهو صحيح: إنّه لم يقبض نبيّ حتّى يرى مقعده من الجنّة، ثمّ يُخَـيَّر. فلمّا نزل به ورأسه على فخذي غشيَ عليه، ثمّ أفاق، فأشخص بصره إلى سقف البيت ثمّ قال اللّهمّ الرفيق الأعلى. فقلت إذًا لا يَختارُنا، وعرفت أنّه الحديث الذي كان يحدثنا وهو صحيح. قالت: فكان آخر كلمة تكلّم بها اللّهمّ الرفيق الأعلى".

[3] – التّعريف والإعلام. السّهيلي. تحقيق: عبد. إ. مهنّا. ص 17.

[4] – البرهان في علوم القرآن. الزركشي. ج1. ص 156.

مبهمون غير معروفين، ولكنّهم وضّحوا وعرّفوا وبيّنوا في الآية 69 من سورة النّساء من قوله تعالى: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ "[1].

المثال الثّاني:

قوله تعالى:﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ﴾ الزخرف: 57. المراد بابن مريم هو عيسى عليه السّلام وقد بُيّن في مواضع عديدة من كتاب الله، منها قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴾ مريم: 34.**الفرع الثّاني: أن يتعيّن لاشتهاره.**

المراد بهذا السبب أنّ هناك أسماء لم يصرّح بها القرآن الكريم إطلاقًا، وإنّما ذكرها بأوصافها المعروفة المشتهرة بحيث لا يمكن أن يحتمل معها غيرها، قال عبد الجواد خلف: "أن يأتي الشّيء مبهمًا لعدم الحاجة إلى توضيحه لكونه مشهورًا متعيّنًا"[2]، وقال محمد بكر إسماعيل: "أن يكون المبهم معينًا باشتهاره عند المخاطبين بأيّ طريقة من طرق الاشتهار"[3]، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

المثال الأوّل:

قوله تعالى: ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الأعراف: 19.

المراد بالزّوج هنا هي حوّاء لاستفاضتها واشتهارها وعدم وجود غيرها، قال الإمام الزّركشي: "ولم يقل حوّاء لأنّه ليس له غيرها"[4]، وقال حنيف القاسمي: "فلم يذكر من الزّوجة أنّها حواء

---

[1] – مباحث في مبهمات القرآن. عبد الجواد خلف. ص 14.

[2] – المرجع السّابق. ص 14.

[3] – الموسوعة القرآنية المتخصصة. ص 609.

[4] – البرهان في علوم القرآن. بدر الدّين الزّركشي. ج1. ص 156.

وذلك لشهرة تعيين ذلك لأنّه ليس له غيرها"[1]، وقال أيضًا الباحث حسن مروة: "...و لم يقل حوّاء لأنّه ليس له غيرها"[2].

المثال الثّاني:

قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ ﴾ البقرة: 258. الذي حاجّ إبراهيم في ربّه هو الملك نمرود[3]، وإنّما لم يصرّح باسمه لاشتهاره وتواتر اسمه على مرّ الأزمنة، قال الإمام الزّركشي: "والمراد النُّمروذ لأنّه المرسل إليه"[4]، وقال الإمام السّيوطي: "والمراد نمرود لشهرة ذلك، لأنّه المُرسَلُ إليه"[5].

الفرع الثّالث: قصد السّترِ عليه ليكونَ أبلغ في استعطافِه.

من بين أسباب مبهمات القرآن السّتر عليه ليكون أبلغ في استعطافه، ومعنى ذلك أنّ هناك أشخاصًا قاموا بفعل أشياء فتزلت آيات بشأنهم بيد أنّها لم تصرّح بأسمائهم، وذلك لحكم ومقاصد شتّى منها استمالتهم واستعطافهم وترغيبهم بهذا الدّين، وهذا من تمام حكمته سبحانه وتعالى، وفي هذا الصّدد يقول الدكتور محمد بكر إسماعيل: "قد يبهم الاسم بقصد الستر عليه؛ ليكون أبلغ في استعطافه، وإظهار منّة الله عليه"[6]، ومن الأمثلة على ذلك ما يأتي:

---

[1] – تفسير مبهمات القرآن. البلنسي. ج1. ص 38.

[2] – التّكميل والإتمام. ابن عسكر. ص 16.

[3] – بعضهم يقول نمروذ –بالدال المعجمة– وآخرون نمرود بالدال؛ قال الإمام ابن عاشور: "واسمه نمرود –بالدال المهملة في آخره–، ويقال بالذال المعجمة، و لم تتعرض كتب اليهود لهذه القصّة، وهي في المرويات". ينظر: تفسير التّحرير والتّنوير. ج 3. ص 32.

[4] – البرهان في علوم القرآن. الزركشي. ج1. ص 157.

[5] – الإتقان في علوم القرآن. السّيوطي. ج6. ص 2019.

[6] – الموسوعة القرآنية المتخصصة. ص 609.

المثال الأول:

قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴾ البقرة: 204.

ممّا ورد في تفسير هذه الآية أنّها نزلت في الأخنس بن شَرِيق[1]، و لم يُذكر باسمه قصدًا للسّتر عليه لأنّه أسلم بعد وحسُن إسلامُه[2]، قال الإمام السّيوطي: "﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾هو الأخنس بن شريق، وقد أسلم بعد وحسُن إسلامُه"[3]، وقال عبد الجواد خلف: "و لم يذكره المولى سبحانه وتعالى باسمه قصدًا للسّتر عليه واستعطافه لأنّه أسلم فيما بعد، وحسُن إسلامه على رأي من قال بذلك"[4].

المثال الثّاني:

---

[1] – هو الأخنس بن شَريق بن عمرو بن وهب ابن عوف بن ثقيف الثّقفي، أبو ثعلبة حليف بني زُهرة واسمه أبيّ، ولقب بالأخنس؛ لأنّه خَنَس ببني زُهرة من بدر لمّا جاءهم خبر نجاة أبي سفيان بالقافلة، أسلم، وشهد حنينًا، ومات في أوّل خلافة عمر. ينظر: أسد الغابة. ج1. ص 181. الوافي بالوفيات. صلاح الدّين خليل بن أيبك الصّفدي. ترجمة رقم: 290. ج6. ص121. الإصابة. ترجمة رقم: 61. ج1. ص81، 82، 83.

وقال ابن عطية الأندلسي: "ما ثبت قط أنّ الأخنس أسلم". ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. لأبي محمّد عبد الحق بن عطية الأندلسي. مطبوعات وزارة الشؤون الدّينية: قطر. ط2، 1428هـ، 2007م. ج1. ص 497.

لكنّ ابن حجر ردّ على هذا القول بعد إيراده، فقال: "قد أثبتُّه في الصّحابة من تقدم ذكره، ولا مانع أن يسلم ثمّ يرتد ثم يرجع إلى الإسلام". ينظر: الإصابة. ج1. ص 83.

[2] – ينظر: جامع البيان. الطّبري. ج3. ص 571 إلى 573. أسباب النّزول. لأبي الحسن الواحدي النّسابوري. تحقيق: عصام عبد المحسن الحميدان. دار الإصلاح: الدّمام. ط2، 1412هـ، 1992م. ص 65. لباب النّقول في أسباب النّزول. جلال الدّين السّيوطي. مؤسسة الكتب الثقافية: بيروت. ط1، 1422هـ، 2002م. ص 40. الإتقان في علوم القرآن. السّيوطي. ج6. ص2019.

[3] – الإتقان في علوم القرآن. السّيوطي. ج6. ص 2019.

[4] – مباحث في مبهمات القرآن. عبد الجواد خلف. ص 15.

قوله تعالى: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُـِٔلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ البقرة: 108.

ممّن خفي اسمه و لم يصرّح به بقصد استمالته واستعطافه ما ورد في هذه الآية، حيث ذكرت كتب التّفسير أنّ الذي نزلت بشأنه هذه الآية هما اليهوديان رافع بن حريملة[1]، ووهب بن زيد[2]، وذلك لما رواه ابن عبّاس أنّه قال: قال رافع بن حريملة ووهب بن زيد لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ائتنا بكتابٍ تنــزّلهُ علينا من السّماء نقرَؤُه، وفجر لنا أنهارًا نتّــبعك ونصدِّقك، فأنزل الله في ذلك من قولهم ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُـِٔلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ﴾"[3].

فنرى في هذا المثال أنّ المولى سبحانه وتعالى لم يصرّح باسمهما لحكم كثيرة ومتعددة منها استمالتهما، وترغيبهما بهذا الدّين وهذا من تمام حكمته سبحانه وتعالى، بيد أنّ رافع بن حريملة ووهب بن زيد لم يزيدهما هذا الأدب الرّباني إلاّ إصرارًا على معاداة النّبي صلّى الله عليه وسلّم وتكبّرًا على هذا الدّين، بل والمكر والكيد في كثير من الأحيان للإسلام والمسلمين.

---

[1] – هو رافع بن حريملة يهودي من بني قينقاع، كان ممّن أظهر إسلامه من أحبار اليهود وهو منافق، وهو الذي قال فيه النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم حين مات: "قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين". ينظر: السّيرة النّــبوية. لأبي عبد الملك بن هشام المعافري. تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللّحام. تقديم ومراجعة: صدقي جميل العطّار. دار الفكر: بيروت. 1424هــ، 2003م. ج2. ص 130. البداية والنّهاية. لعماد الدّين أبي الفداء ابن كثير. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التّركي. دار هجر: مصر. ط1، 1418هــ، 1997م. ج5. ص 14.

[2] – وهب بن زيد يهودي من أحبار بني قريظة، كان حاقدًا على النّبي صلّى الله عليه وسلّم ودعوته. ينظر: السّيرة النّــبوية. تحقيق وتعليق: محمّد سعيد اللّحام. ج 2. ص 122.

[3] – ينظر: تفسير ابن أبي حاتم. ج1. ص 202. جامع البيان. الطّبري. ج2. ص 409.

الفرع الرّابع: أن لا يكون في تعيينه كبير فائدة.

من بين أسباب ورود الإبهام في القرآن هو عدم وجود كثير فائدة في تعيينه وبيانه، وغالب مبهمات القرآن واردة بهذا السبب، قال عبد الجواد خلف: "...وهذا النّوع أكثر الأنواع ورودًا في كتاب الله عزّ وجلّ، وغالب أمثلة الإبهام حاصلة فيه"[1]. والأمثلة على ذلك كثيرة ومتعددة نذكر منها:

المثال الأوّل:

قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ البقرة: 35، وقوله تعالى: ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الأعراف: 19.

المولى عزّ وجلّ في هاتين الآيتين لم يعيّن نوع الشّجرة التي نهى آدم وزوجه عن الأكل منها، والسّبب في ذلك عدم وجود فائدة كبيرة في معرفتها، قال أبو جعفر الطّبري بعد أن ساق عدّة أقوال في بيان نوع هذه الشّجرة ما نصّه: "والقول في ذلك عندنا: أنّ الله جلّ ثناؤه أخبر عباده أنّ آدم وزوجه أكلا من الشّجرة التي نهاهما ربُّهما عن الأكل منها، وأتيا الخطيئة التي نهاهما عن إتيانها، بأكلهما ما أكلا منها، بعد أن بيّن – جلّ ثناؤه– لهما عين الشّجرة التي نهاهما عن الأكل منها، وأشار لهما إليها بقوله ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾، و لم يضع الله –جلّ ثناؤه– لعباده المخاطبين بالقرآن دلالة على أيّ أشجار الجنّة كان نهيُ آدمَ أن يقربها بنصٍّ عليها باسمها، ولا بدَلالة عليها،

[1] – مباحث في مبهمات القرآن. عبد الجواد خلف. ص 15.

ولو كان لله في العلم بأيّ ذلك من أيٍّ رضًا، لم يُخْلِ عباده من نصبِ دلالةٍ لهم عليها، يصلون بها إلى معرفة عينها، ليطيعوه بعلمهم بها، كما فعل ذلك في كلّ ما بالعلم به له رضًا"[1].

المثال الثّاني:

من المبهمات التي لا تترتب عليها كبير فائدة في معرفتها؛ ما ورد في قوله تعالى: ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ البقرة:73.

فالبعض من البقرة الذي ضرب به قتيل بني إسرائيل في الآية غير مصرّح به، والسّبب في ذلك هو عدم وجود فائدة كبيرة تترتب على معرفته؛ قال أبو جعفر الطّبري بعد ذكره للأقوال الواردة في تعيين البعض من البقرة ما نصّه: "والصّواب في تأويل قوله عندنا:﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ﴾ أن يقال: أمرهم الله جلّ ثناؤه أن يضربوا القتيل ببعض البقرة ليحيى المضروب. ولا دلالة في الآية، ولا خبر تقوم به حجَّةٌ، على أيِّ أبعاضِها التي أُمر القومُ أن يضرِبوا القتيلَ به، وجائزٌ أن يكون الذي أمروا أن يضربوه به هو الفخذ، وجائزٌ أن يكون ذلك الذَّنَبَ وغُضرُوفَ الكتف وغير ذلك من أبعاضِها. ولا يضرُّ الجهلُ بأيِّ ذلك ضَرَبُوا القتيل، ولا ينفعُ العلم به، مع الإقرارِ بأنّ القوم قد ضربُوا القتيل ببعض البقرة بعد ذبحها، فأحياه اللهُ"[2]، وقال كذلك ابن كثير عقب تفسير لهذه الآية: "...وخرق العادة به كائن، وقد كان معينًا في نفس الأمر، فلو كان في تعيينه لنا فائدة في أمر الدين أو الدّنيا لبيّنه الله تعالى لنا، ولكن أبهمه، ولم يجئ من طريق صحيح عن المعصوم بيانه"[3]. ثمّ سرد الرّوايات الواردة في تعيين الجزء من البـــقرة.

---

[1] – جامع البيان. الطّبري. ج1. ص 556.

[2] – المصدر السّابق. ج2. ص 127.

[3] – تفسير ابن كثير. ج1. ص 302.

الفرع الخامس: التّنبيه على العموم وأنّه غير خاصٍّ بخلاف ما لو عُيِّن.

معنى هذا أنّ هناك آيات في كتاب الله نزلت في أشخاص مُعيّنين لكنّها وردت بصيغة العموم و أنّ أسماءهم لم تعيّن للدّلالة على أنّ العبرة في الحكم بعموم اللّفظ لا بخصوص السّبب، قال عبد الجواد خلف: "أن يبهم اللّفظ قصدًا إلى عمومه، وأنّه غير خاصّ بشخص من ورد فيه الإبهام"[1]، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

المثال الأوّل:

قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ النّساء: 100.

هذه الآية نزلت في ضمرة بن أبي العيص[2] في رواية عكرمة وسعيد بن جبير[3]، قال أبو جعفر: "عن سعيد بن جبير في قوله ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ . قال: كان رجل من خزاعة يقال له: ضَمْرَةُ بنُ العَيْصِ أو العيصُ بنُ ضمرةَ بنُ زنباع، قال فلمّا أمروا بالهجرة كان

---

[1] – مباحث في مبهمات القرآن. عبد الجواد خلف. ص 16.

[2] – هو ضَمْرَة بن أبي العيص بن ضمرة بن زنباع، وقيل ابن العيص الخزاعي. خرج مهاجرًا فتوفي في الطّريق. قال سعيد بن جبير: كان رجل من خزاعة ويقال له ضمرة بن العيص بن ضمرة بن زنباع، لّما أمروا بالهجرة، كان مريضًا، فأمر أهله أن يفرشوا له على سريره، ويحملوه إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ففعلوا فتوفي بالتّنعيم قريبًا من مكّة. ينظر: أسد الغابة. ابن الأثير. ترجمة رقم: 2579. ج3. ص 62. الإصابة. ترجمة رقم: 4213. ج5. ص 355، 356، 357.

[3] – هو سعيد بن جبير الأسدي بالولاء، الكوفي، أبو عبد الله تابعي كان أعلمهم على الإطلاق، وهو حبشي الأصل من موالي بني والبة بن الحارث من بني أسد، أخذ العلم عن عبد الله بن عبّاس وابن عمر، ثمّ كان ابن عبّاس إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه، قال أتسألونني وفيكم ابن أمّ الدّهماء؟ يعني سعيدًا. قتله الحجاج بمكة سنة: 95هـ.ينظر: وفيات الأعيان. ج2. ص 371 إلى 374. تهذيب التّهذيب. ترجمة رقم: 2273. ج3. ص 422 إلى 428. الأعلام. ج3.ص93.

مريضًا، فأمرَ أهلَه أن يفرِشُوا له على سريره ويحملوه إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، قال ففعلوا، فأتاه الموت وهو بالتّنعيم[1]، فنزلت هذه الآية"[2].

وأمّا رواية عكرمة فيما ذكره الإمـــام السّهيلي رحمه الله تعالى حيث قال: "قال عكرمة مولى ابن عباس: طلبت اسم الذي خرج من بيته أربع عشرة سنة حتّى وجدته ...والذي ذكره عكرمة هو ضمرة بن العيص، ويقال فيه أيضًا ضميرة، وكان من المستضعفين بمكّة وكان مريضًا، فلمّا سمع ما أنزل الله في الهجرة قال: أخرجوني، فهيّء له فراش فوضع عليه، وخرج به، فمات بالطّريق، ويقال بالتّنعيم، فأنزل الله ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا ﴾الآية"[3].

فلم يذكر الله سبحانه وتعالى اسم من نزلت فيه هذه الآية، لكنّ عبّر عنه بقوله ﴿وَمَن يَخْرُجْ ﴾ لإفادة عموم الأجر الحاصل لكلّ من نوى الهجرة بدينه وإن لم يبلغ الهدف، قال الإمام ابن جزي[4]: "﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا ﴾ الآية حكمها على العموم وإن نزلت في ضمرة بن القيس وكان من المستضعفين بمكّة ..."[5].

---

[1] – التَّـــنْعِيمُ: موضع بمكّة في الحل، وهو بين مكّة وسَرِف، على فرسخين من مكّة وقيل على أربعة، سمّي بذلك لأنّ جبلاً عن يمينه يقال له نعيم وآخر عن شماله يقال له ناع، والوادي؛ نعمان، منه يحرم المكيون بالعمرة. ينظر: معجم البلدان. ياقوت الحموي. ج2. ص49، 50.

[2] – جامع البيان. الطبري. ج7. ص 393.

[3] – التّعريف والإعلام. عبد الرّحمان السّهيلي. تحقيق: عبد.أ. مهنّا. ص 43، 44.

[4] – هو محمد بن أحمد بن جزي الكلبي أبو القاسم، من أهل غرناطة ولد سنة 193هـــ، كان حريصًا على العلم مقيّدًا ومدونًّا له، فقيهًا حافظًا مشاركًا في عدة فنون من عربية وأصول وحديث وأدب، لذلك كانت له مؤلّفات كثيرة منها: القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية، وتفسير التّسهيل لعلوم التّنزيل، توفي سنة: 785هـــ. ينظر: الديباج المذهب. ترجمة رقم: 522. ص 388، 389. الدرر الكامنة. ج3. ص 356.

[5] – التسهيل لعلوم التّنـــزيل. لأبي القاسم محمّد بن أحمد بن جزي الكلبي. ضبطه وصححه وخرّج آياته: محمّد سالم هاشم. دار الكتب العلمية: بيروت. ط1، 1415هـــ، 1995م. ج1. ص 206.

المثال الثّاني:

قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ البقرة: 274.

ممّا ذكره أهل التّأويل أنّ هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وذلك في ما روي عن ابن عبّاس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ ﴾ قال: نزلت في علي؛ كان معه أربعة دراهم، فأنفق بالليل درهمًا، وبالنّهار درهمًا، وسرًّا درهمًا، وعلانية درهمًا"[1].

ففي هذه الآية نلاحظ أنّها وردت بصيغة العموم وإن نزلت في أفراد معينين سواء أكان عليًّا أم غيره، وأنّ الحكم فيها عام لكل المنفقين في سبيل الله بالليل والنّهار في السرّ والعلن؛ قال أبو جعفر: "يعني جلّ ثناؤه بذلك: من ينفق ماله بالليل والنّهار في السّر والعلانية، فيتصدق به ابتغاءَ الله وطلبَ ثوابِه، فله أجر صدقته مذخورًا له عند ربّه حتّى يوفيه إيّاه في معاده يوم بعثه، ولا خوف عليه يوم القيامة من عقابه وعذابه، ولا في أهوال قيامته، ولا هو يحزَنُ عند مقدَمِه عليه بمعاينَتِه من عظيم كرامة الله التي أعدّها له على ما خلـــف وراءه في الدّنيا"[2].

هذا في حالة ما لم يعيّن الاسم، وأمّا إن عيّن الاسم فيمكن أن يقتصر الحكم عليه مثل ما ورد في قصّة مريم في قوله تعالى: ﴿ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴾ التّحريم: 12، فهذه الحادثة خاصّة بمريم أمّ عيسى عليه السّلام، ولا إمكانية مطلقًا لتعميمها.

---

[1] – جامع البيان. الطّبري. ج 5. ص 33. ورواه أيضًا ابن أبي حاتم عن مجاهد. ج2. ص 534.

[2] – جامع البيان. الطبري. ج 5. ص 33.

ويمكن أن **يعمم الحكم مع تعيين الاسم** مثل ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ المسد: 1. فقد عيّن في هذه الآية المقصود بالهلاك، ومع ذلك فهو غير مقتصر عليه، بل يشمل جميع الأفراد الذين يقعون في فعل أبي لهب[1].

الفرع السّادس: تعظيمه بالوصف الكامل دون الاسم.

المراد بهذا السبب أنّ هناك آيات نزلت في أشخاص معينين، لكن القرآن الكريم لم يصرّح بأسمائهم وإنّما ذَكَرَهم بأوصاف لا تليق إلاّ بهم تعظيمًا لهم لما قدموه من أعمال صالحة، قال عبد الجواد خلف: "أن يبهم فلا يذكر اسمه لقصد تعظيم المبهم بذكر وصفه الكامل المشهور به"[2].

ومثال ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ النّور: 22.

فالذي شرّفه عزّ وجل وزكّاه بهذه الصّفات من الطّوْل والصّدقة والإحسان في هذه الآية هو أبو بكر الصّديق رضي الله عنه، وذلك لما رواه الإمام البخاريّ في صحيحه من حديثِ الزهري[3] قال: سمعت عروة بن الزّبير وسعيد بن المسيَّبِ وعلقمة بن أبي وقاص وعبيدَ الله بن عبد الله بن

---

[1] – ينظر: محاسن التأويل. محمّد جمال الدّين القاسمي. تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء الكتب العربية: مصر. ط1، 1376هـ، 1957م. ج 17. ص 2293.

[2] – مباحث في مبهمات القرآن. عبد الجواد خلف. ص 16.

[3] – هو محمّد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزّهري، من بني زهرة بن كلاب، من قريش، أوّل من دوّن الحديث، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء، تابعي من أهل المدينة، كان يحفظ ألفين ومائتي حديث، نصفها مسند، وعن أبي الزّناد: كنّا نطوف مع الزّهري ومعه الألواح والصّحف ويكتب كل ما يسمع، نزل الشّام واستقرّ بها. وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله: عليكم بابن شهاب فإنّه لا يوجد أحد أعلم بالسّنة الماضية منه، توفي سنة 124هـ. ينظر: سير أعلام النّبلاء. ج5. ص 326 إلى 350. تذكرة الحفّاظ. ج1. ص 108 إلى 113.

عتبة[1] من حديث عائشةَ زوجِ النَّبيِّ صلّى اللهُ عليه وسلَّم، حينَ قال لها أَهلُ الإفكِ ما قالُوا، فبرّأها اللهُ ممّا قالُوا، كلٌّ حدَّثَني طائفةً من الحديثِ، فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ﴾ العشْرَ الآياتِ كلُّها في براءتِي، فقال أَبُو بكرٍ الصِّديقُ، وكان ينفقُ على مِسْطَحٍ[2] لقرابتِه منهُ: واللهِ لا أنفقُ على= مسطحٍ شيئًا أبدًا، بعدَ الذي قال لعائشةَ. فأنزلَ اللهُ: ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ الآية، قال أبو بكر: "بلى واللهِ إنِّي لأحبُّ أن يغفرَ اللهُ لي، فرجع إلى مسطحٍ النَّفقَةَ التي كان ينفقُ عليه، وقال: والله لا أنزعها عنه أبدًا"[3].

الفرع السّابع: تحقيره بالوصف النّاقص.

وهذا عكس السبب السّابق؛ أي أنّ آيات نزلت في أفراد معينين لكن لم يصرّح بأسمائهم وإنّما وصفوا بأوصاف ذليلة نظرًا لما قدموه من أعمال سيّئة، وهذا لغرض احتقارهم وازدرائهم، قال عبد الجواد خلف: "أن يبهم فلا يذكر اسمه لغرض تحقيره وإهانته بذكره بوصف ناقص حقير"[4].

ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

المثال الأوّل:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ الكوثر: 3 .

---

[1] – هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، أبو عبد الله: مفتي المدينة وأحد الفقهاء السّبعة فيها، من أعلام التّابعين، قال ابن سعد: كان ثقة عالمًا فقيهًا كثير الحديث والعلم بالشّعر، وقد ذهب بصره، مات بالمدينة سنة: 98هـ. ينظر: تهذيب التّهذيب. ترجمة رقم: 4338. ج6. ص 216، 217. الأعلام. ج 4. ص 195.

[2] – هو مسطح بن أثاثة بن عبّاد بن المطّلب ابن عبد مناف بن قصي القرشي أبو عبّاد ، صحابي من الشّجعان الأشراف، كان اسمه عوفًا ولقّب بمسطح فغلب عليه، أمّه بنت خالة أبي بكر وكان أبو بكر يموّنه لقرابته منه، فلمّا كان حديث الإفك في أمر =عائشة جلده النّبي صلّى الله عليه وسلّم مع من خاضوا فيه، وهو ممّن شهد بدرًا وأحد والمشاهد كلّها توفي سنة: 34هـ. ينظر: أسد الغابة. ج4. ص354، 355، سير أعلام النّبلاء. ج1. ص 187، 188.

[3] – الجامع الصّحيح. الإمام البخاري.كتاب الأيمان والنّذور. باب اليمين في ما لا يملك، وفي المعصية وفي الغضب. حديث رقم: 6679. ج4. ص225.

[4] – مباحث في مبهمات القرآن. عبد الجواد خلف. ص 16.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى عقب تفسيره لهذه الآية ما نصّه: "... أي مبغضك يا محمّد ومبغض ما جئت به من الهدى والحقّ والبرهان السّاطع، والنّور المبين، هو الأبتر الأقل الأذل المنقطع ذكرهُ"[1].

أصّح ما قيل في المراد بهذا الوصف هو كعب بن الأشرف[2] لما روي عن ابن عبّاس –رضي الله عنهما– قال: لّما قدم كعب بن الأشرف مكّة قالت له قريش أنت خير أهل المدينة وسيّدهم؟ قال نعم، قالوا: ألا ترى إلى هذا المُنْبَتِر من قومه يزعم أنّه خيرٌ منّا؟ ونحن –يعني أهل الحجيج وأهل السِّدانةِ– قال: أنتم خير منه فنزلت ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ ونزلت ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ النساء: 51 . إلى قوله تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾ النساء: 52"[3].

فالقرآن الكريم وصف كعب بن الأشرف في هذه الآية بهذا الوصف دون ذكر اسمه للدّلالة على دناءته وحقارته.

المثال الثّاني:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ الحجرات: 6.

---

[1] – تفسير ابن كثير. ج8. ص 504.

[2] – هو كعب بن الأشرف الطّائي، من بني نبهان شاعر جاهلي: كانت أمّه من بني النّضير، فدان باليهودية وكان سيّدًا في أخواله، يقيم في حصن له قريب من المدينة، أدرك الإسلام ولم يسلم، وأكثر من هجو النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه، وتحريض القبائل عليهم وإيذائهم، وخرج إلى مكة بعد وقعة بدر فندب قتلى قريش فيها، وحضّ على الأخذ بثأرهم، وعاد إلى المدينة، وأمر النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بقتله سنة :3هـ. ينظر: إمتاع الأسماع بما للنّبي صلّى الله عليه وسلّم من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع. تقي الدّين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمّد المقريزي. تحقيق وتعليق: محمّد عبد الحميد النّميسي. دار الكتب العلمية: بيروت. ط1، 1420هـ، 1999م. ج2. ص 125، 126. الأعلام. ج5. ص 225.

[3] – السنن الكبرى. لأبي عبد الرّحمان أحمد بن شعيب النّسائي. تحقيق وتخريج: حسن عبد المنعم شلبي. مؤسسة الرّسالة: بيروت. ط1، 1421هـ، 2001م.كتاب التّفسير. قوله تعالى:﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ .حديث رقم: 1164. ج10. ص 347.

ذكر أهل التأويل أنّ هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْط[1]، وكان قد ولاه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم صدقات بني المصطلق فلمّا قدم عليهم خرجوا إليه يتلقونه، فانصرف راجعًا وأخبر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنّهم ارتدّوا فهمّ بهم أن يغزوهم فأنزل الله الآية[2].

وعليه فإنّ الفاسق المشار إليه في الآية هو الوليد بن عقبة، قال ابن جزي: "فالفاسق المشار إليه في الآية الوليد بن عقبة"[3]، ووصفه بهذه الصفة الذميمة لكونه عمل أعمال الفسّاق.

هذه هي الأسباب السبعة التي ذكرها الإمام بدر الدّين الزّركشي، وقد شرحتها ومثلت لها، وأمّا ما أضافه الدكتور محمّد بكر إسماعيل على الإمام الزّركشي من أسباب فألخصّه في النّقاط الآتية[4]:

- قد يكون الإبهام لهوانه على الله وعلى النّاس؛ ذكر هذا السّبب لكن لم يمثل له.
- أن يكون المبهم سهلاً في إدراكه لا يحتاج إلى إعمال فكر، وإنعام نظر، فيكون ذِكرُه – حينئذ– عبئًا على الأسلوب من جهة، وعدم ثقة في مدارك العقول من جهة أخرى،وقد ذكر هذا السبب بدون أمثلة.
- وجود المبهم في القرآن يدرّب الذّهن على كشف خفائه وإزالة إشكاله، ومعرفة أسراره القريبة والبعيدة بقدر الطّاقة البشرية.

هذه هي جلّ الأسباب التي أضافها الدكـــتور محمد بكر إسماعيل على الإمام الزّركشي.

وأضيف عليهما سببًا آخر ظهر لي أثناء دراستي لهذا الموضوع؛ هو كالآتي:

---

[1] – هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط، أبو وهب الأموي القرشي. من فتيان قريش وشعرائهم وأجوادهم. وهو أخو عثمان بن عفان لأمّه، أسلم يوم فتح مكّة، وبعثه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على صدقات بني المصطلق، ثمّ ولاه عمر على صدقات بني تغلب، وولاه عثمان الكوفه بعد سعد بن أبي وقاص سنة 25هـــ، توفي بالرّقـــة سنة 61هـــ. ينظر: الإصابة. ترجمة رقم: 9187. ج 11. ص 340 إلى 344. الأعلام. ج8. ص 122.

[2] – ينظر: مسند أحمد بن حنبل. أشرف على تحقيقه: شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة: بيروت. ط1، 1419هـــ، 1999م. حديث رقم: 18459. ج 30. ص 403 إلى 405. و قد علّق على هذا الحديث ممّن حقق هذا الجزء (محمد نعيم العرقسوسي، محمد رضوان) بقولهما: "حسن بشواهده".

[3] – التسهيل لعلوم التنـــزيل. ابن جزي الكلبي. ج2. ص 357.

[4] – ينظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة. ص 609، 610.

– التّنبيـــه على شدّة التّفخيم والتّعظيم؛ أي من أسباب ورود المبهم هو الدّلالة على فخامته وعِظمه، وتهويل أمره.

ومثال ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴾ القدر: 1 – 2، المبهم في الآية هو زمن ليلة القدر وسبب إبهامها هو لتعظيم تلك الليلة وتفخيمها؛ قال الإمام ابن عاشور في هذا الصّدد: "تنويه بطريق الإبهام المرادِ به أنّ إدراك كنهها ليس بالسّهل لما ينطوي عليه من الفضائل الجمّة، وكلمة (وما أدراك ما كذا) كلمة تقال في تفخيم الشّيء وتعظيمه...وأعيد اسم (ليلة القدر) الذي سبق قريبًا في قوله (في ليلة القدر) على خلاف مقتضى الظّاهر الإضمارُ، فقُصِدَ الاهتمام بتعيينها، فحصل تعظيم ليلة القدر صريحًا"[1].

وفي الختام ننبّه إلى أنّ كلّ هذه الأسباب عمل اجتهادي ولا يمنع أن يستنبط الباحثون والدارسون مستقبلا غيرها.

[1] – تفسير التّحرير والتّنوير. ابن عاشور. ج 30. ص 458.

المطلب الثّاني: طرق الوصول إليه.

السّبيل الذي يمكن أن نعرف به مبهمات القرآن ونكشفها هو النّقل المحض، وعليه لا مجال للرأي والاجتهاد في تعيينها، قال الإمام السّيوطي: "اعلم أنّ علم المبهمات مرجعه النّقل المحض؛ لا مجال للرأي فيه"[1]، و المراد بالنّقل هو القرآن الكريم أو أقوال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، أو آثار الصّحابة و أخبار التّابعين، قال الإمام السّيوطي: "مرجع هذا العلم النّقل المحض، ولا مجال للرأي فيه، وإنّما يرجع فيه إلى قول النّبيّ صلى الله عليه وسلّم وأصحابه الآخذين عنه، والتّابعين الآخذين عن الصّحابة"[2]. وإلى هذا المعنى ذهب الدكتور حنيف القاسمي فقال: "لا سبيل إلى معرفة المبهم في القرآن – على اختلاف جنسه– إلاّ بالقرآن نفسه الذي يبهمه في موضع ويبيّنه في موضع آخر، أو بالحديث عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أو بالأثر عن الصّحابة والتّابعين –رضوان الله عليهم–"[3]، وقال أيضًا الدكتور خالد السّبت: "يعرف المبهم في القرآن من القرآن، كأن يذكر في موضع آخر، أو يدلّ عليه السّياق. كما يعرف ذلك من السّنة، أو أقوال الصّحابة الذين شاهدوا التّـــنزيل، وعرفوا أسبابه"[4]، وقال كذلك الدكتور عبد الجواد خلف: "فليس في تفسير مبهمات القرآن مجال للقول بالرأي، ولا اتّباع الهوى، ولا غلبة الظّن، إنّما هو علم جليل القدر مصدره القرآن نفسه، فقد يبهم اللّفظ في مكان لبيانه في مكان آخر من القرآن الكريم. ومصدره في السّنّة، وأقوال الصّحابة، والتّابعين"[5].

وتفصيل ذلك وفق الفروع الآتية:

---

[1] – الإتقان في علوم القرآن. السّيوطي. ج6. ص 2022.

[2] – مفحمات الأقران في مبهمات القرآن. السّيوطي. ص 8.

[3] – تفسير مبهمات القرآن. البلنسي. ج1. ص 40.

[4] – قواعد التّفسير. خالد بن عثمان السّبت. ج2. ص 721.

[5] – مباحث في مبهمات القرآن. عبد الجواد خلف. ص 13.

الفرع الأوّل: القرآن الكريم.

القرآن الكريم كلام معجز يختلف عن غيره من الكتب الأخرى، ومن أبرز مظاهر إعجازه نظمه، والمتتبع لهذا النّظم يجده كثيرًا ما يتميز بالتّنوع في الأسلوب، ومن هذا التّنوع ما يتعلق بالأسماء فتارة يصرّح بها، وفي مواضع أخرى يبهمها، وذلك لأسباب وحكم وغايات مختلفة، وبناءً عليه فإنّ من طرق معرفة الأسماء المبهمة: القرآن الكريم وذلك بالتّصريح بها في مواضع أخرى أو سياق الآية يدلّ عليها، وتوضيح هذا الكلام يكون بالأمثلة الآتـــية:

المثال الأوّل:

قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ ﴾ البقرة:253.

فالذي كلّمه الله سبحانه وتعالى في هذه الآية موسى عليه السّلام لأنّه قد صرّح به في موضع آخر من القرآن الكريم فقال سبحانه: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ النّساء: 164. وإلى هذا المعنى ذهب معظم المفسّرين مثل ما قاله أبو جعفر الطّبري عقب تفسيره لآية البقرة: "يقول تعالى ذكره: هؤلاء رسلي فضلت بعضهم على بعض، فكلّمت بعضهم، والذي كلمته منهم موسى عليه السّلام..."[1] ، وقال ابن جماعة: " ﴿مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾هو موسى عليه السّلام"[2].

المثال الثّاني:

ممّا أبهم في موضع وبُيّن في موضع آخر من القرآن الكريم ما ورد في قوله تعالى:﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴾ الشّمس: 13. فاسم الرسول في هذه الآية مبهم بيد أنّه قد بيّن في قوله تعالى: ﴿ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ الأعراف: 77. وإلى المعنى ذهب جلّ أهل التّفسير، قال أبو جعفر عقب تفسيره للآية الأولى: "...يعني بذلك جلّ

---

[1] – جامع البيان. الطبري. ج 4. ص 520.

[2] – غرر التبيان. بدر الدين ابن جماعة. ص 220.

ثناؤه صالحًا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم..."[1]، وقال الإمام السّهيلي: "﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ﴾ يعني صالح بن عبيد ابن جابر بن ثمود بن عوص بن أرم"[2]. وهو مصرّح باسمه في قوله تعالى: ﴿ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ الأعراف: 77.

فنرى في الآية الأولى أنّه لم يصرّح باسمه وإنّما ذكر بوصفه بخلاف الآية الثّانية فقد صرّح باسمه؛ وعليها اعتمد العلماء في بيانهم لاسمه في الآية الأولى.

المثال الثّالث:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ ﴾ البقرة: 30.

المراد بالخليفة هنا هو آدم عليه السّلام وممّا يدل على ذلك السّياق القرآني[3].

الفرع الثّاني: السّنّةُ النّبويّةُ الشّريفة.

السبيل والطريق الثّاني للكشف عن المبهمات الواردة في القرآن الكريم، هي سنّة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وذلك ببيان النّبي صلّى الله عليه وسلّم لبعض الأسماء المبهمة في القرآن الكريم، ومثال ذلك ما يلي:

ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي سلمة بن عبد الرحمان، قال: مرَّ بي عبد الرّحمانِ بنُ أبي سعيدٍ الخُدريِّ. قال: قلتُ له: كيف سمعتَ أباكَ يذكرُ في المسجدِ الذي أسِّسَ على التَّقوى؟ قال: قالَ أبي: دخلتُ على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم في بيتِ بعضِ نسائِهِ. فقلتُ: يا رسولَ الله! أيُّ المسجديْنِ الذي أُسِّسَ على التَّقوَى؟ قال: فأَخَذَ كَفًّا من حَصْبَاءَ فضربَ به الأرضَ، ثمّ قال: "هو مسْجِدُكُم هذا" (لِمَسجِدِ المدينةِ)، قال: فقلتُ: أشهدُ أنّي سمعتُ أباك هكذا يذكُرُه"[4].

---

[1] – جامع البيان. الطّبري. ج24. ص 449.

[2] – التعريف والإعلام. السّهيلي. تحقيق: مهنّا. ص 184.

[3] – للاستزادة ينظر ص 80، 81 من هذه الرّسالة.

[4] – سبق تخريجه. ص 10.

فوجه الدّلالة من الحديث واضحة حيث أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بيّن المراد بالمسجد الوارد في قوله تعالى: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ التوبة: 108.

ومن الأمثلة أيضا التي بينتها السّنة هو اسم فتى موسى[1]، واسم زوج آدم عليه السّلام[2].

الفرع الثّالث: المأثور عن الصّحابة رضوان الله عليهم.

السّبيل والطّريق الثّالث للكشف عن المبهمات الموجودة في القرآن الكريم هو أقوال الصّحابة، بيد أنّنا يمكن أن نقسّم تفسير الصّحابي لمبهمات القرآن إلى قسمين رئيسين؛ هي كالآتي:

القسم الأوّل:

تفاسير الصّحابة رضوان الله عليهم لمبهمات القرآن وذلك استنادًا إلى الأحوال والملابسات والوقائع والأحداث زمن نزول الوحي، أي ما له علاقة بسبب النّزول، وذلك لكونهم شاهدوا التّنزيل وعرفوا أسبابه والأحوال التي نزل فيها، كما أنّهم صاحبوا النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وأخذوا عنه.

ومثال ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴾ عبس: 2.

الأعمى الذي أتى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في الآية هو عبد الله بن أمّ مكتوم[3]، ودليل ذلك ما رواه الإمام الحاكم في مستدركه عن عائشة رضي الله عنها قالت: "أُنزلتْ ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ في ابن أمّ مكتوم الأعمى فقالت: أتى إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فجعل يقول: أرشدني، قالت: وعند رسول الله صلّى الله عليه وعلى آله و سلّم من عظماء المشركين قالت: فجعل رسول الله

---

[1] – ينظر: ص 83 من هذه المذكرة.

[2] – ينظر: ص 81 من هذه المذكرة.

[3] – هو عبد الله بن قيس بن زائدة الأصم بن رواحة القرشيّ العامريّ ابن أمّ مكتوم، وأهل العراق: يسمّونه عمرًا وأمّه أمّ مكتوم، صحابيّ جليل أسلم قديمًا، وكان من المهاجرين استخلفه النّبيّ صلى الله عليه وسلم عدة مرات، توفي في معركة القادسية سنة 15هـ. ينظر: الاستيعاب. ابن عبد البّر. دار الفكر: بيروت. ترجمة رقم: 1680. ج1. ص598، 599. أسد الغابة. ابن الأثير. دار إحياء التّراث العربي: بيروت. ج3. ص183، 184.

صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم يُعرِض عنه ويُقبِلُ على الآخر، ويقول "أترى بما أقول بأسًا؟ "فيقول: لا، فَفِي هذا أنزلت عبس وتولى"[1].

القسم الثّاني:

تفاسير الصّحابة رضوان الله عليهم لمبهمات القرآن وذلك باعتمادهم على أقوال أهل الكتاب، لكن نلاحظ في غالب الأحيان وجود اختلاف بينهم في تعيينها، وذلك بسبب الاختلاف في المصدر نفسه (أهل الكتاب) لا عن الصّحابة رضوان الله عليهم، ومثال ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴾ القصص: 26.

فقد اختلف المفسّرون في اسم والد هذه الفتاة على عدّة أقوال، ذكرها الإمام الطّبري هي كالآتي:

– "أنّ اسمه يَثْرُون، وأتى بأسانيد من عنده إلى أبي عبيدة أنّه قال: "الذي استأجرَ مُوسى يَثْرُونُ ابنُ أخي شعيبٍ عليه السّلام.

– أنّ اسمه يَثْرَى، وذكر أسانيد من عنده إلى ابن عبّاس أنّه قال: اسم أبي المرأة يَثرَى"[2].

ففي هذا المثال نلاحظ اعتماد الصّحابة رضوان الله عليهم على مصادر أهل الكتاب في بيان اسم والد هذه الفتاة.

---

[1] – المستدرك على الصحيحين. الحاكم النّيسابوري. دار الحرمين: القاهرة. ط1، 1417هـ، 1997م. كتاب التّفسير. تفسير سورة عبس وتولّى. حديث رقم: 3954. ج2. ص 604. قال الحاكم: "هذا الحديث على شرط الشيخين و لم يخرّجاه"، وسكت عنه الإمام الذهبي، و لم يعلّق عليه.

[2] – ينظر: جامع البيان. الطّبري. ج18.ص223، 224.

الفرع الرّابع: المأثور عن التّابعين.

المراد بأقوال التّابعين هنا في تفسير مبهمات القرآن هي ما نقلوه عن أهل الكتاب –وخرجت بذلك أقوالهم المسندة إلى الصّحابة أو إلى النّبيّ صلى الله عليه وسلّم أو أن تكون في حكم المرسل، فهذه كلّها تدخل في الأقسام السّالفة الذّكر–، كما أنّ التّابعين قد توسّعوا كثيرًا في النّقل عن أهل الكتاب مقارنة بالصّحابة رضوان الله عليهم[1]، سواءٌ صرّحوا في الأخذ عنهم أو لم يصرّحوا بذلك. و من الأمثلة على ذلك ما يلي:

المثال الأوّل:

قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ المائدة: 23.

ذكر الإمام أبو جعفر الطّبري في تفسيره بسنده عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ﴾ قال: يُوشَعُ بنُ نونٍ و كِلاب بن يُوقَنَا، وهما من النّقباء.

وروى بسنده عن قتادة قال: ذكر لنا أنّ الرّجلين يُوشَع بن نون وكالِبُ. فقال: ﴿ ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ ﴾ هي مدينة الجبّارين.

وبسنده كذلك عن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ﴿ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ ﴾ هي قرية الجبّارين"[2].

---

[1] – وصولي إلى هذه النّتيجة كان من خلال الأمثلة، فالنّماذج المروية عن الصّحابة في تفسير مبهمات القرآن باعتماهم على أقوال أهل الكتاب قليلة جدًّا مقارنة بالتّابعين، وممّا يؤكّد هذا ما قام به الدكتور محمّد الخضيري في عدد المرويات التي أُثرت عن الصّحابة مَنقولة عن أهل الكتاب فوجدها أقل بكثير ممّا أُثر عن التّابعين، حيث قال: "وجدت أنّ ما روي عن ابن عبّاس بلغ 346 رواية، في حين كان المروي عن السّدي 277 رواية، ومجاهد 193 رواية، وعن قتادة 169 رواية، أي أنّ مجموع ما روي عن التّابعين أكثر من مجموع ما روي عن الصّحابة". تفسير التّابعين عرض ودراسة مقارنة. محمد بن عبد الله بن علي الخضيري. دار الوطن للنشر: الرياض. ج2. ص 889.

[2] – ينظر: جامع البيان. الطّبري. ج8. ص 293 إلى 296.

المثال الثّاني:

﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴾ يوسف: 10.

روي عن التّابعين عدة أقوال في بيان القائل في هذه الآية وكلّها مروية عن أهل الكتاب، وذلك على النّحو الآتي:

قيل إنّ القائلَ في ذلك هو رُوبيلُ، كان ابنَ خالةِ يوسفَ وهذا القول مروي عن قتادة وذكر أبو جعفر الطّبري عدة أسانيد من عنده إلى قتادة تؤكد ذلك[1].

وقيل هو شَمعُون، وهذا القول مرويّ عن مجاهد ابن جبير. فقد ذكر كذلك الإمام الطّبري عدة أسانيد من عنده تؤكد ذلك[2].

فنرى من خلال هذين المثالين اعتماد التّابعين على أهل الكتاب في بيان الأسماء المبهمة في القرآن الكريم، واختلافهم في تعيينها.

[1] – ينظر: المصدر السابق. ج13. ص 20.

[2] – ينظر: جامع البيان. الطّبري. ج13. ص 20، 21.

المبحث الثّاني: علاقة علم المبهمات بمباحث علوم القرآن.

ممّا ينبغي أن يُؤكّد عليه وجود علاقات بين أنواع علوم القرآن الكريم، ولا شكّ أنّ معرفة ذلك لها أثرها في البحث في الدّراسات القرآنية عمومًا، غير أنّ هذه العلاقة قد تظهر تارة كما قد تخفى تارة أخرى، ممّا يدلّ على أنّ الأمر يخضع للنّظر والتأمّل في هذه العلوم، وأنّ استنباط هذه العلاقات لا يحكُمه ضابط معيّن دون آخر.

وقد اعتزمتُ في هذا المبحث على بيان علاقة علم المبهمات ببعض علوم القرآن الأخرى، واخترت منها ثلاثة لكون علاقتها بعلم المبهمات وطيدة؛ أوّلها علم أسباب النّزول وثانيها قصص القرآن الكريم وثالثها الإسرائيليات.

وغرضي من هذا العمل بيان وجه تأثير تلك العلوم الثّلاثة المختارة في درس المبهمات، ليدرك الدّارس والقارئ التّكامل الحاصل بينها أحيانًا، وكون تلك العلوم الثّلاثة أُسسًا وركائز تقوم عليها جوانب من علم المبهمات.

وقبل أن أُبرز وجه العلاقة بين أيّ علم من العلوم الثّلاثة وعلم المبهمات؛ فإنّي أقدم بمقدمة مختصرة أذكر فيها جزئياتٍ من هذه العلوم أنطلق منها لإبراز هذه العلاقة، فانطلقت في علم أسباب النّزول من فائدته، وانطلقت في قصص القرآن من سمات أسلوبه، وفي علم الإسرائيليات انطلقت من أسبابه وأقسامه من حيث القبول والرّد، وفي ختام المطلب أُوردُ جملةً من الأمثلة التطبيقية عن تلك العلاقة، وتفصيل ذلك وفق المطالب الآتية:

المطلب الأوّل: علاقته بعلم أسباب النّزول.

يعدّ علم أسباب النّزول من العلوم ذات الأهمية الكبرى التي لا يمكن لأي مفسّر لكتاب الله عزّ وجل أن يجهله، أو لأيّ دارس لعلوم القرآن أن يغفل عنه؛ نظرًا لما له من أثرٍ واضحٍ و جليٍّ في تفسير وبيان المراد من آيات الذّكر الحكيم، لهذا نجد العلماء قد اعتنوْا به قديمًا وحديثًا.

وممّا يُبرز أيضًا أهمية علم أسباب النّزول ومكانته هو تعدد فوائده وكثرتها، فمن فوائد معرفة هذا العلم هو البيان والكشف عن بعض المبهمات الموجودة في القرآن الكريم، وقد جاءت أقوال العلماء مؤكدة لهذا المعنى، فقد قال الإمام السُّيوطي في ذكره لفوائد علم أسباب النّزول ما نصّه: "...ومنها معرفةُ اسم النازلِ في الآية، وتعيينُ المبهمِ فيها "[1].

وقال الإمام محمّد عبد العظيم الزَرْقَاني[2] في تعدِيدِه لفوائد علم أسباب النّزول مشيرًا في المعنى من كلامه إلى العلاقة بين العلمين، فقال :" ...معرفة من نزلت فيه الآية على التّعيين حتى لا يشتبه بغيره فيُتَّهم البريءُ ويبْرَأَ المُريب- مثلاً- "[3].

بل جعل العلاّمة محمّد الطاهر بن عاشور نوعًا من أسباب النـــزول من ناحية الإسناد يتوقف على فهم المراد من الآية ويجب على كلّ مفسّر لكتاب الله عزّ وجل البحثُ عنه، وذكر من هذا تفسير المبهمات فقال: " وقد تصفحت أسباب النّزول التي صحّت أسانيدها فوجدتها خمسة أقسام:

الأول: هو المقصود من الآية يتوقف فهم المراد منها على علمه فلا بد من البحث عنه للمفسّر وهذا منه تفسير مبهمات القرآن مثل قوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا ﴾ المجادلة:01، ونحو:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا ﴾البقرة: 104"[4]

وقال الدكتور شعبان محمّد إسماعيل في معرض حديثه عن فوائد علم أسباب النّزول ما نصّه: "خامسًا : معرفة من نزلت فيه الآية على التعيين حتى لا يشتبه بغيره فيتهم البريء ويبرأ المريب"[5].

---

[1] – الإتقان في علوم القرآن. السُّيوطي. ج1. ص195.

[2] – هو محمّد عبد العظيم الزرقاني، من علماء الأزهر بمصر، تخرج من كلية أصول الدّين، وعمل بها مدرّسًا لعلوم القرآن والحديث، من كتبه مناهل العرفان، توفي بالقاهرة سنة: 1367هـــ. ينظر: الأعلام. ج6. ص 241.

[3]– مناهل العرفان في علوم القرآن. محمّد عبد العظيم الزَرْقَاني. تحقيق: فواز أحمد زمرلي. دار الكتاب العربي: بيروت. ط1، 1415هـــ، 1995م. ج1. ص95.

[4] – تفسير التّحرير والتّنوير. ابن عاشور. ج1. ص47.

[5] – المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الإسلامية. شعبان محمّد إسماعيل. دار الأنصار: مصر. ط1، 1400هـــ، 1980م. ج1. ص 178.

وفي هذا المعنى أيضًا قال الدكتور منّاع القطان : " ...و يوضّح سبب النّزول من نزلت فيه الآية حتى لا تُحمل على غيره بدافع الخصومة والتّحامل"[1]. أي إنّ علم أسباب النّزول لا يكتفي فقط بتعيين المبهمات بدون فائدة بل في تعيينها فوائد جمّة أبرزها دفع الخصومة والتّحامل، كما سيأتي في الأمثلة.

وعلى ضوء ما سبق يظهر لنا بجلاء ووضوح وجه الصّلة بين علم أسباب النّزول وعلم مبهمات القرآن، فإنّ الكثير من مبهمات القرآن يتم معرفتها والكشف عنها عن طريق علم أسباب النّزول.

ولّما عُرِفت العلاقة بين العلمين نورد أمثلة[2] توضّح أهمية معرفة السَّبب في تعيين بعض المبهمات الموجودة في القرآن الكريم، وهي على النّحو الآتي:

المثال الأوّل:

قوله تعالى: ﴿ **إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ** ﴾ آل عمران: 122.

المراد بالطائفتين في هذه الآية هما بنو الحارثة[3] وبنو سَلِمَة[4] كما يوضحه ويبيّنه سبب نزول هذه الآية، وذلك لما روي عن جابر بن عبد الله[5] قال: فينَا نزلتْ ﴿ **إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا**

---

[1] – مباحث في علوم القرآن. منّاع القطان. مطبعة المدني: المؤسسة السّعودية بمصر. النّاشر: مكتبة وهبة: القاهرة. ط11، 1421هـ، 2000م. ص 77.

[2] – يكون ترتيبُها حسَب ورودها في المصحف، كما أنّي ذكرت أصّح الآثار أو الأحاديث الواردة في سبب نزول الآية.

[3] – بنو الحارثة: بطن من الأوس من الأزد من القحطانية، وهم: بنو حاثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن النـــبيت، واسمه كعب بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس. ينظر: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب. لأبي العبّاس أحمد القلقشندي. تحقيق: إبراهيم الأبـــياري. دار الكتاب اللبناني: بيروت. ط2، 1400هـ، 1980م. ص 224.

[4] – بنو سلِمة بالكسر بطن من الخزرج من القحطانية، وهم: بنو سلمة بن سعد بن علي بن راشد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج، قال الجوهري: وليس في العرب سلمة بكسر اللام سواهم، قال: والنسبة إليهم سُلَمي بفتح اللام.ينظر: نهاية الأرب. ص 293، 294.

[5]– هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري السّلمي، صحابي من المكثرين في الرواية عن النّبي صلّى الله عليه وسلّم، وروى عنه جماعة من الصّحابة،له ولأبيه صحبة غزا تسع عشرة غزوة، وكانت له في أواخر أيّامه حلقة في المسجد=

﴾ آل عمران 122، قال: نحنُ الطّائفتانِ بنُو حَارِثَة ، وبنُو سَلِمَةَ، وما نحبُّ – وقال سفيانُ مَرَّةً: وما يسرُّني – أنّها لم تنـــزلْ لقول الله ﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾"[1].

وأغلب من فسّر هذه الآية جعل هذا الحديث سبب نزولها، كالذي قاله الإمام ابن عاشور في تفسيره: "وهمّت بنو سلمة وبنو الحارثة من المسلمين بالانخزال ثمّ عصمهم الله، فذلك قوله تعالى: ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾ أي ناصرهما على ذلك الهمّ الشّيطاني الذي لو صار عزمًا لكان سبب شقائهما فلعناية الله بهما برّأهما الله من فعل ما همّتا به"[2].

المثال الثّاني:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴾ النّساء: 51.

من الأمثلة كذلك التي تدلّ على بيان أسباب النّزول لبعض مبهمات القرآن ما ورد في هذه الآية، حيث إنّ اسم الذي أوتي نصيبًا من الكتاب وآمن بالجبت والطّاغوت مع علمه ببطلانهما غير مذكور في الآية، بيد أنّ سبب نزولها قد بيّنه، وذلك فيما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لمّا قدمَ كعبُ بنُ الأشرفِ مكّةَ قالت له قريشٌ : أنت خيرُ أهلِ المدينةِ وسيّدُهم ؟ قال نعم، قالوا ألا ترى إلى هذا المُنْبَتِر[3] من قومه يزعمُ أنّه خيرٌ منّا ؟ ونحنُ: أهلُ الحجيجِ وأهلُ

=النّبوي يؤخذ عنه العلم، روي عنه 1540 حديث، توفي سنة 78هـــ. ينظر: الإصابة. ترجمة رقم: 4860. ج6. ص 304، 305. الأعلام. ج2. ص 104.

[1]– الجامع الصحيح. لأبي عبد الله محمّد بن إسماعيل البخاري. كتاب تفسير القرآن. –سورة آل عمران– باب ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا ﴾. حديث رقم: 4558. ج3. ص210. وأخرجه أيضًا في كتاب المغازي. باب ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا ﴾. حديث رقم: 4051. ج3. ص104. الجامع الصحيح. مسلم بن الحجاج. كتاب فضائل الصّحابة رضي الله تعالى عنهم. باب فضائل الأنصار رضي الله تعالى عنهم. ج5. ص 173.

[2] – تفسير التّـــحرير والتّـــنوير. ابن عاشور. ج4. ص 70.

[3] – المُـــنبَتر هو الذي لا ولد له. ينظر: النّهاية في غريب الحديث والأثر. ابن الأثير. تقديم: علي حسن الأثري. دار ابن الجوزي: السعودية. ط1، 1421هـــ، 2000م. ص61.

السِّدَانَةِ[1] – قال أنتم خير منه، فنزلت ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾ الكوثر: 3 ، ونزلت : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾إلى قوله ﴿ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴾ النّساء: 52"[2].

ومعظم من فسّر هذه الآية جعل هذا الأثر سبب نزولها، مثل ما قاله أبو جعفر الطّبري: "إنّ الله وصف الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب من اليهود، بتعظيمهم غير الله بالعبادة والإذعان له بالطّاعة في الكفر بالله ورسوله ومعصيتهما، وأنّهم قالوا إنّ أهل الكفر بالله أولى بالحقّ من أهل الإيمان به، وإنّ دين أهل التكذيب لله ورسوله أعدل وأصوب من دين أهل التّصديق لله ولرسوله، وذكر أنّ ذلك من صفة كعب بن الأشرف، وأنّه قائل ذلك"[3]، ثمّ ذكر الآثار الواردة في ذلك منها الأثر الذي ذكرناه سابقًا عن ابن عبّاس.

المثال الثّالث:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ الأحقاف: 17.

اختلف أهل التّأويل في المراد بهذه الآية؛ فهناك من قال أنّه: عبد الرحمن بن أبي بكر[4] وفيه نزلت وممّن ذكر ذلك السّدّي حيث قال: نزلت هذه الآية ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ ﴾في عبد

---

[1] – سِدَانة الكعبة: هي خدمتها وتولي أمرها. ينظر: النّهاية في غريب الحديث والأثر. ابن الأثير. تقديم: علي حسن الأثري. ص324.

[2] – ينظر: السّنن الكبرى. لأبي عبد الرّحمان أحمد بن شعيب النّسائي. تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي. كتاب التّفسير. سورة الكوثر. باب قوله تعالى﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾ . حديث رقم: 11643. ج 10. ص347. التّعليقات الحسان على صحيح ابن حبان. محمّد ناصر الدين الألباني. دار باوزير. باب: كتب النّبي صلى الله عليه وسلم. ذكر تسمية المشركين صفي الله صلى الله عليه وسلم الصُّنَيبِيرَ والمُنْبَتِر. حديث رقم: 2538. ج9. 292. وقال الشيخ الألباني معلقًا عليه: "حديث صحيح الإسناد".

[3] – جامع البيان. الطّبري. ج 7. ص 142.

[4] – هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي بكر الصّديق ابن أبي قحافة القرشي التيمي: صحابي، ابن صحابي، كان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة، فجعله رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عبد الرحمن، وكان من أشجع قريش وأرماهم بسهم، حضر اليمامة وشهد غزو إفريقية، كما كان شاعرًا، توفي سنة: 53هـ. ينظر: معرفة الصّحابة. لأبي نعيم الأصبهاني. تحقيق: عادل بن يوسف العزازي. ط1،1419هـ، 1998م. ج4. ص 1815. الإصابة. ترجمة رقم: 5174. ج6. ص 512 إلى 516.

الرّحمن بن أبي بكر قال لوالديه وكانا قد أسلما، وأبَى هو أن يسلم فكانا يأمرانه بالإسلام ويردّ عليهما ويكّذبهما، ويقول أين فلان؟ وأين فلان؟ يعني مشايخ قريش ممّن قد مات، ثمّ أسلم بعد وحسن إسلامه، فنزلت توبته في هذه الآية: ﴿ وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۚ ﴾ "[1].

وما روي كذلك عن ابن عبّاسٍ في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ ﴾ إلى آخر الآية، قال: الذي قال هذا هو ابن لأبي بكرٍ رضي الله عنه، قـــال: ﴿ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ ﴾ أتعدانني أن أبعث بعد الموت"[2].

لكن جلّ من فسّر هذه الآية فنّد هذا الكلام واعتمد على عدة أدلة، منها ما روي عن عائشة رضي الله عنها في إنكارها لهذا القول، وذلك في ما رواه الإمام البخاري عن يوسف بن مَاهَك[3] قال : كان مروانُ[4] على الحجازِ، استعملَه معاويةُ[5]، فخطَبَ فجَعَلَ يذكرُ يزيدَ بنَ معاويةَ لكيْ يُبَايَعَ له بعدَ أبِيه، فقال له عبدُ الرّحمنِ بنُ أبي بكرٍ شيئًا، فقال: خذُوهُ، فدخلَ بيت عائشةَ فلم يقدرُوا، فقال مروانُ : إنَّ هذا الذي أنزلَ اللهُ فيه ﴿ وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ ﴾

---

[1] – تفسير ابن أبي حاتم. ج9. ص 3295، 3296.

[2] – جامع البيان. الطّبري. ج 21. ص 144، 145.

[3] – هو يوسف بن ماهك بن بهزاذ الفارسي المكّي، وثّقه ابن معين والنّسائي وغيرهما، قال الهيثم بن عدي مات سنة 110هـــ، وقال الواقدي ويحيى بن بكير والمدائني وجماعة سنة: 113هـــ. ينظر: سير أعلام النّبلاء. ج5. ص 68، 69. تهذيب التهذيب. ترجمة رقم: 7926. ج10. ص 150.

[4] – هو مروان بن الحكم بن أبي العاص ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو عبد الملك خليفة أموي، وهو أوّل من ملك من بني الحكَم بن أبي العاص، وإليه ينسب بنو مروان ودولتهم "المروانية"، ولد بمكّة ونشأ بالطّائف، وسكن المدينة، فلمّا كانت أيّام عثمان جعله في خاصّته واتخذه كاتبًا له، انصرف إلى المدينة فأقام فيها إلى أن ولي معاوية الخلافة فولاه عليها سنة 42هـــ إلى 49هـــ، ثمّ أخرجه منها عبد الله بن الزّبير فسكن الشّام، توفي بالطّاعون بدمشق سنة 65هـــ. ينظر: أسد الغابة. ترجمة رقم: 4848. ج5. ص 139، 140. الأعلام. ج7. ص 207.

[5] – هو معاوية بن أبي سفيان، صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي: مؤسس الدولة الأموية في الشّام، وأحد دهاة العرب المتميّزين الكبار، كان فصيحًا حليمًا وقورًا، ولد بمكّة وأسلم يوم فتحها 8هـــ، تعلّم الكتابة والحساب فجعله رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من كتابه، ولي الشّام في عهد عمر بن الخطّاب وعثمان، توفي سنة 60هـــ. ينظر: الإصابة. ترجمة رقم: 8106. ج10. ص 227 إلى 234. الأعلام. ج7. ص 261، 262.

الأحقاف: 17. فقالت عائشةُ من وراءِ حجاب: ما أَنْزلَ الله فينَا شيئًا من القرآن إلاّ أنَّ اللهَ أَنزلَ عُذري"[1].

وفي رواية أخرى عن محمّد بنِ زياد، قال :" لَّما بايعَ مُعاويةُ لابنِه، قال مروانُ: سنّةُ أبي بكرٍ وعمرَ، فقال عبدُ الرّحمنِ بنُ أبي بكرٍ: سنّةُ هرقلَ وقيصرَ، فقال مروانُ: هذا الذي أنزلَ اللهُ فيه ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ ﴾ الآية، فبلغَ ذلك عائشةَ فقالتْ: " كذبَ واللهِ ما هو به، وإن شئتُ أن أسميَ الذي أُنزلتْ فيه لسمَّيْتُه، ولكنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لعنَ أَبَا مروانَ، ومروانُ في صلبِه، فمروانُ فَضَضٌ[2] من لعنةِ اللهِ"[3].

قال ابن حجر: "لكن نفي عائشة أن تكون نزلت في عبد الرّحمان وآل بيته أصح إسنادًا وأولى بالقبول"[4].

وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية بعد ذكره لحديث عائشة ما نصّه: "...ومن قال أنّها نزلت في عبد الرّحمان بن أبي بكر فقوله ضعيف، لأنّ عبد الرّحمان بن أبي بكر أسلم بعد وحسن إسلامه، وكان من خيار أهل زمانه"[5].

وقال أبو السّعود: "وما قيل أنّها نزلت في عبد الرّحمان بن أبي بكر رضي الله عنهما قبل إسلامه يرّده ما سيأتي من قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ ﴾ فإنّه كان من أفاضل المسلمين

---

[1] – الجامع الصحيح . أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل البخاري.كتاب التفسير. باب ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ ﴾. حديث رقم: 4827. ج3. ص 291.

[2] – قال ابن الأثير: قوله: فَضَضٌ من لعنة الله أي قطعة و طائفة منها. النّهاية في غريب الحديث والأثر. ابن الأثير. أشرف عليه وقدم له: علي بن حسن الحلبي الأثري. ص709.

[3] – السنن الكبرى. الإمام النّسائي. تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي.كتاب التّفسير. سورة الأحقاف. باب قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ ﴾. حديث رقم: 11427. ج10. ص 257. المستدرك على الصّحيحين. الحاكم النّيسابوري. دار الحرمين: القاهرة.كتاب الفتن والملاحم. حديث رقم: 8548. ج4. ص 650. قال الحاكم: "هذا حديث على شرط الصّحيحين و لم يخرجاه"، وعقب عليه الذهبي بقوله: "فيه انقطاع؛ محمّد ابن زياد لم يسمع من عائشة".

[4] – فتح الباري بشرح صحيح البخاري. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. قرأ أصله تصحيحًا وتحقيقًا: عبد العزيز بن عبد الله بن باز. ج8. ص 577.

[5] – تفسير ابن كثير. ج7. ص 283.

وقد كذّبت الصّديقة رضي الله عنها من قال ذلك"[1].

كما قلنا سابقًا وفي معرفة سبب النّزول فوائد جمة، منها دفع الخصومة والتّحامل حتى لا يتّهم البريء ويبرأ المُريب، ويتّضح هذا المعنى جليًا في هذا المثال حيث وقع الاتّهام لعبد الرحمان بن أبي بكر من قبل مروان فردّت عليه عائشة هذه التّهمة، إذن المبهم في هذه الآية ليس عبد الرّحمان وهي تهمة منفية، ومع كون اسم المبهم لم يعيّن إلاّ أنّ هذا المثال يدرج ضمن علم المبهمات.

المثال الرابع:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ المجادلة: 1.

فالتي جادلت النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في زوجها هي خولة بنت مالك وفيها نزلت هذه الآية، وذلك لما روي عن يوسف بن عبيدِ الله بنِ سلام عن خُوَيْلةَ بنتِ مالكِ بنِ ثعلبَةَ، قالتْ ظاهَرَ منّي زوجِي أَوسُ بنُ الصَّامِتِ فجئتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم أشكُو إليه، ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلم يجادلُني فيه، ويقول: "اتّقِ الله فإنّه ابنُ عمِّك"، فما برحتُ حتّى نزل القرآن ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ ﴾ ...الحديث"[2].

وفي رواية أخرى عن عروةَ بنِ الزُّبيرِ قال: قالت عائشةُ: تبارَكَ الذي وسعَ سمعهُ كلَّ شيء، إنِّي لأسمعُ كلامَ خوْلةَ بنتِ ثعلبةَ ويخفى عليَّ بعضهُ، وهي تشتكي زوجَها إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم وهي تقول: يا رسولَ الله أكلَ شبابي، ونثرتُ له بطْني، حتى إذا كَبِرَتْ سِنِّي، وانقطعَ

---

[1] – إرشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم. لأبي السّعود بن محمّد العمادي الحنفي. تحقيق: عبد القادر أحمد عطا. مطبعة السّعادة: مصر. النّاشر: مكتبة الرّياض الحديثة: الرّياض. ج5. ص 129.

[2] – سنن أبي داود. سليمان بن الأشعث السّجستاني.كتاب الطّلاق. تحقيق: محمّد عوامة. دار القبلة للثقافة الإسلامية: جدة، مؤسسة الرّيان: بيروت، المكتبة المكية: مكة. ط1، 1419هـ، 1998م. كتاب الطلاق. باب في الظهار. حديث رقم: 2209. ج3. ص82، 83. وحكم عليه الشيخ الألباني بقوله: "حديث حسن". ينظر: سنن أبي داود. حكم على أحاديث وآثاره وعلّق عليه: محمد ناصر الدين الألباني. اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان. مكتبة المعارف: الرياض.كتاب الطلاق. باب في الظهار. حديث رقم: 2213. ص 386.

ولدِي، ظاهر منِّي، اللّهمَّ إنّي أشكُو إليك، فما برِحَت حتى نزل جبرائيل بهؤلاء الآيات ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾"[1].

فمن خلال سبب نزول هذه الآية نكون قد عرفنا اسم المجادل فيها ألا وهي خولة بنت ثعلبة، واسم زوجها أَوس بن الصَّامِتِ.

وبعد هذه الجولة السّريعة مع هذه الأمثلة تبيَّن وتأكد لنا وجه الصّلة بين علم أسباب النّزول وعلم مبهمات القرآن، وأنّ العلاقة بين العلمين وثيقة جدّا إذْ لا يتم الكشف عن بعض مبهمات القرآن إلاّ بمعرفة سبب نزولها، مع التَّذكير في الأخير بأنّ العبرة بعموم اللّفظ لا بخصوص السبب، وعليه فإنّ الكثير من الآيات التي نزلت في أشخاص مُعينين تشملهم وتشمل غيرهم من جهة الحكم.

[1] – سنن ابن ماجة. لأبي عبد الله محمّد بن يزيد القزويني. حكم على أحاديثه وآثاره وعلّق عليه: محمد ناصر الدين الألباني. اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. مكتبة المعارف: الرياض. ط1. كتاب الطّلاق. باب الظّهار. حديث رقم: 2063. ص 356. و حكم عليه الشيخ الألباني بقوله:" حديث صحيح".

المطلب الثاني: علاقته بعلم قصص القرآن.

القصص القرآني كلّه عرض لأحداث تاريخية مضى بها الزّمن... فهو- والأمر كذلك- وثيقة تاريخية من أوثق ما بين يدي التاريخ من وثائق، فيما جاء فيه من أشخاص وأحداث، وما يتصل بالأشخاص والأحداث من أمكنة وأزمنة[1].

غير أنّ سمات وميزات القصص القرآني يختلف عن غيره من القصص الفنية الأخرى، سواء أكان من ناحية الغرض أم من ناحية العرض، أمّا في ما يخص الغرض فهو جاء ليحقق أغراضًا دينية بحتة، قال سيّد قطب:" القصّة في القرآن ليست عملاً فنّيًا مستقلاً في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه- كما هو الشّأن في القصّة الفنية الحرّة التي ترمي إلى أداء فنّي طليق- إنّما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدّينية، والقرآن كتاب دعوة دينية قبل كلّ شيء؛ والقصّة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدّعوة وتثبيتها"[2].

أمّا من ناحية العرض؛ فإنّه لا يَعرض القصّة بتفاصيلها- في الغالب - وإنّما يشير فقط إلى الجانب البارز الملائم لسياق الآية أو السّورة المذكور فيها مقطع ذلك القصص، وعليه فإنّنا نلاحظ في القصص القرآني عدم تطرّقه في الغالب إلى أسماء وشخصيات القصّة، والمكان والزمان الذي وقعت فيه تلك القصّة، مُرَكزًا في قصصه على جانب العبرة والعظة، قال الإمام الشّعراوي رحمه الله: "القصص في القرآن الكريم لا يتناول أشخاصًا بذواتهم، أي أنّ القصّة في القرآن الكريم هي عبرة عامة وموعظة تتكرّر في كلّ عصر ما عدا قصة مريم عليها السّلام وزيد بن الحارثة رضي الله عنه، ولذلك فإنّ الله سبحانه وتعالى لم يذكر أبطال هذا القصص بأسمائهم الكاملة لنعرف أشخاصهم بل اكتفى باسم واحد عام ففرعون مثلاً هو كلّ شخص يريد أن يجعل نفسه إله يعبد في الأرض، وذو القرنين مثلاً هو من يريد إصلاحًا في الأرض"[3].

وقال الإمام ابن عاشور في حديثه عن فوائد أسلوب القصص القرآني فقال: "وقد رأيت أنّ من أسلوب القرآن في هذا الغرض أنّه لا يتعرض إلاّ إلى حال أصحاب القصّة في رسوخ الإيمان

---

[1] – القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع تطبيق لقصتي آدم ويوسف. عبد الكريم الخطيب. دار المعرفة: بيروت. ط2، 1395هـ، 1975م. ص39.

[2] – التّصوير الفنّي في القرآن الكريم. سيّد قطب. دار الشروق: القاهرة. ط16، 1423هـ، 2002م. ص143.

[3] – قصص الأنبياء . محمّد متولي الشّعراوي. مكتبة التّراث الإسلامي: القاهرة. النّاشر: دار الكتب العلمية: لبنان. ص8.

وضعفه وفيما لذلك من أثر عناية إلهية أو خذلان، وفي هذا الأسلوب لا تجد في ذكر أصحاب هذه القصص بيان أنسابهم أو بلدانهم إذ العبرة فيما وراء ذلك من ضلالهم أو إيمانهم"[1].

وقال الدكتور صلاح عبد الفتاح خالدي في حديثه عن طريقة القرآن في عرض القصص: "للقرآن طريقة مطّردة في عرض قصص السّابقين، فلم يكن هدفه الاستعراض الشّامل الدقيق لأحداث القصّة ولا متابعة كل وقائعها بالتّفصيل الدقيق، ولا السّرد التاريخي المتدرج المنظم.
فالذي يعني القرآن أثناء القصّ لقصصه هو المشاهد واللقطات التي تحوي الدروس والدلالات وتقدم العبر والعظات فتجده يوردها ويسجلها ويثبتها لتقدم دروسها.
إنّنا لن نجد في القرآن سردًا تاريخيًا مفصّلاً للقصّة، ولا عرضًا شاملاً لكلّ أحداثها وموقف أشخاصها والباحثون عن هذه التّفاصيل لن يجدوها في القرآن الكريم.
القرآن الكريم لم يعرض إلاّ أقل القليل من أحداث قصصِه ومشاهدها، وهي التي تحقق ما يريد من عرضها، وما سكت عنه القرآن منها أضعاف أضعاف ما ذكره"[2].

ولّما كان هذا القصص الذي يعرضه القرآن الكريم ذا أهمية بالغة في حياة البشر وهو مذكور في أقدس كتاب عرفته البشرية، كما أنّ معظمه يتعلق بالصّالحين من الأنبياء والمرسلين وغيرهم من الأمم الغابرة، وكطبيعة أي نفس بشرية – القصص الذي يكون بهذه الأهمية البالغة – متلهفة ومتطلعة، ومولَعَة لمعرفة تفاصيله، من أسماء هؤلاء الأعلام أو أماكن تواجدهم والأزمنة التي عاشوها، خاصّة بالنسبة للذين لم يتم التّصريح بهم، وذلك لفوائد منها زيادة رسوخ تلك القصة في أذهان المستمعين، التسمي بأسمائهم للدلالة على شدّة التأثر بهم والاقتداء بهم إذا كانوا من أهل الخير والصّلاح، وهنا يكمُن دور علم المبهمات في تعيينه لهذه الأسماء والأمكنة التي لم يصرّح بها القرآن الكريم.

وبناءً على ما تم ذكره يظهر لنا بجلاء ووضوح وجه الصّلة بين علمي المبهمات وقصص القرآن، **فنجد أنّ علم المبهمات يشتغل ببيان وكشف ما سكت عنه القصص القرآني من أسماء**

---

[1] – تفسير التّحرير والتّنوير. ابن عاشور. ج1، ص 65.

[2] – القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث. صلاح عبد الفتّاح خالدي. دار القلم: دمشق. ط1، 1419هـ، 1998م. ج1، ص40.

الأعلام والأماكن والأزمنة والأعداد وغير ذلك ممّا يتعلق به، ممّا يزيد القصّة جمالاً ورونقًا وإيقاعًا أكثر في النّفس. والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها ما يلي[1]:

المثال الأوّل:

نذكر في هذا المثال مقطع من قصة آدم عليه السّلام الذي في سورة البقرة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ البقرة: 30 – 37.

نلاحظ في هذا المقطع من قصة آدم عليه السّلام أنّه سبحانه وتعالى لم يذكر بعض الجزئيات التي تتعلق بهذه القصّة مثل ما يتعلق باسم الخليفة في الأرض، واسم زوجه، واسم المكان الذي أُنزلا فيه، ونوع الشّجرة التي نهاهما عن الأكل منها، إلى غير ذلك من الأسماء التي يكون البحث فيها في علم المبهمات، وبيان بعضها على النّحو الآتي:

1- اللّفظة الأولى هي قوله: ﴿خَلِيفَةً﴾ فالمراد بالخليفة في هذه الآيات هو آدم عليه السّلام، والدّليل على ذلك أمران اثنان، الأوّل منها؛ هو السّياق فقد قال بعد هذه الآية :﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ

[1]- ترتيبها يكون على حسب ورودها في المصحف.

ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾، والدّلـــــيل الثّاني هو ما روي عن أنس[1] رضي الله عنه، عن النّبي صلى الله عليه وسلم ، قال : " يجتمعُ المؤمنون يوم القيامة، فيقولون : لو استَشْفَعنا إلى ربِّنا ، فيأتون آدم فيقولون : أنت أبُو النَّاسِ، خلقك اللهُ بيده، وأَسجدَ لك ملائكتُه، وعلّمك أسماءَ كلّ شيء ، فاشفع لنا عند ربِّك حتى يُريحَنا من مكاننا هذا ..."[2].

2- اللفظة الثّانية: هي قوله: "زوجك" المراد بالزوج في هذه الآيات هي حوّاء، ودليل ذلك ما روي عن أبي هريرةَ[3] رضي الله عنه، قال: قال النّبي صلّى الله عليه وسلم: " لولاَ بنُو إسرائيلَ لم يَخْنَزِ[4] اللّحمُ، ولولا حوّاءُ لم تخنْ أُنثَى زوجَها الدَّهْرَ"[5]، قال الإمام ابن حجر:" قوله (لم تخن أنثى زوجها) فيه إشارة إلى ما وقع من حوّاء في تزيينها لآدم الأكل من الشجرة حتى وقع في ذلك، فمعنى أنّها قبلت ما زيّن لها إبليس حتى زيّنته لآدم"[6].

---

[1] – هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجاري الخزرجي الأنصاري، أبو ثمامة، أو أبو حمزة صاحب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وخادمه، روى عنه رجال الحديث 2286 حديث، مولده بالمدينة وأسلم صغيرًا وخدم النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى أن قبض، ثمّ رحل دمشق ثمّ إلى البصرة ومات فيها سنة 92هـــ. ينظر: معرفة الصّحابة. ترجمة رقم: 88. ج1. ص 230. الإصابة. ترجمة رقم: 277. ج1. ص 251 إلى 256.

[2]– الجامع الصحيح. محمّد بن إسماعيل البخاري. كتاب تفسير القرآن. باب قول الله تعالى ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ ، حديث رقم: 4476. ج3 ، ص 189، 190.

[3] – هو عبد الرّحمن بن صخر الدوسي، الملقب بأبي هريرة: صحابي كان أكثر الصّحابة حفظًا للحديث ورواية له، نشأ يتيمًا ضعيفًا في الجاهلية، وقدم المدينة وسول الله في خيبر، فأسلم سنة 7هـــ، ولزم صحبة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فروى عنه 5373 حديث، نقلها عنه أكثر 800 رجل بين صحابي وتابعي، توفي بالمدينة سنة 59هـــ. ينظر: حلية الأولياء. ج1. ص 376. سير أعلام النبلاء. ج2. ص 578.

[4]– ما خَنزَ اللحم: أي ما أنتَنَ. يقال خَنزَ يَخْنُزُ وخزن يخزن إذا تغيرت ريحه. ينظر: الفائق في غريب الحديث: محمود جار الله الزمخشري. تحقيق: علي محمّد البجاوي، أبو الفضل إبراهيم. مكتبة عيسى بابلي الحلبي وشركاؤه: مصر. ط2.ج 1. ص 399. النّهاية في غريب الحديث والأثر. ابن الأثير. ص287.

[5] – الجامع الصّحيح. محمّد بن إسماعيل البخاري. كتاب الأنبياء. باب خلق آدم وذرّيته. رقم الحديث: 3330. ج2. ص451. و الجامع الصحيح. مسلم بن الحجاج. كتاب الرّضاع. باب لولا حوّاء لم تخن زوجها الدّهر. ج4. ص179.

[6] – فتح الباري بشرح صحيح البخاري . ابن حجر العسقلاني. تعليق عبد الرحمان بن النّاصر البرّاك. دار طيبة: الرّياض. ط1، 1426هـــ ، 2005م. ج7. ص 612.

المثال الثّاني:

قصّة موسى والخَضِر[1]:

هذه القصّة من روائع قصص القرآن الكريم، فقد خرج موسى من دياره طالبًا للعلم عندما أعلمه ربُّه أنّ هناك في الأرض من هو أعلم منه، لكن هذه القصّة ازدادت جمالاً وبهاءً ورونقًا حينما جاءت سنّةُ المصطفى صلّى الله عليه وسلّم بتفصيلها وكشف اللّثام عن المشاهد والشّخصيات التي لم يذكرها القرآن الكريم. و بيان ذلك على النّحو الآتي:

القصّة بدأت من قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ الكهف: 60 – 82.

فالتّالي لهذه الآيات يتّضح له جليًا أنّ العبرة من هذه القصّة وصلت، وأنّ الغاية من القصّة بارزة، لكن هناك الكثير من التساؤلات حول هذه القصّة تبقى تختلج في الذهن، منها: يا تُرى من هذا الفتى الذي تشرف بصحبة موسى صلى الله عليه وسلم؟ ومن هذا العبد الصّالح الذي رحل إليه موسى لطلب العلم عنده؟، وغيرها من الأسئلة التي تلج في خاطر كلِّ تالٍ لهذه الآيات.

---

[1] – الخَضِرْ : اسمه بليا بن ملكان وكان يُكنّى أبا العباس ويلقب بالخَضِر لقوله صلى الله عليه وسلم :" إنّمَا سُمِيَّ الخضِرَ أنّه جلس على فروةٍ بيضاءَ فإذا هي تهتزُّ من خلفه خضراءَ" ينظر: الجامع الصّحيح. البخاري. كتاب الأنبياء. باب حديثُ الخَضِر مع موسى عليهما السّلام. حديث رقم: 3402. ج2. ص 476.

كما اختُلِف فيه هل هو ملك أو وليّ أو نبي؟ "اختلف المفسّرون والمؤرّخون في الخضر عليه السّلام على ثلاثة أقوال:

1– إنّه ملك من الملائكة يُتصور في صورة الآدميين وقد عارضه بعض أهل العلم حيث قال ابن كثير:" هذا غريب جدًّا"، وقال النّووي: "هذا غريب باطل".

2 – إنّه وليّ ذهب إليه جماعة من الصّوفية وغيرهم، ورتّبوا على درجة الولاية ترتيبات غير مشروعة وقال بالولاية أيضًا من الحنابلة : أبو يعلى بن أبي موسى وأبو بكر الأنباري وأبو موسى القشيري.

3– إنّه نبي قاله الثعلبي :" هو نبي في جميع الأقوال " ، وقال القرطبي :" الخضر نبي عند الجمهور" وذكره الألوسي نبوته عند الجمهور و به قال ابن حجر". ينظر: قصص القرآن. حمدي بن محمّد نور الدين آل نوفل. مكتبة المورد : القاهرة. ط1، 1423هـ، 2002م. ص 186.

و لهذا جاءت السّنة النّبوية مبيّنة وموضحة ومجيبة عن هذه الإشكالات والأسئلة التي تطرح؛ فقد روي عن سعيد بنِ جبير، قال : قلتُ لابنِ عبَّاسٍ: إنَّ نوفًا البِكاليَّ[1] يَزعمُ: أنَّ موسى صاحبَ الخَضِرِ ليس هو موسى بني إسرائيلَ، إنَّمَا هو موسى آخَرُ، فقال: كذَبَ عدوُّ اللهِ، حدثنا أبيُّ بنُ كعبٍ، عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلم: " أنَّ موسى قام خطيبًا في بني إسرائيلَ، فسُئلَ أيُّ النَّاس أعلمُ؟ فقالَ: أنا، فعتبَ اللهُ عليه، إذْ لم يَرُدَّ العلْمَ إليه، فقال له: بلى، لي عبدٌ بمجمعِ البحرينِ هو أعلمُ منك قال: أيْ ربِّ ومنْ لِي به ؟ – وربَّما قال سفيانُ، أيْ ربِّ، وكيف لي بهِ؟ – قال: تأخذُ حوتًا، فتجعلُه في مِكْتَلٍ[2]، حيثُما فقدْت الحوتَ فهو ثَمَّ، – ورُبَّما قال: فهو ثَمَّه، وأخذ حوتًا فجعله في مِكْتَلٍ، ثُمَّ انطلقَ هو وفتاهُ **يُوشَعُ بنُ نُون**، حتَّى إذا أَتَيَا الصَّخْرَة وَضَعَا رءُوسَهُمَا....إلى آخر الحديث"[3].

فالشّاهد من هذا الحديث أنّ شخصيات هذه القصّة الذين لم يصرح بهم القرآن، بيّنهم حديث النّبي صلى الله عليه وسلم. فصاحب موسى عليه السّلام هو يوشع بن نون من قوله صلّى الله عليه وسلم من هذا الحديث : "...فانطلق هو وصاحبه يوشع بن نون..."، و العالم الذي رحل إليه موسى هو الخَضِر من قوله: " أنّ موسى صاحب الخضر..."، وهذا كلّه يتعلق بعلم المبهمات.

كما بيّنت أيضًا روايات أهل الكتاب بعض مبهمات القصّة مثل اسم الفتى الذي قتله الخضر، واسم القرية التي استطعم موسى والخضر أهلها، واسم الغلامين اليتيمين صاحبا الجدار وغير ذلك، وتناقلتها كتب التّفسير والكتب المفردة لعلم المبهمات، نذكر منها على سبيل المثال؛ ما قاله السّهيلي في بيان اسم القرية التي أتياها: "قالوا فيها أنّها بُرقة وقيل غير ذلك، والله أعلم"[4]، وقال أيضًا في بيانه لاسم الغلامين ما نصّه: "وأمّا الغلامان اليتيمان فأصرم وصريم ابنا كاشح"[5].

ومنه فإنّ وجه الدّلالة من هذا المثال أنّ بعض الجزئيات التي سكت عنها القصص القرآني من الأعلام والأزمنة والأمكنة هي التي يشتغل ببيانها علم مبهمات القرآن.

---

[1]– هو نوف بن فضالة الحميري البكالي: إمام أهل دمشق في عصره، من رجال الحديث، ورد ذكره في الصّحيحين، وكان راويًا للقصص وهو ابن زوجة كعب الأحبار، توفي سنة 95هـ. ينظر: الأعلام. ج8. ص 54.

[2] – المِكْتَلُ: الزَّبيلُ يحمل فيه التمر وغيره. ينظر: تهذيب اللّغة. لأبي منصور الأزهري. ج10. ص136. و محيط المحيط. بطرس البستاني. مكتبة لبنان: لبنان. 1987م. ص770.

[3] –الجامع الصّحيح. محمّد بن إسماعيل البخاري. كتاب الأنبياء. باب حديث الخَضِر مع موسى عليهما السّلام. حديث رقم: 3401. ج2. ص 475، 476.

[4] – التّعريف والإعلام. السّهيلي. تحقيق: عبد الإله مهنّا. ص 105.

[5] – المصدر نفسه. ص 105.

المطلب الثّالث: علاقته بعلم الإسرائيليات.

ممّا شاع وانتشر في كتب التّفسير ما يعرف باسم الإسرائيليات، "وهي الأخبارُ المنقولةُ عن أهل الكتابِ من غيرِ طريقِ القرآنِ والسُّننِ الثّابتةِ عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم كالذي يُحكَى عن كعْبِ الأحبارِ[1] وكان من أحبارِ اليهودِ فأسلمَ، ووَهْبِ بنِ مُنبِّهٍ[2] وقد اعتنى بأخبارِهِم وغيرها"[3]. و هذه التسمية غير مقصورة على ما هو يهودي بل تشمل اليهود وغيرهم من أهل الكتاب، وإنّما أُطلقت عليهم من باب التّغليب، قال الدكتور فهد الرّومي:"...وإنّما أطلق على ذلك كلّه لفظ الإسرائيليات لمجاورة اليهود للمسلمين في المدينة وكونهم أوّل من نشرها بين المسلمين فنسبت إليهم وشملت بعد هذا ما مصدره النّصارى من باب التّغليب"[4]، ومن أبرز الأسباب التي أدّت بالمفسّرين إلى الأخذ عن أهل الكتاب ما يأتي:

1- عنصر التّشويق.

2- عدم وجود النّص المرفوع.

3- الجمع ما ورد في القرآن والكتب السّابقة.

4- توضيح المبهم.

---

[1] - هو كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميريُّ، أبو إسحاق المعروف بكعب الأحبار: تابعي كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، وأسلم في زمن أبي بكر، وقدم المدينة في دولة عمر، فأخذ عنه الصّحابة وغيرهم كثيرًا من أخبار الأمم البائدة، وأخذ هو من علوم الكتاب والسّنة عن الصّحابة، خرج إلى الشام، وتوفي هناك سنة: 32هـ. ينظر: حلية الأولياء. ج5. ص 364. الإصابة. ترجمة رقم: 7530. ج9. ص 342 إلى 347. النّجوم الزاهرة. ج1. ص 116.

[2] – هو وهب بن منبّه الأبناوي الصّنعاني الذماريّ أبو عبد الله: مؤرّخ كبير، كثير الأخبار عن الكتب القديمة، عالم بأساطير الأوّلين ولا سيما الإسرائيليات، يعدّ من التّابعين، أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن، وأمّه من حمير، ولاّه عمر بن عبد العزيز صنعاء، وتوفي بها سنة: 114هـ. ينظر: حلية الأولياء. ج4. ص 23 إلى 81. وفيات الأعيان. ج6. ص 35، 36.

[3] – المقدمات الأساسية في علوم القرآن. عبد الله بن يُوسف الجُدَيْع. مركز البحوث الإسلامية: بريطانيا. توزيع: مؤسسة الرّيان: لبنان. ط1، 1422هـ، 2001م. ص 343.

[4] – منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير. فهد بن عبد الرّحمان بن سليمان الرّومي. ط2، 1403هـ، 1983م. ج1. ص312، 313.

5- عدم ظهور الإنكار الشّديد في عصرهم[1].

وهذه الإسرائيليات تنقسم من حيث القبول والرّد إلى ثلاثة أقسام[2]:

أوّلاً: موافق لما في شريعتنا.

أي ما ورد عن أهل الكتاب وتناقله الصّحابة رضوان الله عليهم ثمّ من بعدهم التّابعون نقلوا هذه الأخبار وهي موافقة لنصوص الكتاب والسّنة، والسّبب في ذكرها أنّها من باب الاستشهاد وإقامة الحجة على أهل الكتاب، وحكم هذا النّوع هو جواز روايته مع العلم بأنّ ما عندنا غُنية عنه، قال الدكتور محمّد أبو شَهْبَة:" وهذا القسم صحيح، وفيما عندنا غُنية عنه، ولكن يجوز ذكره، وروايته للاستشهاد به، ولإقامة الحجة عليهم من كتبهم"[3].

ثانيًا: مخالف لما في شريعتنا.

أي ما علمنا كذبه بما عندنا ما يخالفه من كتاب أو سنّة، وحكم هذا الصّنف أنّه لا يصِّحُ قَبولُه ولا روايته، ويجب التّحذير منه، والعمل على تصفية كتب التّفسير من هذا النّوع، قال الدكتور فهد الرّومي:" ما ثبت بطلانه لمخالفته لما جاء في شرعنا يجب ردُّه و إنكاره"[4].

---

[1] – للاستزادة أكثر ينظر: تفسير التابعين. ص 895 إلى 900.

[2] – ينظر: تفسير ابن كثير. ج1. ص9. شرح مقدمة التفسير لابن تيمية. محمّد بن صالح العثيمين. إعداد: عبد الله بن محمّد بن أحمد الطّيار. دار الوطن: الرياض .ط1، 1415هـ ،1995م. ص132، 133. الإسرائيليات في التفسير والحديث. محمّد حسين الذهبي. مكتبة وهبة: القاهرة. ص 36، 37، 38. الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير. محمّد أبو شَهْبَة.مكتبة السّنة: القاهرة. ص106،107. منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير. فهد الرّومي. ج1. ص 313. الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير. رمزي نعناعة. دار القلم: دمشق، دار ضياء: بيروت. ط1، 1390هـ،1970م. ص 82 ،83، 84. المقدمات الأساسية في علوم القرآن. عبد الله بن يوسف الجُدَيْع. مركز البحوث الإسلامية: بريطانيا. توزيع: مؤسسة الرّيان: لبنان. ط1، 1422هـ،2001م. ص 350. مقالات في التفسير وعلوم القرآن. مساعد بن سليمان الطيار. دار المحدّث: الرّياض. ط1، 1425هـ. ص191.

[3] – الإسرائيليات والموضوعات في كتب التّفسير. محمّد أبو شَهْبَة. ص106.

[4] – منهج المدرسة الأندلسية في التّفسير صفاته وخصائصه. فهد الرّومي. مكتبة التّوبة: الرّياض. ط1 ،1417هـ، 1997م. ص54.

ثالثًا: المسكوت عنه.

أي الأخبار المنقولة عن أهل الكتاب وهي لا تخالف نصوص الكتاب والسّنة ولا توافقها، وهذا النّوع بدوره ينقسم إلى قسمين:

أ- مسكوت عنه لكن العقول السّليمة تحيله وتنكره، ويغلب على الظنّ كذبه وهو أقرب إلى الخرافة، فحكم هذا النّوع هو ردّه، وعدم تصديقه، ولا يجوز روايته، قال ابن كثير: "وإنّما أباح الشّارع الرّواية عنهم في قوله: "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج"[1] فيما قد يجوِّزُه العقل فأمّا ما تحيله العقول ويحكم عليه بالبطلان ويغلب على الظنون كذبه، فليس من هذا القبيل"[2].

ب- مسكوت عنه لكن العقول السّليمة تقبله، وهذا النّوع اختلف فيه العلماء فمنهم مجيز ومنهم مانع لرواية هذا الصّنف من الإسرائيليات، وبيان ذلك على النحو الآتي:

الرأي الأول: ذهب أصحاب هذا الرأي إلى القول بعدم جواز رواية الإسرائيليات المسكوت عنها حتّى وإن قبلها العقل، لأنّه لا يمكن في نظرهم أن نفسّر كلام الله تعالى بخبرٍ مشكوك فيه، كذلك العقل وحده لا يكفي لتصديق خبرٍ ما بل لابد أن يستند إلى الشّرع، ومن جهة أخرى أنّها موضوعة أصلاً للاستشهاد ولتثبيت فكرة ما، لا لتفسير كلام الله تعالى، قال الدكتور حسين الحربي:" فإذا كان حكم هذا النّوع هو التوقف في التّصديق والتّكذيب؛ فلا يصح تفسير كلام الله بأمور مشكوك في صدقها أو كذبها فلربما حملت الآية عليها فكانت كذبًا فيكون قد فسّر كلام الله بالكذب حقيقة أو يكون قد خولف أمر النّبي صلّى الله عليه وسلم، وذلك باعتقادنا صدق هذه الإسرائيليات وأي تصديق لها أعظم من جعلها بيانًا لمراد الله تعالى فيما أبهمه عن خلقه وكلا

---

[1] – سنن أبي داود. لأبي داود سليمان بن الأشعث السّجستاني. كتاب العلم. باب الحديث عن بني إسرائيل. حديث رقم: 3662. ج4. ص 46، 47. وأصل هذا الحديث في صحيح البخاري. محمّد بن إسماعيل البخاري. كتاب الأنبياء. باب ما ذُكر عن بني إسرائيل. حديث رقم: 3461. ج2. ص 493. ولفظه: عن عبد الله بن عمروا أنّ النّبي صلّى الله عليه وسلم قال: "بلّغوا عنّي ولو آية وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمّدًا فليتبوأ مقعده من النّار".

[2]– تفسير ابن كثير .ج7. ص 394.

الأمرين باطل فالقرآن حقّ ولا يحمل إلاّ على حقّ واعتقادنا في الإسرائيليات المسكوت عنها التوقف، فتعيّن صحة عدم تفسير آيات القرآن بهذه الإسرائيليات"[1].

الرأي الثّاني: ذهب أصحاب هذا الرأي إلى جواز رواية الإسرائيليات المسكوت عنها والموافقة للعقل، لكن تُذكر على سبيل الحكاية لا غير، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل فلا نؤمن به ولا نكذبه وتجوز حكايته لما تقدم وغالب ذلك ممّا لا فائدة فيه تعود إلى أمرٍ ديني"[2]، وقال الدكتور خالد عبد الرّحمان العك: "ما هو مسكوت عنه لا هو من قبيل الأول ولا هو من قبيل الثّاني وهذا القسم نتوقف فيه فلا نؤمن به ولا نكذبه وتجوز حكايته لقوله صلّى الله عليه وسلم : "لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذّبوهم"[3]الحديث، وهذا القسم غالبه ممّا ليس فيه فائدة تعود إلى أمرٍ ديني ممّا أبهمه الله تعالى في القرآن ولا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في أمر دينهم ودنياهم"[4].

وبعد عرض القولين فإنّي أميل إلى الرأي الثّاني وذلك لاعتبارات هي كالآتي:

1- لأنّ هذه الأخبار المنقولة عن أهل الكتاب لم يروها لنا جيل من الأجيال المتأخرة وإنّما رواها لنا أعلم النّاس بكتاب الله تعالى وبسنّة رسوله صلّى الله عليه وسلم، فإذا أردنا أن نمنع هذه الأخبار فنكون بطريقة أو بأخرى قد خالفنا منهج السّلف في التّعامل مع هذه الأخبار.

2- أنّ معظم المفسّرين ذكروا هذه الأخبار بين مقل ومكثر، فإذا منعناها نكون بذلك قد خالفنا منهج المفسّرين في التعامل مع هذه الأخبار.

3- كما أنّ رواية هذه الأخبار لا تؤثر على جوهر الدّين ولبّه، قالت الدكتورة آمال عبد الرّحمان في بحثها "الإسرائيليات في تفسير الطبري دراسة في اللّغة والمصادر العبرية" ما نصّه:"وهكذا وجدنا الإسرائيليات في جامع الطبري لم نجدها في مجالات العقيدة أو الأحكام أو الشرائع، و لم نجدها في

---

[1] – قواعد التّرجيح عند المفسّرين دراسة نظرية تطبيقية. حسين بن علي بن حسين الحربي. راجعه وقدم له: مناع القطان. دار القلم: الرياض. ج1. ص230.

[2] – شرح مقدمة التّفسير لابن تيمية. محمد بن صالح العثمين. ص132.

[3] – الجامع الصّحيح. الإمام البخاري.كتاب تفسير القرآن. سورة البقرة. باب﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا ﴾. حديث رقم: 4485. ج3. ص 193.

[4] – أصول التّفسير وقواعده. خالد عبد الرّحمان العك. دار النّفائس: بيروت. ط2، 1406هـ، 1986م. ص 262.

صلب الدّين على الإطلاق، وإنّما وجدناها في الجانب القصصي من تفسير القرآن الكريم، سواء في قصّة الخلق أم في قصص الأنبياء أم الأنساب، وبعض القضايا المتفرقة ذات الطّابع القصصي كذلك، وهي مجالات لا خشية فيها على جوهر الدين"[1]، وهذه نتيجة في غاية الأهمية تنبئ أنّ السّلف لم يكونوا ينقلون الأخبار على الإطلاق وإنّما كان لهم منهج معين في تلقّيها.

إبراز العلاقة بين علمي الإسرائيليات والمبهمات:

لقد تبيّن المراد بالإسرائيليات، وظهرت أسبابها وأقسامها، وعلى ضوء ذلك يمكن إبراز العلاقة بين العلمين، ومن وجوه ذلك البارزة؛ **أنّ من أسباب رواية الإسرائيليات الاشتغالُ ببيان وتوضيح بعض الأسماء المبهمة في القرآن الكريم.**

وهذه الإسرائيليات المبيّنة للأسماء المبهمة الموجودة في القرآن إمّا أن تكون:

أوّلاً: موافقة لما جاء به الشّرع وهو يوافق القسم الأول الذي ذكرناه آنفًا، و هذا النّوع قليل جدًّا –حسب إطّلاعي – ومن الأمثلة على ذلك ما يأتي:

المثال الأوّل:

قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ البقرة: 35.

المراد بالزّوج في هذه الآية كما سبق أن وضّحنا[2] هي حواء، وجلّ الرّويات المنقولة عن أهل الكتاب تذكر بأنّ زوجة آدم اسمها حواء، منها ما ذكره أبو جعفر الطّبري بسند له إلى ابْنِ وَهْبٍ[3] قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: وَسْوَسَ الشَّيْطَانُ إِلَى حَوَّاءَ فِي الشَّجَرَةِ حَتَّى أَتَى بِهَا إِلَيْهَا، ثُمَّ حَسَّنَهَا فِي عَيْنِ آدَمَ. قَالَ: فَدَعَاهَا آدَمُ لِحَاجَتِهِ، قَالَتْ: لاَ، إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَ هَهُنَا. فَلَمَّا أَتَى قَالَت: لاَ، إِلاَّ أَنْ تَأْكُلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، قَالَ: فَأَكَلاَ مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا. قَالَ: وَذَهَبَ آدَمُ هَارِبًا فِي الْجَنَّةِ،

---

[1] – الإسرائيليات في تفسير الطبري دراسة في اللغة والمصادر العبرية. آمال محمّد عبد الرّحمان ربيع. القاهرة. 1422هـ ، 2001م. ص138.

[2] – ينظر: ص 81 من هذه الرسالة.

[3] – هو عبد الله بن وهب بن مسلم الفهري بالولاء، المصري أبو محمّد: فقيه من الأئمة، من أصحاب الإمام مالك. جمع بين الفقه والحديث والعبادة، وكان حافظًا ثقةً مجتهدًا، توفي بمصر سنة: 197هـ. ينظر: رجال صحيح مسلم. ترجمة رقم: 877. ج1. ص 396، 397. تهذيب الكمال. ترجمة رقم: 3645. ج16. ص 277 إلى 286. الأعلام: ج4. ص 144.

فَنَادَاهُ رَبُّه: يَا آدَمُ أَمِنِّي تَفِرُّ؟ قَالَ: لاَ يَا رَبِّ، وَلَكِنْ حَيَاءً مِنْكَ. قَالَ: يَا آدَمُ أَنَّى أُتِيتَ؟ قَالَ: مِنْ قِبَلِ حَوَّاءَ أَيْ رَبِّ..."[1].

فهذا الخبر المنقول عن أهل الكتاب ذكر فيه اسم زوج آدم عليه السّلام هي حواء، وهذا موافق لما جاء به شرعنا الحنيف.

المثال الثّاني:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴾ الكهف: 60.

فاسم فتى موسى عليه السّلام في الآية هو يوشع بن نون؛ وقد تطرّقت لبيان اسمه بعض روايات أهل الكتاب، مثل ما رواه أبو جعفر بإسناد له إلى وهب بن منبّه قال خلف بعد موسى في بني إسرائيل فتاه يُوشَعُ بْنُ نُونٍ ، يُقِيمُ فِيهِمُ التَّوْرَاةَ وَأَمْرَ اللَّهِ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ..."[2]

فمن خلال هذا الخبر نلاحظ أنّ اسم فتى موسى عليه السّلام يوافق ما جاء في سنّة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم، كما فصّلناه سابقًا[3].

ثانيًا: مسكوتًا عنها[4] لكن لا ينكرها العقل وهذا يوافق القسم الأخير الذي ذكرته ورأيت جواز القول به، وهذا النّوع موجود بكثرة في كتب التّفسير، لكن ممّا تجدر الإشارة إليه أنّ هذا الصّنف منه ما هو متفق عليه بين المفسّرين، وغالبه مختلف فيه، وذلك بسبب تضارب أقوال أهل الكتاب في ذلك، وذلك على النحو الآتي:

---

[1] – جامع البيان. الطبري. ج1. ص 565.

[2] – المصدر نفسه. ج 4. ص 437.

[3] – ينظر ص83 من هذه الرّسالة.

[4] – **ملاحظة:** أمّا ما يتعلق بالنّوع الثّاني من الإسرائيليات وهو المخالف لما في شرعنا، أو القسم الأوّل من النّوع الثالث وهو المسكوت عنه لكن لا يقبله العقل، فهذان الصّنفان لا يوجد التّطبيق عليهما في علم المبهمات– في حدود علمي– ، ولهذا لم أتطرق بالذّكر لهما.

❖ فالذي اتُّفِق عليه بين المفسّرين – وهو قليل حسب الطّلاعي–، فمن أمثلته ما يأتي:

المثال الأوّل:

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ ﴾ البقرة: 258.

أغلب من فسّر هذه الآية[1] ذكر أنّ الذي حاجّ إبراهيم في ربّه هو نمروذ أو نمرود[2]، مثل قول مقاتل بن سليمان في بيان اسم من حاجّ إبراهيم عليه السّلام: " هو نمروذ بن كنعان بن ريب بن نمروذ ابن كوشي ابن نوح وهو أوّل من ملك الأرض كلّها وهو الذي بنى الصّرح ببابل ".[3] وقال ابن عطية: "و ﴿ ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ هو نمروذ بن كنعان..."[4].

فالشّاهد من هذا المثال من وجهين، أمّا الأوّل منها فهو: اتفاق المفسّرين –فيما اطّلعت عليه من كتب التّفسير– على أنّ الذي حاجّ إبراهيم في ربّه هو نمروذ– وإن اختلفوا في نسبه–، وسبب ذلك اتفاق مصادر معظم أهل الكتاب على ذلك[5]. والثّاني: أنّها من الإسرائيليات المسكوت عنها التي لا تؤثر إطلاقًا على مدلول الآية.

المثال الثّاني:

قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ آل عمران: 35.

---

[1] – ينظر: الجامع البيان: الطّبري. ج3. ص24. المحرر الوجيز. ابن عطية الأندلسي. تحقيق: عبد السّلام عبد الشافعي. دار الكتب العلمية: بيروت. ط1، 1422هـ، 2001م. ج1. ص 345. الجامع لأحكام القرآن. القرطبي. ج4. ص 287. التّسهيل لعلوم التّنزيل. ابن جزي الكلبي. ج1. ص122.

[2] – ينظر: ص 50 من هذه المذكرة.

[3] – تفسير مقاتل بن سليمان. مقاتل بن سليمان. دار الكتب العلمية: بيروت. ط1، 1424هـ، 2003م. ج1. ص138.

[4] – المحرر الوجيز. ابن عطية. ج1. ص 345.

[5] – عرفنا ذلك بأنّها من عند أهل الكتاب لأنّ هذا لم يصرّح به القرآن ولا سنّة المصطفى صلّى الله عليه وسلم، بالإضافة إلى أنّ هذه الإسرائيليات معظمها في التاريخ والقصص وكلّ ما يتعلق بالأمم البائدة.

ذكر جماعة من المفسّرين أنّ اسم امرأة عمران في الآية هي حنّة، واعتمدوا في ذلك على ما رواه الحاكم في مستدركه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "حنّة ولدت مريم، ومريم ولدت عيسى"[1].

وما أورده كذلك الإمام الطّبري عن عكرمة أنّه قال: " أن امرأة عمران كانت عجوزا عاقرا تسمى حَنَّةَ، وكانتْ لا تَلِدُ، فجعَلَتْ تَغْبِطُ النِّساءَ لأَوْلادهنَّ، فقالتِ: اللَّهمَّ إنَّ علَيَّ نذْرًا شُكْرًا إن رزقْتَنِي ولدًا أن أتصدَّقَ به على بيتِ المقدسِ، فيَكُونُ من سَدَنَتِهِ وخُدَّامِهِ..."[2]، وقال الإمام البغوي: "﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ ﴾ هي حنّة بنت قافوذا أم مريم ..."[3].

إلى غير ذلك من أقوال المفسّرين التي ذهبت إلى نفس القول، والسّبب في هذا هو اتفاق مصادر أهل الكتاب في ذلك.

❖ وأمّا المختلف عليه بين المفسّرين فهو كثير جدّا، وجلّ كتب التّفسير- بين مقل ومكثر- محشوة بهذا النّوع من الإسرائيليات في بيانها للمبهمات، ومن الأمثلة على ذلك ما يأتي:

المثال الأوّل:

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ البقرة: 35.

اختلف المفسّرون لهذه الآية في نوع الشجرة التي أكل منها آدم عليه السّلام، فقد حكى الإمام ابن جرير معظم الأقوال المتعلقة بنوع هذه الشّجرة، حيث قال: " ثمّ اختلف أهل التأويل في عين الشّجرة التي نهى عن أكل ثمرها آدم، فقال بعضهم هي السُّنبلة... وعن ابن عباس قال: الشّجرة التي نهى عن أكل ثمرها آدم هي السنبلة...وعن قتادة[4] مثله.

---

[1] – المستدرك على الصّحيحين. الحاكم النّيسابوري. كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين. ذكر نبيّ الله وروحه عيسى ابن مريم. حديث رقم: 4213. ج2. ص 697.

[2] – جامع البيان. الطّبري. ج3. ص 237.

[3] – معالم التّـــنـــزيل. البغوي. ج2. ص 29.

[4] – هو قتادة بن دِعامة بن قتادة بن عُزيز، أبو الخطاب السّدوسي البصري، مفسّر حافظ ضرير، قال فيه الإمام أحمد: "قتادة أحفظ أهل البصرة، وكان مع علمه بالحديث، رأسًا في العربية ومفردات اللّغة وأيّام العرب والنّسب، وقد يدلّس في الحديث" توفي بواسط بالطّاعون سنة: 118هـــ. ينظر: وفيات الأعيان. ترجمة رقم: 541. ج4. ص 85، 86. تذكرة الحفّاظ. ج1. ص 122، 123. الأعلام. ج5. ص 189.

وقال آخرون هي التينة.

وعن ابن جريج عن بعض أصحاب النّبيّ صلّى الله عليه وسلم قال: التينة.

وقد قيل كانت شجرة البرّ، وقيل كانت شجرة العنب "[1].

فمن هذا المثال يتبيّن أنّ هناك اختلافًا واسعًا بين المفسّرين في بيان نوع الشّجرة التي نُهي آدم عليه السّلام عن الأكل منها، وهذا الاختلاف سببه الروايات المنقولة عن أهل الكتاب من اليهود وغيرهم.

المثال الثّاني:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ﴾ البقرة: 259.

اختلف في المراد باسم الذي مرّ على هذه القرية على قولين، فقال بعضهم "عزير"، وقال آخرون "إرمياء"، وهذا الاختلاف سببه المصادر المنسوبة إلى أهل الكتاب، وقد أوردهما الإمام الطبري عند تفسيره هذه الآية بإسناد له فقال: "واختلف أهل التّأويل في الذي ﴿مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ فقال بعضهم هو : عزير... وعن سليمان بن بريدة في قوله ﴿ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ قال: هو عزير. وعن قتادة مثله...وعن ابن عباس : مثله.

وقال آخرون هو: إرميا بن حلقيًّا، وزعم محمّد بن إسحاق أنّ إرميا هو الخضر[2].

وعن ابن إسحاق قال: اسم الخضر- فيما كان وهب بن منبّه يزعم عن بني إسرائيل إرميا بن حلقيّا، وكان من سبط هارون بن عمران.

---

[1] – جامع البيان. الطّبري. ج1. ص 232، 233.

[2] – قال ابن عطية : "وهذا كما تراه إلاّ أن يكون اسمًا وافق اسمًا، لأنّ الخضر معاصر لموسى، وهذا الذي مرّ على القرية هو بعده بزمان من سبط هارون فيما رواه وهب بن منبّه". ينظر: المحرر الوجيز. ابن عطية الأندلسي. تحقيق: عبد السلام عبد الشّافي محمّد. ج1. ص247.

وعن وهب بن منبه يقول في قوله ﴿ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَا ﴾ ، أنّ إرميا لّما خرِب بيت المقدس، وحُرِّقت الكتب وقف في ناحية الجبل فقال: ﴿ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَا ﴾ "[1]، وذكر مثل هذا الإمام القرطبي لكن بدون إسناد فقال: " قال سليمان بن بريدة وناجية بن كعب وقتادة وابن عباس والرّبيع وعكرمة والضّحاك الذي مرّ على القرية هو عزير. وقال وهب بن منبه وعبد الله بن عبيد بن عمير وعبد الله بن بكر بن مضر هو إرمياء وكان نبيّا"[2].

واختلف كذلك في اسم القرية التي مرّ بها هذا الرّجل إلى عدة أقوال، فقيل أنّها بيت المقدس. وحكى هذا القول معظم المفسّرين، منهم أبو جعفر الطّبري حيث قال: "واختلف أهل التّأويل في القرية التي مرّ عليها القائل ﴿ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَا ﴾ فقال بعضهم هي بيت المقدس.

وروى بإسناد له عن عبد الصّمد بن معقل أنّه سمع وهب بن منبِّه، قال: لّما رأى إرميا هدم بيت المقدس كالجبل العظيم، قال: ﴿ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَا ﴾ "[3].

وقيل أنّها المؤتفكة قرى لوط عليه السّلام، وحكى هذا القول ابن عطية في محرّره فقال: "واختلف في القرية أيّما هي؟ فحكى النّقاش أنّ قومًا قالوا هي المؤتفكة"[4]، وحكى هذا القول أيضًا الثّعالبيّ في تفسيره فقال: "واختلف في القرية ما هي؟ فقيل المؤتفكة..."[5].

---

[1] – جامع البيان. الطّبري. ج3. ص 28، 29.

[2] – الجامع لأحكام القرآن. القرطبي. ج4. 295.

[3] – جامع البيان. الطّبري. ج3. ص30.

[4] – المحرر الوجيز. ابن عطية. ج1. ص 347.

[5] – الجواهر الحسان في تفسير القرآن. عبد الرّحمان الثعالبي. حققّ أصوله وعلّق عليه وخرّج أحاديثه: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الوجود. شارك في تحقيقه: عبد الفتاح أبو سنّة. دار إحياء التّراث العربي، مؤسسة التّاريخ العربي: بيروت. ط1، 1418هـ، 1997م. ج1. ص508.

وقيل هي القرية التي كان الله تعالى قد أهلك فيها الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، وذكر هذا القول الإمام الطّبري في تفسيره، فقال: " وقال آخرون بل هي القرية التي كان الله أهلك فيها الذين خرجوا من ديارهم، وهم ألوف حذر الموت، فقال لهم موتوا..."[1].

وخلاصة ما يقال في هذا الفصل أنّ معرفة أسباب الإبهام في القرآن كشفت للقارئ بعض أوجه إعجاز القرآن الكريم، وأنّ طرق معرفته تكاد تنحصر في أربعة هي: الكتاب والسّنة وأقوال الصّحابة وأقوال التّابعين، وأدرك كذلك بأنّ علاقته متداخلة مع علم أسباب النّزول وقصص القرآن والإسرائيليات، وأنّ جوانب من علم المبهمات تظهر وتتّضح باعتماد تلك العلوم الثلاثة.

[1] – جامع البيان. الطّبري. ج3. ص 30.

الفصل الثالث

أساليب المبهم في القرآن الكريم.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: أسلوب التصريح.

المبحث الثاني: أسلوب الكناية.

المبحث الثالث: أسلوب التعريض.

المبحث الرابع: أسلوب الذكر والحذف.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد:

سأحاول في هذا الفصل أن أُبرِز الأساليب التي وردت بها مبهمات القرآن الكريم، ومن أجل ذلك فقد نظرتُ في كتب الفنّ؛ ككتب التّفسير والبلاغة وغيرها متتبّعًا مستقرئًا حديثها عن هذا العلم؛ فوجدتُ أساليبه[1] تكاد تنحصر في أربع هي:

أسلوب التّصريح، وأسلوب الكناية، وأسلوب الذّكر والحذف، وأسلوب التّعريض؛ وهو ما سيأتي بيانها لغةً واصطلاحًا وتطبيقًا وإبرازًا لسماتها البلاغية في ثنايا هذا الفصل.

وقبل الشّروع في المقصود أحسِب أن القارئ في حاجة إلى معرفة مدلول مصطلح " أساليب" لكونه مصطلحًا محورًا أساسًا في عنوان هذا الفصل، ومن أحسن ما قيل فيه شرحًا وتعريفًا ما ذكره الشيخ عبد العظيم الزّرقانيّ بقوله: "هو الطّريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه، أو هو المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلّم في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه"[2].

[1] – هذا باعتبار الغالب لأنّه توجد مبهمات أخرى لا تندرج تحت أي أسلوب من هذه الأساليب، مثل ما ورد في اسم كلب فتية أصحاب الكهف، وما نقل أيضًا عن اسم نملة سليمان أو اسم هدهد سليمان وصفاته، إلى غير ذلك من المبهمات التي ذكرها كتب التفسير وكتب مبهمات القرآن وهي لا تندرج تحت أي أسلوب من الأساليب المذكورة.

[2] – مناهل العرفان. محمّد عبد العظيم الزّرقاني. ج2. ص 239.

المبحث الأوّل: أسلوب التّصريح.

سأتطرّق في هذا المبحث إلى الحديث عن أبرز الأساليب التي وردت بها مبهمات القرآن؛ ألا وهو "أسلوب التّصريح"، وذلك من خلال تعريفه لغة واصطلاحًا، وأطبّق عليه ببعض النّماذج، وتفصيل ذلك وفق المطالب الآتية:

المطلب الأوّل: مفهومه.

الفرع الأوّل: لغــة.

تطرّق أهل اللّغة إلى بيان المعنى اللّغوي لمادة "صرّح"، أذكر منهم:

قال أبو منصور الأزهري: "قال أبو العباس عن ابن الأعرابي: صَرَحَ الشَّيءَ، وصرّحه وأصْرَحَه، إذا بيَّــنَهُ وأظْهَرَهُ.

ويقال: صرّح فلان ما في نفسه تصريحًا إذا أبداه، وصَرَّحِت الخمرُ تصريحًا (إذا ذهب منها الزّبدُ)، وقال الأعشيُّ:

كُمَــيْتًا تكــشَّفُ عن حُــمْرَةٍ إذا صرَّحَــتْ بعد إزْبــادِهَــا "[1].

وقال ابن منظور: "صَرَّحَت الخَمْرُ تَصْرِيحًا: انجَلَى زَبَدُهَا فَخَلَصَت، وهو التّصرِيحُ، وتَصَرَّحَ الزّبدُ عنها؛ انجلَى فخلصَ. والتَّصْرِيحُ خِلاَفُ التَّعْرِيض، ومن أمثَالِ العَرب: صَرَّحَتْ بِجِدَّانَ وجِلْدَانَ إذا أبدى الرَّجُلُ أَقْصَى مَا يُرِيدُهُ"[2].

وقال ابن فارس: "الصّاد والرّاء والحاء أَصْلٌ مُنْقَاس، يدل على ظهور الشّيء وبروزه، من ذلك الشّيء الصّريح، والصّريح المَحْضُ الحسَب وجمعه صُرَحاء"[3].

---

[1]- تهذيب اللّغة. لأبي منصور الأزهري. ج4. ص 238.

[2] - لسان العرب. ابن منظور. ج28. ص 2425.

[3] - معجم مقاييس اللّغة. ابن فارس. ج3. ص 347.

وبناءً على ما تقدم فإنّ معاني التّصريح في اللّغة تدور حول المعاني الآتية: الكشف والظهور والبيان والوضوح.

الفرع الثّاني: اصطلاحًا.

المراد بأسلوب التّصريح هو: المبهمات الواردة في القرآن الكريم بصورةٍ واضحةٍ وصريحةٍ بالإبهام، ومعنى ذلك أنّه يفهم مباشرة من الآية أنّ فيها مبهم لم يعيّن اسمه أو زمانه أو مكانه أو عدده إلى غير ذلك ممّا يتعلق به، وعليه فإنّ دلالة السّياق ومنطوق الآية يدلان عليه، وغالب مبهمات القرآن واردة بهذا الأسلوب[1].

كما يمكن أن نلحق بهذا الأسلوب الألفاظ التي وردت بصيغة زوج وزوجة وابن وابنة.

وقد شملت أساليب التّصريح معظم أنواع المبهمات في الأفراد والأمكنة والأزمنة، الأعداد وغيرها من الأنواع، وتفصيل ذلك بالأمثلة التّطبيقية الآتية:

المطلب الثّاني: النّماذج التّطبيقية.

في ثنايا هذا المطلب أطبّق على أسلوب التّصريح ببعض الأمثلة، وهذا بذكر الآية واستخراج وجه الدّلالة منها، مع ذكر بعض أقوال أهل التّفسير، وفي الأخير أحاول استنباط بعض السّمات والأغراض البلاغية لهذا الأسلوب، وذلك على النّحو الآتي:

المثال الأوّل:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ آل عمران: 121،122.

المبهم هو قوله: ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ ﴾، ونلاحظ في هذه الآية أنّه سبحانه وتعالى قد صرّح بهاتين الطّائفتين دون التّطرّق إلى بيان اسمهما، وهما بنو الحارثة وبنو سلمة، وذلك فيما روي عن جابر بن عبد الله قال: فينَا نزلتْ ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا ﴾ آل عمران 122، قال:

[1] – هذا التعريف من اجتهادي، لأنّني لم أعثر على تعريف له عند من سبق، والله أعلم.

نحنُ الطّائفتانِ بنُو حَارِثَة، وبنُو سَلِمَةَ، وما نحبُّ – وقال سفيانُ مَرَّةً: وما يسرُّني – أنّها لم تنـــزلْ لقول الله ﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾"[1].

وإلى هذا المعنى ذهب جلّ من فسّر هذه الآية مثل ما قاله الإمام البغوي عقب تفسيره لهذه الآية ما نصّه: "﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا ﴾ أي تجبُنا وتضعُفا وتتخلّفا، والطّائفتان بنو سلمة من الخزرج وبنو الحارثة من الأوس"[2].

وقال الإمام ابن عاشور أيضًا: "...وهمّت بنو سلمة وبنو الحارثة من المسلمين بالانخزال، ثمّ عصمهم الله فذلك قوله: ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا ﴾ أي ناصرهما على ذلك الهمّ الشيطاني، الذي لو صار عزمًا لكان سبب شقائهما، فلعناية الله بهما برّأهما الله من فعل ما همّتا به"[3].

وعليه فالشّاهد في هذا المثال واضحٌ بيّنٌ، حيث إنّ المبهم فيها قد ورد بأسلوب التّصريح، لأنّ سياق الآية يدلّ عليه مباشرة، فيفهم من الآية أنّ فيها طائفتان منكم أي من أتباع النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم كادت أن تتخلف عن غزوة أحد لولا أنّ الله سبحانه وتعالى عصمهما من ذلك.

كما أنّ وُرود المبهم في الآية بهذا الأسلوب فيه أغراض ونكت بلاغية عدّة، منها امتنان الله سبحانه وتعالى على هاتين الطّائفتين بالتّحديد بأن عصمهما من الخواطر الشيطانية في الانسحاب من جيش النّبي صلّى الله عليه وسلّم واتّباع المنافق عبد الله بن أبيٍّ ومن تبعه.

المثال الثّاني:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ التّـــوبة: 36.

---

[1]– سبق تخريجه. ص 72.

[2] – معالم التّـــزيل. البغوي. ج2. ص 97، 98.

[3] – تفسير التّحرير والتّنوير. ابن عاشور. ج 4. ص 70.

المبهم في الآية قوله: ﴿مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٌۚ﴾ قد ورد بأسلوب التّصريح، وذلك لأنّه قد فهم مباشرة من منطوق الآية أنّ من الأشهر الاثني عشر التي وضعها الله لعباده؛ أربعة حُرُم لم يصرّح بها، أمّا بيانها فهي شهر رجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرّم، وإلى هذا المعنى ذهب أغلب من فسّر هذه الآية مثل ما قاله أبو جعفر الطّبري عقب تفسيره لهذه الآية: " ... ﴿مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٌۚ﴾ يقول: هذه الأشهر الاثْنا عَشَرَ، منها أربعة أشهر حُرُمٍ كانت الجاهلية تُعظّمهن وتحرّمهنّ، وتحرّم القتال فيهنّ، حتّى لو لقي الرّجل منهم فيهنّ قاتل أبيه لم يَهِجْه، وهنّ رجب مُضَر[1]، وثلاثةٌ متواليات؛ ذو القعدةِ، وذو الحجّة، والمحرّم. وبذلك تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم"[2].

وقال الإمام الألوسي[3]: "...وهذه الأربعة ذو القعدة وذو الحجة، والمحرّم. ورجب"[4].

وقال الإمام ابن عاشور: "والمراد بالأشهر الحرم هي المعروف عندهم: ثلاث منها متوالية لا اختلاف فيها بين العرب وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرّم، والرّابع فرد وهو رجب عند جمهور العرب"[5].

والسّر في عدم التّصريح بهذه الأشهر وورودها بهذا الأسلوب يرجع إلى اشتهارها عند العرب، فأعرض القرآن عن بيانها واكتفى بالإشارة إليها فقط.

---

[1] – مُضَر: هي قبيلة من القبائل العربية. قال ابن منظور: "وإنّما قيل رجب مضر إضافة إليهم، لأنّهم كانوا أشدّ تعظيمًا له من غيرهم، فكأنّهم اختصُّوا به". ينظر: لسان العرب. ج18. ص1583.

[2] – جامع البيان. الطّبري. ج11. ص 440.

[3] – هو محمود بن عبد الله الحسيني شهاب الدّين أبو الثناء، مفسّر، محدّث، أديب، من المجددين ولد ببغداد سنة 1217هـ، كان سلفيّ الاعتقاد مجتهدًا، تقلّد الافتاء ببلده ثمّ عزل فانقطع للعلم، رحل إلى عدّة بلدان ثمّ عاد إلى بغداد يدوّن رحلاته، ويكمل مصنفاته إلى أن مات، له عدة مصنفات منها: روح المعاني، ودقائق التفسير، توفي سنة: 1270هـ. ينظر: الأعلام. ج7. ص 176. معجم المؤلفين. ج 3. ص 815.

[4] – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. لأبي الفضل شهاب الدّين السّيد محمود الألوسي. دار إحياء التراث العربي: بيروت. ج10. ص 89، 90.

[5] –تفسير التّحرير والتّنوير. ابن عاشور. ج10. ص 183.

المثال الثّالث:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ يوسف: 82.

فنلاحظ في الآية أنّه سبحانه لم يصرّح باسم القرية لكن يفهم من السّياق أنّه يراد بها قرية معينة لا تحتمل أخرى، وبيانها كما ذكرها أهل التفسير "مصر"، قال الإمام الطّبري في تفسيره لهذه الآية: "يقول: وإن كنت متهمًا لنا لا تصدّقنا على ما نقول من أنّ ابنك سرق، فاسأل﴿ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا ﴾ وهي مصر..."[1] .

وقال الزمخشري[2] أيضًا: "﴿ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا ﴾ هي مصر، أي أرسل إلى أهلها فسلْهم عن كنه القصّة"[3].

وقال الإمام أحمد مصطفى المراغي[4]: " ﴿ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا ﴾ أي واسأل أهل القرية التي كنّا نمتار فيها وهي مصر، فقد اشتهر فيهم أمر هذه السّرقة حتى لو سئلوا لشهدوا"[5].

وعليه فإنّ الشّاهد من المثال واضح؛ وذلك أنّ مبهم الآية ﴿ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا ﴾ قد ورد بأسلوب التّصريح، فَفُهم مباشرة من سياق الآية بأنّه يراد بها قرية بعينها.

---

[1] – جامع البيان. الطّبري. ج13. ص 290.

[2] – هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم، من أئمة العلم بالدّين والتّفسير، واللغة والآداب، ولد في زمخشر ثمّ سافر إلى مكّة فجاور بها زمنًا فلقّب بجار الله، وكان معتزلي المذهب، مجاهرًا، شديد الإنكار على المتصوفة، من كتبه: أساس البلاغة، الكشاف، توفي سنة: 538هـ. ينظر: وفيات الأعيان. ترجمة رقم: 717. ج 5. ص 168 إلى 174. لسان الميزان. ابن حجر العسقلاني. اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدّة. اعتنى بإخراجه وطباعته: سلمان عبد الفتاح أبو غدة. مكتب المطبوعات الإسلامية. ترجمة رقم: 7606. ج8. ص 8، 9.

[3] – الكشاف عن حقائق غوامض التنـــزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل. لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزّمخشري. تحقيق وتعليق ودراسة: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض. مكتبة العبيكان: الرياض. ط1، 1418هـ، 1998م. ج3. ص 314.

[4] – هو أحمد بن مصطفى المراغي، مفسّر مصري، من العلماء، تخرّج من كلية دار العلوم سنة: 1909م، ثمّ كان مدرّس الشريعة الإسلامية بها، وولي نظارة بعض المدارس، وعيّن أستاذًا للعربية والشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم، من مصنّفاته: تفسير المراغي، علوم البلاغة، توفي سنة: 1371هـ. ينظر: الأعلام. ج1. ص 258.

[5] – تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، شركة مكتبة مصطفى الحلبي وأولاده: مصر. ط1، 1365هـ، 1946هـ. ج13. ص 27.

وأمّا عدم التّصريح بها ووُرودها بهذا الأسلوب ليكون أدعى إلى القارئ أو المستمع لمعرفة اسم هذه القرية ومكانها، فهذا لا شك أبلغ من التّصريح بها.

المثال الرّابع:

ممّا يدرج أيضًا في أسلوب التّصريح ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ﴾ المسد: 4 – 5.

فنرى أنّ زوجة أبي لهب في الآية لم تسمَّ باسمها العلم، وإنّما ذكرها بوصف لا يدل إلا عليها، وأمّا اسمهما كما ذكرها أهل السّير وأهل التّفسير هي أم جميل أروى بنت حرب بن أمية ، قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: " ...وكانت زوجته من سادات نساء قريش، وهي أمّ جميل، واسمها أروى بنتُ حرب بن أمية، وهي أخت أبي سفيان. وكانت عونًا لزوجها على كفره وجحوده وعناده؛ فلهذا تكون يوم القيامة عونًا عليه في عذابه في نار جهنّم"[1].

إلى غير ذلك من الأمثلة التي وردت بهذا الأسلوب[2]، واقتصرنا على ذكر بعضها من أجل البيان لا غير.

---

[1] – تفسير ابن كثير. ج8. ص 515.

[2] – من الأمثلة كذلك التي تندرج ضمن هذا الأسلوب الآيات الآتية: ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ ﴾ البقرة: 30، ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ ﴾ البقرة: 258، ﴿ أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ ﴾ البقرة: 259، ﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ ﴾ آل عمران: 35، ﴿ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗا ﴾المائدة: 12﴿ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ التوبة: 40، ﴿ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ﴾ يوسف: 30، ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِ ﴾يوسف: 36، ﴿ وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَ ﴾القصص: 9، ﴿ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ يس: 20.﴿ قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴾ المجادلة: 1،﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖ ﴾ التحريم: 10، ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴾ البلد: 1.

المبحث الثّاني: أسلوب الكناية.

سأتطرّق في هذا المبحث إلى شرح أحد الأساليب التي وردت بها مبهمات القرآن؛ وهو أسلوب الكناية، وذلك ببيان مفهومه في اللّغة والاصطلاح، ثمّ التّطبيق عليه ببعض الأمثلة، وتحقيق هذا الغرض يكون بالمطالب الآتية:

المطلب الأوّل: مفهوم الكناية.

الفرع الأوّل: لغـــة.

أعرض هنا بعض المعاني اللّغوية للفظة الكناية، وذلك في ما يأتي:

قال ابن دريد: "كنِنْتُ الشّيء إذا خبأته وستَرتُه ...وكلّ شيء سترت به شيئًا فهو كنانٌ له"[1].

وقال الإمام الجوهري: "هي أن تتكلم بشيءٍ وتُريد به غيره وهي الغطاء وزنًا ومعنى، والجمع أكنّة مثل أغطية، وكنَيْتُ بكذا عن كذا وكنَوْتُ، وأنشد أبو زياد:

وإنّي لأكنو عن قذُور بغيرِها ... وأعربُ أحيانًا بها فأصارِحُ"[2].

وقال ابن منظور: "الكُنْيَةُ على ثلاثة أوجه: أحدها أن يكنّى عن الشَّيء الذي يُستْفحشُ ذكره؛ والثّاني أن يكنّى الرّجل باسمٍ توقيرًا وتعظيمًا؛ والثّالث أن تقوم الكُنْية مقام الاسم فيُعرف صاحبها بها كما يعرف باسمِهِ كأبي لهب اسمه عبد العُزَّى، عرف بكنيته فسمّاه الله بها...وكنَى عن الأمر بغيرِه يكنِي كنايةً: يعني إذا استدل بغيره ممّا يستدل عليه، نحو الرّفثِ والغائطِ ونحوه"[3].

وبناءً على ما تقدم فإنّ الكناية في المعنى اللغوي تدور حول المعاني الآتية: الخفاء، السّتر، والإضمار وهي أبعد ما تكون عن السّفور والوضوح.

---

[1] – جمهرة اللغة. ابن دريد. دائرة المعارف. مادة "كنن". ج1. ص 120.

[2] – الصّحاح. إسماعيل بن حماد الجوهري. مادة: "كنى". ج6. ص 2477.

[3] – لسان العرب. ابن منظور. مادة: "كنى". ج5. ص 3944.

الفرع الثّاني: اصطلاحًا.

وردت عدة تعاريف للكناية في المعنى الاصطلاحي لعدد من العلماء قديمًا وحديثًا، أُورد من بينها:

ذكر بعض الباحثين أنّ: "من أقدم الذين عرضوا للكناية في مؤلفاتهم أبو عبيدة، وهي عنده كل ما فهم من الكلام، ومن السّياق من غير أن يذكر اسمه صريحًا في العبارة"[1].

وقد أشار الدكتور عبد الفتاح لاشين إلى مفهوم الكناية عند الجاحظ فقال: "وفي بحوث الجاحظ أشار إلى صور من الكناية في مثل قولهم: "فلان مقتصد" إذ جعله كناية عن البخل، فهذه الصّورة التي استتر فيها المعنى وراء لفظ آخر، أطلق عليها كناية"[2].

وعرّفها عبد القاهر الجرجاني[3] فقال: "هي أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكر باللّفظ الموضوع له في اللّغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفِه في الوجود، فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه"[4].

وعرّفها جار الله الزّمخشري بقوله: "الكناية أن تذكر الشّيء بغير لفظه الموضوع له"[5].

وعرّفها الخطيب القزويني[6] بقوله: " لفظ: أُريدَ به لازمُ معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ"[7].

---

[1] – فنون بلاغية. أحمد مطلوب. دار البحوث العلمية: الكويت. ط1، 1395هـ، 1975م. ص 164.

[2] – البيان في ضوء أساليب القرآن. عبد الفتاح لاشين. دار الفكر العربي: القاهرة. 1418هـ، 1998م. ص 248، 249.

[3] – هو عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمّد الجرجاني، أبو بكر: واضع أصول البلاغة، كان من أئمة اللّغة من أهل جرجان، من كتبه: دلائل الإعجاز، إعجاز القرآن، توفي سنة: 471هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء. ج 18. ص 432 ، 433. النجوم الزاهرة. ج5. ص 108.

[4] – دلائل الإعجاز. عبد القاهر الجرجاني. علّق عليه: محمّد محمود شاكر. مكتبة الخانجي: القاهرة. ص66.

[5] – الكشّاف. جار الله الزمخشري. ج1. ص 459.

[6] – هو محمّد بن عبد الرّحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدّين القزويني الشّافعي، المعروف بخطيب دمشق، أصله من قزوين مولده بالموصل، ولي القضاء في ناحية بالرّوم، سنة 724هـ، فقضاء القضاة بمصر سنة 727هـ، ونفاه السّلطان ملك النّاصر إلى دمشق سنة: 738هـ، ثمّ ولاّه القضاء بها إلى أن توفي، من مؤلفاته: تلخيص المفتاح، والإيضاح، توفي سنة: 739هـ. ينظر: الدرر الكامنة. ج4. ص 3 إلى 6. الأعلام. ج 6. ص 192.

[7] – الإيضاح في علوم البلاغة. الخطيب القزويني. دار الكتب العلمية: بيروت. ص330.

وعرّفها بدر الدّين الزّركشي: "الكناية عن الشّيء: الدّلالة عليه من غير تصريح باسمه، وهي عند أهل البيان أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللّفظ الموضوع له من اللّغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه فيدل على المراد من طريق أولى "[1].

وعرّفها الطّاهر بن عاشور بقوله: "هي ما يقابل التّصريح والمراد بها هنا لفظ أريد به ملزوم معناه مع جواز إرادة المعنى اللازم"[2].

وعرّفها حبنكة الميداني بقوله: "هي اللّفظ المستعمل فيما وضع له في اصطلاح التّخاطب للدّلالة به على معنى آخر لازمٍ له، أو مصاحبٍ له، أو يشار به عادةً إليه، لما بينهما من الملابسة بوجه من الوجوه"[3].

ومن خلال هذه التّعاريف ندرك تطور مفهوم الكناية عند البلاغيين، حيث إنّ الأوائل لم يحددوها بدقة، فمزجوها بفنون أخرى اتّخذت أبوابًا وفصولا عند المتأخرين، حتى جاء عبد القاهر الجرجاني –فيما يبدو–، فقد ضبط مفهوم الكناية وحدده بدقة، الشّيء الذي جعل من جاء بعده ينحون نحوه إلى عصرنا الحالي[4].

وبناءً على ما سبق أحاول إعطاء تعريف للكناية بما يتوافق مع المقصود من المبحث فأقول: "**هي ما لم يصرّح به، لِلُزُومِهِ من اللّفظ المستعمل له**"، ومعنى هذا التّعريف أنّ الكناية هي صيغة أو عبارة أُستعِيضَ بها للدّلالة على اسم آخر لازم لها.

---

[1] – البرهان في علوم القرآن. بدر الدّين الزّركشي. ج2. ص 301.

[2] – موجز البلاغة. محمّد الطّاهر بن عاشور. المكتبة العلمية: تونس. ط1. ص42.

[3] – البلاغة العربية أُسُسُها، عُلُومها، وفُنُونها. حبنكة الميداني. دار القلم: دمشق، الدّار الشّامية: بيروت. ط1، 1416هـ، 1996م. ج2. ص 127.

[4] – للاستزادة أكثر ينظر: فنون بلاغية البيان والبديع. أحمد مطلوب. دار البحوث العلمية: الكويت. ط1، 1395هـ، 1975م. ص 162 إلى 170.

المطلب الثّاني: النّماذج التّطبيقية.

وقد خصصت هذا المطلب في الحديث عن الجانب التّطبيقيّ لأسلوب الكناية، وذلك بذكر الآية وبيان الشّاهد منها، مدللاً لما قلته بأقوال بعض المفسرين، وأخيرًا أُبرز بعض السّمات البلاغية لهذا الأسلوب، وبيان ذلك على النّحو الآتي:

المثال الأول:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ الأعراف: 189.

المبهم في الآية قوله: ﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ قد ورد بأسلوب الكناية، أي النّفس الواحدة المذكورة هي كناية عن آدم عليه السّلام، وجلّ من فسّر هذه الآية ذكر ذلك؛ مثل صنيع الإمام الطّبري حيث قال: "﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾يعني بالنّفس الواحدة آدم عليه السّلام...﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾: وجعل من النّفسِ الواحدة، وهو آدمُ زَوجَها حَوّاءَ "[1]، ثمّ ذكر الرّوايات في ذلك.

وقال جار الله الزّمخشري: " ﴿ مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ وهي نفس آدم عليه السّلام ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ وهي حوّاء خلقها من جسد آدم من ضلع من أضلاعه"[2].

وقال الإمام القرطبي: "قوله تعالى:﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ قال جمهور المفسّرين: المراد بالنّفس الواحدة آدمُ عليه السّلام ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ يعني حوّاء"[3].

فنلاحظ في هذا المثال أنّ الله سبحانه وتعالى حينما لم يصرّح بآدم وعبّر عنه بقوله: ﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ للتنبيه على أمرٍ جليلٍ وهو أنّ السّلالة الإنسانية كلّها مشتقة بتقدير العزيز العليم القدير الحكيم من نفس واحدة، فوُرُود التعبير بهذا الأسلوب أبلغ بكثير من التّصريح به.

---

[1] – جامع البيان. الطبري. ج10. ص 617.

[2] – الكشّاف. جار الله الزّمخشري. ج2. ص 540.

[3] – الجامع لأحكام القرآن. القرطبي. ج9. ص408.

المثال الثّاني:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴾ القلم: 48.

المبهم في الآية قوله: ﴿ كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ ﴾ قد ورد بأسلوب الكناية عن اللّقب الذي انفرد به الموصوف وهو يونس عليه السّلام، وإلى هذا المعنى (في المراد بصاحب الحوت يونس عليه السّلام) ذهب كلّ من فسّر هذه الآية، مثل ما قاله أبو جعفر الطّبري أثناء تفسيره لهذه الآية: "وقوله: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ﴾ الذي حبَسه في بطنه وهو يونس بن متّى صلّى الله عليه وسلّم"[1].

وقال جار الله الزمخشري: " ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ﴾ هو يونس عليه السّلام"[2].

وقال الإمام الشّوكاني: "﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ﴾ يعني يونس عليه السّلام"[3].

وقال ابن عاشور: "وصاحب الحوت هو يونس بن متّى"[4].

إلى غير ذلك من كلام أهل التّفسير أنّ المراد بصاحب الحوت هو يونس عليه السّلام.

ونرى على التّعبير الذي كنّى به القرآن عن يونس عليه السّلام أجمل من أيّ تعبير آخر، فقد كنّى عنه بأجمل عبارة متعلقة بأبرز حادثة وقعت له في حياته.

المثال الثّالث:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴾ التّكوير: 22.

المبهم قي الآية قوله: ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم ﴾قد ورود بأسلوب الكناية، فالصّاحب فيها كناية عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وإلى هذا المعنى ذهب أغلب من فسّر هذه الآية، مثل ما قاله أبو جعفر الطّبري: "وقوله ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴾ يقول تعالى ذكره: وما صاحبكم أيّها النّاسُ محمّدٌ بمجنونٍ،

---

[1] – جامع البيان. الطّبري. ج23. ص 199.

[2] – الكشّاف. جار الله الزمخشري. ج6. ص192.

[3] – فتح القدير. الشّوكاني. ج5. ص 367.

[4] – تفسير التحرير والتّـــنوير. ابن عاشور. ج29. ص 104.

فيتكلّم عن جنّةٍ ويهذيَ هذيان المجانين، بل جاء بالحقِّ وصدّق المرسلين"[1] ثمّ ساق الرّوايات في ذلك.

وقال الإمام الألوسي: " ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ هو رسول الله صلّى الله عليه وسلّم"[2].

وقال الإمام الشّوكاني: "﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ الخطاب لأهل مكّة، والمراد بصاحبهم: رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، والمعنى وما محمّد يا أهل مكّة بمجنون"[3].

إلى غير ذلك من كلام أهل التّفسير في ذلك، وممّا يجدر التّنبيه له هو وصفه سبحانه بالصّحبة في هذه الآية أبلغ بكثير من التّصريح باسمه؛ من إشعار لأهل مكّة بأنّهم عالمون بأمره، وأنّه ليس ممّا يرُومُونه من افتراءات وأكاذيب، فقد قال جمال الدّين القاسمي[4] في هذا الصّدد: "وفي قوله ﴿صَاحِبُكُم﴾ تكذيب لهم بألطف وجه. إذ هو إيماء إلى أنّه نشأ بين أظهركم من ابتداء أمره إلى الآن، فأنتم أعرف به وبأنّه أتّم الخلق عقلاً وأرجحهم نبلاً، وأكملهم وأصفاهم ذهنًا. فلا يسند له الجنون إلاّ من هو مركّب من الحمق و الجنون"[5].

وقال الإمام المراغي أيضًا: " وفي التعبير بـــ: ﴿صَاحِبُكُم﴾ استدلال عليهم، وإقامة الحجة على كذبهم في دعواهم، فإنّه إذا كان صاحبهم، وكانوا قد خالطوه وعاشروه، وعرفوا منه ما لم يعرفه سواهم من استقامة، وصدق لهجة، وكمال عقل، ووفور الحلم، وتفوّق على جميع الأنداد والأتراب في صفات الخير- لم يكن ادّعاؤهم عليه ما يناقض ذلك إلاّ باطلاً من القول وزورا"[6].

---

[1] – جامع البيان. الطّبري. ج24. ص 165.

[2] – روح المعاني. الألوسي. ج30. ص60.

[3] – فتح القدير. الشّوكاني. ج5. ص 520.

[4] – هو جمال الدين (أو محمد جمال الدين) بن محمد سعيد بن قاسم الحلاّق القاسميّ، من سلالة الحسين السّبط: إمام الشّام في عصره، ومصلح زمانه،وكان سلفيّ العقيدة لا يقول بالتّقليد، اتُّهم بأنّه صاحب مذهب جديد، وله تآليف كثيرة، منها: تفسيره المسمّى: محاسن التأويل، وقواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، إصلاح المساجد من البدع والعوائد، توفي سنة: 1332هـــ. ينظر: الأعلام، الزّركليّ، ج2. ص 135. وترجمة الأمير شكيب أرسلان له، وتعريف السيد محمد رشيد رضا، ومحمد بهجة البيطار في مقدّمة كتاب قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، تحقيق محمد بهجة البيطار، وتقديم محمد رشيد رضا. دار النفائس: بيروت. ط1، 1407هـــ،1987م. ص 11 إلى 26.

[5] – محاسن التّأويل. القاسمي. ج16. ص6079.

[6] – تفسير المراغي. أحمد مصطفى المراغي. ج 30. ص60.

المثال الرّابع:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ الأحزاب: 40.

المبهم في الآية قد ورد بأسلوب الكناية، وذلك أنّ قوله:﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ هي كناية عن زيد بن الحارثة[1]، أي ليس أب هذا الأخير الذي تبناه ولا أب أحد لم يلده، وإلى هذا المعنى ذهب أغلب من فسّر هذه الآية؛ فقد قال أبو جعفر: "يقول تعالى ذكره: ما كان أيّها النّاس محمّدٌ أبا زيد بن الحارثة، ولا أبا أحد من رجالكم الذين لم يلده محمّد فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إيّاها؛ ولكنّه رسول الله وخاتم النّبـــيّين، الذي ختم النّـــبوة فطبع عليها، فلا تفتح لأحد بعده إلى قيام السّاعة، وكان الله بكلّ شيءٍ من أعمالكم ومقالكم وغير ذلك، ذا علمٍ، لا يخفى عليه شيء"[2].

وقال جار الله الزّمخشري: "﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ أي لم يكن أبا رجل منكم على الحقيقة، حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الأب وولده من حرمة الصّهر والنّكاح"[3].

وقال الإمام الألوسي عقب تفسيره لهذه الآية ما نصّه: "...فحيث نفي كونه صلّى الله عليه وسلّم أبا أحد من رجالهم بأي طريق كانت الأبوة ومن المعلوم أنّ زيدًا واحدًا من رجالهم، تحقق نفي كونه عليه الصّلاة والسّلام أبًا له مطلقًا، وأمّا كونه صلّى الله عليه وسلّم ليس أبًا له بالولادة فممّا لا نزاع فيه و لم يتوهم أحد خلافه"[4].

---

[1] – هو زيد بن حارثة بن شراحيل أو شرحبيل الكلبي صحابي، اختطف في الجاهلية صغيرا، واشترته خديجة بنت خويلد فوهبته إلى النّبي صلّى الله عليه وسلّم حين تزوجها، فتبنّاه النّبي صلّى الله عليه وسلّم قبل الإسلام، ثمّ أعتقه وزوجه بنت عمته، واستمر النّاس يسمونه زيد بن محمّد حتى نزلت الآية: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِـَٔابَآئِهِمْ ﴾ وهو من أقدم الصّحابة إسلامًا، وكان النّبي لا يبعثه في سرية إلاّ أمره عليها، وجعل له الإمارة في غزوة مؤتة، فاستشهد فيها سنة 8هـــ. ينظر: الإصابة. ترجمة رقم: 2904. ج4. ص 81 إلى 86. الأعلام. ج3. ص 57.

[2] – جامع البيان. الطبري. ج19. ص 121.

[3] – الكشاف. جار الله الزمخشري. ج 5. ص 75.

[4] – روح المعاني. الألوسي. ج 22. ص 30.

ووُرود المبهم في هذا المثال بهذا الأسلوب فيه من المعاني واللّطائف الكثيرة؛ منها أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ليس أبًا لأحد من النّاس أبوّة شرعية – عدا أبنائه من صلبه- يترتب عليها أحكام حرمة المصاهرة ونحوها؛ أي أنّه حكم عام لزيد وغيره، ومع ذلك فإنّه أب للمؤمنين جميعًا فيما يجب عليهم من توقيره وتعظيمه.

إلى غير ذلك من الأمثلة المتعلقة بهذا الأسلوب[1]وهي مبثوثة في كتب التفسير والكتب المفردة لعلم المبهمات.

[1] – منها ما يلي: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾ التوبة: 108، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ القصص: 33، ﴿ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ السجدة: 7، ﴿فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ الروم: 3، ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ الأحزاب: 40، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ سبأ: 7، ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ سبأ: 46، ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ غافر: 15، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ الشورى: 7، ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ الزخرف: 31، ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ النجم: 5، ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ التحريم: 3.

المبحث الثّالث: أسلوب التّعريض.

يعتبر أسلوب التّعريض من الأساليب البارزة التي وردت بها مبهمات القرآن، لذلك سأتطرّق في هذا المبحث إلى تعريفه لغة واصطلاحًا، ثمّ أثني عليه بالتّفريق بينه وبين الكناية، وبعدها أُورد أمثلة تطبيقية عنه مبيّنا فيها بعض السّمات البلاغية له، وتفصيل ذلك وفق المطالب الآتية:

المطلب الأوّل: مفهوم التّعريض.

الفرع الأوّل: لغـــــة.

لقد تطرّق أهل اللّغة إلى بيان المعنى اللّغوي للتّعريض، أذكر منهم:

قال الإمام أبو منصور الأزهري: "...والمعاريض من الكلام ما عرّض به و لم يصرّح، والتّعريض في خطبة المرأة في عدتها: أن يتكلم بكلام يشبه خطبتها ولا يصرّح به ...والتّعريض قد يكون بضرب الأمثال وذكر الألغاز، وهو خلاف التّصريح في جملة المقال، وعرَّضَ الكاتِبُ تعْرِيضًا إذا لم يبيِّن الحُروف، و لم يقوِّم الخَطَّ"[1].

وقال ابن منظور: "التّعريض خلاف التّصريح، والمعاريض التّورية بالشّيء عن الشّيء"[2].

وقال الفيروز آباديّ[3]: "التّعريض خلاف التّصريح وجَعْلُ الشّيءِ عرِيضًا..."[4].

وبناءً على ما سبق نلاحظ أنّ المعنى اللّغوي للتّعريض يتمحور حول الكتم و عدم التّصريح.

---

[1] –تهذيب اللغة. لأبي منصور الأزهري. تحقيق: عبد السّلام هارون. مادة: عرض. ج1. ص 464.

[2] – لسان العرب. ابن منظور. باب العين. مادة: عرض. ص 2895.

[3] – هو مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد الشّيرازيّ الفيروز آباديّ أبو الطّاهر ، مفسّر، لغويّ، نحويّ، من تصانيفه: القاموس المحيط في اللّغة، وبصائر ذوي التّمييز في لطائف الكتاب العزيز في التفسير، والدّرّ النّظيم المرشد إلى مقاصد القرآن العظيم، توفي سنة: 817هـ، ينظر: بغية الوعاة. 1ج. ص272، 273. شذرات الذهب. ج 7. ص 126.

[4] – القاموس المحيط. مجد الدّين محمّد بن يعقوب الفيروز آبادي. تحقيق: مكتب تحقيق التّراث في مؤسسة الرّسالة. مؤسسة الرّسالة: بيروت. ط8، 1426هـ، 2005م. ص 647.

الفرع الثّاني: اصطلاحًا.

وردت عدّة تعاريف للتّعريض في المعنى الاصطلاحي أورد منها:

أشار إلى تعريفه الإمام أبو جعفر الطّبري بقوله: "ما كان من لحن الكلام، الذي يَفهَمُ به السّامعُ الفَهِمُ ما يُفْهَمُ بصريحِه"[1].

وعرّفه جار الله الزمخشري بقوله: "أن تذكر شيئًا تدلُّ به على شيء لم تذكره"[2].

وعرّفه الرّازي[3] بقوله: "أن تذكر كلامًا يحتمل مقصودك ويحتمل غير مقصودك، إلاّ أنّ قرائن أحوالك تؤكد حمله على مقصودك"[4].

وعرّفه ابن الأثير بقوله: "هو اللّفظ الدّال على الشّيء من طريق المفهوم لا بالوضع الحقيقي والمجازي"[5].

وعرّفه بدر الدّين الزّركشي بقوله: "إنّه الدّلالة على المعنى من طريق المفهوم"[6].

---

[1] – جامع البيان. الطّبري. ج4. ص 269.

[2] – الكشاف. جار الله الزمخشري. ج1. ص 259.

[3] – هو محمد بن عمر بن الحسن فخر الدين الرازي أبو عبد الله، الإمام المفسّر، سلطان المتكلمين في زمانه، ولد بالريّ سنة: 544هـ، وهو قرشي النّسب رحل إلى خوارزم وما وراء النّهر وخراسان، من مؤلّفاته: مفاتيح الغيب والمحصول، توفي في هراة سنة: 606هـ. ينظر: طبقات الشافعية. لأبي بكر بن أحمد بن محمد تقي الدين ابن القاضي شهبة. اعتنى بتصحيحه وعلّق عليه ورتب فهارسه: حافظ عبد العليم خان. دائرة المعارف العثمانية: الهند. ط1، 1399هـ، 1979م. ج2. ص 81 إلى 84. الأعلام. ج6. ص 313.

[4] – تفسير الفخر الرّازي المشتهر بالتفسير الكبير أو مفاتيح الغيب. لمحمد الرازي فخر الدّين. دار الفكر: بيروت. ط1، 1401هـ، 1981هـ. ج6. ص 140.

[5] – المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر. لضياء الدّين ابن الأثير. تقديم وتعليق: أحمد الحوفي، بَدَوي طبانة. دار النّهضة: مصر. ج3. ص 56.

[6] – البرهان في علوم القرآن. الزّركشي. ج2. ص 311.

وعرّفه أبو السّعود[1] بقوله: "التّعريض والتّلويح إيهام المقصود بما لم يوضع له لا حقيقة ولا مجازًا"[2].

وعرّفه حبنكة الميداني بقوله: "هو طريقة من الكلام أخفى من الكناية، فلا يشترط في التّعريض لزوم ذهني ولا مصاحبة ولا ملابسة بين معنى الكلام وما يراد الدّلالة به عليه، إنّما تكفي فيه قرائن الحال، وما يفهم ذهنًا بها من توجيه الكلام"[3].

من خلال هذه التّعاريف نلاحظ أنّ هناك من توسع جدًّا في تعريف التّعريض مثل صنيع الإمام الرّازي حيث أنّه أدخل فيه أنواعًا أخرى من علم البيان مثل الكناية.

و بناءً على ما سبق ذكره يمكن أن أذكر تعريفًا جامعًا للمعاني المتقدمة فأقول: "**أنّ التّعريض هو اللّفظ الدّال على شيء، بيد أنّ القرينة في معرفته هي السّياق، ودلالة الفحوى**".

---

[1] – هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، أبو السعود، مفسّر شاعر من علماء التّرك المستعربين، ولد بقرب القسطنطينية، درس ودرّس في بلاد متعددة، تقلّد القضاء في بروسة فالقسطنطينية فالرّوم آيلي، أضيف إليه الإفتاء سنة: 952هـ، من مصنّفاته: إرشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم، توفي سنة: 982هـ. ينظر: شذرات الذهب. ج10. ص 584، 585. النور السّافر. ص 319 إلى 321.

[2] – إرشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم. لأبي السّعود بن محمّد العمادي الحنفي. تحقيق: عبد القادر أحمد عطا. ج1. ص 360.

[3] – البلاغة العربية. حبنكة الميداني. ج2. ص 127.

المطلب الثّاني: الفرق بين التّعريض والكناية.

يلزمنا قبل أن ندخل في الجانب التّطبيقيّ لأسلوب التّعريض، بيان العلاقة بينه وبين أسلوب الكناية من خلال إبراز ما يتفقان ويختلفان فيه؛ وتفصيل ذلك كالآتي:

أوّلاً: وجه الاتفاق:

هناك وجه واحد مشترك بينهما هو أنّ ليس في الكناية ولا في التّعريض تصريح.

ثانيًا: وجه الاختلاف:

أبرز الأوجه التي يختلف فيها التّعريض عن الكناية ما يلي:

1- القرينة في معرفة التّعريض هي السّياق بخلاف الكناية؛ قال الدكتور عبد الفتّاح لاشين أثناء شرحه لمفهوم التعريض في الاصطلاح ما نصه: "...فجملة المعنى الحاصل عند اللفظ شامل للحقيقة والمجاز والكناية وقولنا "لا به" مخرج لهذه جميعًا لأنّ الحقيقة والمجاز والكناية يُدل عليها بالألفاظ فهي تتحقق عند ذكر الألفاظ وبها، أمّا التّعريض فهو داخل بهذا القيد، فإنّه حاصل بغير اللّفظ –وهو السّياق وقرائن الأحوال–، وعلى هذا يكون التّعريض مُباينًا للحقيقة والمجاز والكناية"[1].

2- الكناية تأتي في اللّفظ المفرد وفي التّركيب، أمّا التّعريض فلا يتأتّى إلاّ في التّركيب؛ قال ابن الأثير: "الكناية تشمل اللّفظ المفرد والمركب معًا، فتأتي على هذا تارة وعلى هذا أخرى، وأمّا التّعريض فإنّه يختص باللّفظ المركب ولا يأتي في اللّفظ المفرد البتة"[2].

3- أنّ التّعريض أخفى من الكناية لأنّ دلالة الكناية من جهة اللّفظ، بخلاف التّعريض فإنّ دلالته من جهة السّياق وفحوى الخطاب.

---

[1] – البيان في ضوء أساليب القرآن. عبد الفتاح لاشين. دار الفكر العربي: القاهرة. ط2، 1418هـ، 1998م. ص 273.

[2] – المثل السّائر. ابن الأثير. ج3. ص 37.

المطلب الثّالث: النّماذج التّطبيقية.

الملاحظ على أسلوب التّعريض في مبهمات القرآن قد ورد – حسب اطّلاعي – في مبهمات الأفراد والجماعات. والأمثلة على ذلك ما يلي:

المثال الأوّل:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾البقرة: 253.

المبهم في الآية قوله: ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾ قد ورد بأسلوب التّعريض، أي هي تعريض بالنّبي صلّى الله عليه وسلّم والدّليل على ذلك هو السّياق، فمن هذه الدرجات ما هو متعلق بخُلقه كما جاء في كتاب الله تعالى:﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ القلم: 4، ومنها ما هو متعلق بكتابه وشريعته ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ الإسراء: 9 إلى غير ذلك؛ قال جار الله الزّمخشري: "أي ومنهم من رفعه على سائر الأنبياء فكان بعد تفاوتهم في الفضل أفضل منهم بدرجات كثيرة، والظاهر أنّه أراد محمّد صلّى الله عليه وسلّم لأنّه هو المفضل عليهم، حيث أوتي ما لم يؤته أحد من الآيات المتكاثرة المرتقية إلى ألف آية أو أكثر..."[1]، وقال ابن عطية في محرره: "قال مجاهد وغيره: هي إشارة إلى محمّد صلّى الله عليه وسلّم، لأنّه بعث إلى النّاس كافّة، وأعطي الخمس التي لم يعطها أحدٌ قبله، وهو أعظم النّاس أمّة، وختم به النّبوات إلى غير ذلك من الخلق العظيم الذي أعطاه الله ..."[2].

وإلى هذا المعنى أشار أبو السّعود حيث قال: "...والظّاهر أنّه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كما ينبّئ عنه الأخبار بكونه عليه الصّلاة والسّلام منهم فإنّ ذلك في قوة بعضهم، فإنّه قد خُصّ بالدّعوة العامة والحجج الجمّة والمعجزات المستمرّة والآيات المتعاقبة بتعاقب الدّهور والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر والإبهام لتفخيم شأنه وللإشعار بأنّه العلم الفرد الغني عن التّعيين"[3].

---

[1] – الكشاف. جار الله الزّمخشري. ج1. ص 477، 478.

[2] – المحرر الوجيز. ابن عطية الأندلسي. تحقيق: عبد السّلام عبد الشّافي محمّد. ج1. ص338.

[3] – تفسير أبي السّعود. لأبي السّعود بن محمّد العمادي الحنفي. ج1. ص 381.

وقال الإمام ابن عاشور عقب تفسيره لهذه الآية ما نصه: "...وقد ثبت أنّ محمّد أفضل الرّسل لما تظاهر من آيات تفضيله وتفضيل الدّين الذي جاء به، و تفضيل الكتاب الذي أُنزل عليه ، وهي متقارنة الدّلالة تنصيصًا وظهورًا، إلاّ أنّ كثرتها تحصل اليقين بمجموع معانيها عملاً بقاعدة كثرة الظواهر تفيد القطع ، وأعظمها آية: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ آل عمران: 187"[1].

ونرى في هذا التّعبير أنّه أبلغ بكثير ممّا لو صرّح بالنّبيّ صلى الله عليه وسلّم بأنّه أرفع الرّسل، لما فيه من تعليم المسلمين أن يتأدبوا مع من سبق من الأنبياء والرّسل، ومن جهة أخرى كسر الحاجز بين أتباع الرسل السّابقين الآخرين للاستماع إلى دعوة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، وفي هذا الصّدد يوضّح لنا حبنكة الميداني ذلك فيقول: " تعريض بارتفاع محمّد صلّى الله عليه وسلّم درجات على سائر الرّسل، و لم يأت هذا البيان بعبارة صريحة فيها نصّ على ارتفاع منزلته فوق سائر الأنبياء والمرسلين تعليمًا للمسلمين أن يتأدبوا مع جميع الرّسل و لا يُتخذ من أفضلية محمّد صلّى الله عليه وسلّم ذريعة للتّنافس والتّناحر به على سائر الأمم، فمثل هذا قد يولد شقاقًا ويصدّ أتباع الرّسل السّابقين عن اتّباع محمّد خاتم المرسلين"[2].

المثال الثّاني:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾ يوسف: 52.

المبهم في الآية قوله: ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾ قد ورد بأسلوب التّعريض؛ وذلك لأنّها تحتمل تعريضين الأوّل منها هو تعريض بامرأة العزيز (واسمها كما ورد في مصادر أهل الكتاب زليخا أو راعيل) وذلك لمّا قامت من الكيد ليوسف والخيانة لزوجها ، والثّاني هو تعريض بالعزيز (واسمه كما ذكرته مصادر أهل الكتاب إطفير) لمّا قام بحبس يوسف عليه السّلام بعدما علم براءته ونزاهته، وإلى هذا المعنى ذهب أهل التّفسير، مثل ما قاله جار الله الزمخشري: "﴿ و ﴾: ليعلم ﴿ أَنَّ

[1] – تفسير التّحرير والتّنوير. ابن عاشور. ج3. ص 7.

[2] – البلاغة العربية. حبنكة الميداني. ج2. ص 157.

ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴾: لا ينفذه ولا يسدّده، وكأنّه تعريض بامرأته في خيانتها أمانة زوجها، وبه في خيانة أمانة الله، حين ساعدها بعد ظهور الآيات على حبسه"[1].

وقال أبو حيّان الأندلسي: "﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴾ لا ينفذه ولا يسدده، وكأنّه تعريض بامرأته في خيانتها في أمانة زوجها، وبه في خيانة أمانة الله، حين ساعدها بعد ظهور الآيات على حبسه"[2].

وقال أبو السّعود عقب تفسيره لهذه الآية أيضًا: "﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴾ أي لا ينفذه ولا يسدده بل يبطله ويزهقه أو لا يهديهم في كيدهم إيقاعًا للفعل على الكيد مبالغة كما في قوله تعالى ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ التوبة:30، أي يضاهـــئونهم في قولهم وفيه تعريض بامرأته في خيانتها أمانته، وبه وفي خيانته أمانة الله تعالى حين ساعدها على حبسه"[3].

وقال الإمام الألوسي أيضًا عقب تفسيره لهذه الآية: "...وفيه تعريض بامرأة العزيز في خيانتها أمانته، وبه في خيانته أمانة الله تعالى حين ساعدها على حبسه بعدما رأوُ الآيات الدّالة على نزاهته عليه السّلام"[4].

فممّا سبق ذكره من كلام لأهل التفسير حول هذه الآية يظهر لنا جليّا أنّ التّعريض أبلغ من التّصريح بأسماء المعرَّض بهما، لقوته وثرائه وقيمته في الأسلوب، والمعاني الغزيرة التي تلحق جرّاء استعماله زيادة على منطوق الآية، أي زيادة على ما ذكرته الآية من أنّ الله لا يهدي كلّ خائن في الدّنيا عرّض بالعزيز وامرأته كأنّه أعطى الحكم مع التّمثيل له من الواقع.

---

[1] – الكشّاف. جار الله الزمخشري. ج3. ص 296.

[2] – تفسير البحر المحيط. لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي. دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض. شارك في تحقيقه: زكريا عبد المجيد النوني. قرظه: عبد الحي الفرماوي. دار الكتب العلمية: بيروت. ط1، 1413هـــ، 1993م. ج5. ص 316.

[3] – إرشاد العقل السّليم. لأبي السّعود. ج3. ص 158.

[4] – روح المعاني. الألوسي. ج12. ص 261.

المثال الثّالث:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ النّـــور: 26.

يفهم من الآية أنّ الخبيث لا يليق إلاّ بالخبيث من النّاس والطّيب لا يليق إلاّ بالطّيب من النّاس، ولكون سياق الآيات في الحديث عن حادثة الإفك التي وقعت في حقّ أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها وتبرئتها ممّا حصل، فإنّ هذه الآية فيها تعريض بالنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وعائشة رضي الله عنها وتأكيد براءتها هنا، أي أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم طيّب لا يليق إلاّ بالطّيّب، وما كان الله ليجعل عائشة زوجة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلاّ وهي طيّبة، وإلى هذا المعنى ذهب جلّ من فسّر هذه الآية مثل ما قاله الإمام ابن كثير بعد أن سرد الأقوال المتعلقة بالآية: "...وهذا –أيضًا– يرجع إلى ما قاله أولئك باللاّزم، أي ما كان الله ليجعل عائشة زوجة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلاّ وهي طيّبة؛ لأنّه أطيب من كلّ طيب من البشر، ولو كانت خبيثة لما صلحت له، لا شرعًا ولا قدرًا؛ ولهذا قال:﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ﴾ أي بُعَدَاء عمّا يقوله أهل الإفك والعدوان..."[1].

وقال الإمام ابن عاشور عقب تفسيره للآية: "بعد أن برّأ الله عائشة رضي الله عنها ممّا قال عصبة الإفك ففضحهم بأنّهم ما جاؤوا إلاّ بسيّء الظّن واختلاق القذف وتوعدهم وهددهم ثمّ تاب على الذين تابوا أنحى عليهم ثانية ببراءة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من أن تكون له أزواج خبيثات لأنّ عصمته وكرامته على الله يأبى الله معها أن تكون أزواجه غير طيّبات. فمكانة الرسول صلّى الله عليه وسلّم كافية في الدّلالة على براءة زوجه وطهارة أزواجه كلهنّ. وهذا من استدلال على حال الشّيء بحال مقارنه ومماثله"[2].

وممّا لا شكّ فيه أنّ ورود المبهم في الآية بهذا الأسلوب له الكثير من الأسرار والحكم البلاغية منها أنّ فيها حكم عام وهو أنّ كلّ خبيث لا يليق له إلاّ خبيثة والعكس صحيح فهذا أبلغ ممّا لو صرّح به فيكون خاصّ بهما دون غيرهما.

---

[1] – تفسير ابن كثير. ج6. ص 35.

[2] – تفسير التّـــحرير والتّـــنوير. ابن عاشور. ج18. ص 194.

المثال الرّابع:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ التّحريم: 10.

فمن خلال هذين المثالين اللذين ضربهما سبحانه وتعالى عن الذين كفروا في الآية؛ هناك تعريض بمبهمين فُهِمَا من سياق الآيات؛ هما أُمّا المؤمنينَ حفصة وعائشة رضي الله عنهما وما فرط منهما من التّظاهُرِ على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بما كرهه، وتحذير لهما على أغلظ وجه وأشدّه لما في التّمثيل من ذكر الكفر، قال الإمام النّسفي[1]: "وفي طيّ هذين التمثيلين تعريض بأمّيِّ المؤمنين المذكورتين في أوّل السّورة، وما فرط منهما من التّظاهر على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بما كرهه، وتحذير لهما على أغلظ وجه وإشارة إلى أنّ من حقهما أن تكونا في الإخلاص كهاتين المؤمنتين[2]، وألاّ تتكّلا على أنّهما زوجا رســـول الله صلّى الله عليه وسلّم"[3].

وقال بدر الدّين ابن جماعة: "﴿ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ﴾ والغة وقيل واعلة، ﴿وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ﴾ هي والهة وقيل واهلة، وذكر هاتين تحذيرًا لعائشة وحفصة ما فرط منهما"[4].

قال الطّاهر بن عاشور: "وهذا المثل لا يخلو من تعريض بِحَثِّ زوجيْ النّبي صلّى الله عليه وسلّم على طاعته وبأنّ رِضَى الله تعالى يَتْبع رِضَى رسله. فقد كان الحديث عن زوجي النّبي صلّى الله عليه وسلّم قريبًا وكان عملهما ما فيه بارقة من مخالفة وكان في المثلين ما فيه إشعار بالحالين"[5].
وقال الزّحيلي: "وهذا تعريض بأمي المؤمنين حفصة وعائشة رضي الله عنهما، لما فرط منهما، و

---

[1] – هو عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي أبو البركات، حافظ الدين، فقيه حنفي مفسّر، نسبته إلى نسف ببلاد السّند بين جيحون وسمرقند، من مصنّفاته: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، كنـــز الدقائق، توفي سنة: 710هـــ. ينظر: الدرر الكامنة. ج2. ص 247. الأعلام. ج4. ص 67، 68.

[2] –يقصد بالمؤمنتين هي امرأة فرعون ومريم ابنة عمران، لأنّه ذكر هذا الكلام في ختام السّورة، وكأنّه يقصد بالتّعريض بحفصة وعائشة من كلّ الآيات الأخيرة.

[3] – مدارك التّنـــزيل وحقائق التّأويل. لأبي البركات عبد الله بن محمود النّسفي. حققه وخرّج أحاديثه: يوسف علي بديوي. دار الكلم الطّيب: دمشق. ط1، 1419هـــ، 1998م. ج3. ص 509.

[4] – غرر التبيان. بدر الدّين ابن جماعة. ص514.

[5] – تفسير التّحرير والتّنوير. ابن عاشور. ج28. ص 373.

تحذير وتخويف لهما ولغيرهما بأنّه لا يفيدهنّ شيئًا زواجهنّ بالنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم إن عصين الله تعالى. قال يحيى بن سلاّم[1]: هذا يحذّر به عائشة وحفصة من المخالفة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين تظاهرتا عليه ببيان أنّهما، وإن كانتا تحت عصمة خير خلق الله تعالى، وخاتم رسله، فإنّ ذلك لا يغني عنهما من الله شيئًا. وقد عصمهما الله عن ذنب تلك المظاهرة بما وقع منهما من التّوبة الصّحيحة الخالصة"[2].

كما لا يخفى على ما في هذا المثال من بلاغة وحسن جمال، ورونق من عدم التّصريح بأمي المؤمنين والاكتفاء بالإشارة لهما بأسلوب التّعريض[3].

وغيرها من النّماذج[4] التي تندرج ضمن هذا الأسلوب وهي مبثوثة في الكتب المفردة لعلم المبهمات وكتب التّفسير.

---

[1] – هو يحيى بن سلاّم بن أبي ثعلبة التّيمي بالولاء، من تيم ربيعة البصري ثمّ الإفريقي: مفسّر، فقيه، عالم الحديث واللّغة، أدرك نحو عشرين من التّابعين وروى عنهم، وكان ثقة ثبتًا، قال عنه ابن الجزري: "سكن إفريقية دهرًا، وسمع النّاس بها كتابه في التّفسير، وليس لأحد من المتقدمين مثله. توفي سنة: 200هـ. ينظر: غاية النّهاية في طبقات القرّاء. ابن الجزري. دار الكتب العلمية: بيروت. ط1، 1427هـ، 2006م. ترجمة رقم: 3848. ج2. ص 325. الأعلام. الزّركلي. ج8. ص 148.

[2] – التّفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. وهبة بن مصطفى الزّحيلي. دار الفكر: بيروت. 1418هـ. ج28. ص 342.

[3] – الإمام ابن عطية الأندلسي أنكر هذا التّعريض فقال أثناء تفسيره لهذه الآيات: "...وقال بعض النّاس: إنّ في المثلين عبرة لزوجات النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم حين تقدم عتابهنّ وفي هذا بُعد لأنّ النّص أنّه للكفّار يُبعد هذا". المحرر. ابن عطية. مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: قطر. ج8. ص 347، 348. إلاّ أنّ ابن عاشور ردّ هذا الكلام بعدما ذكره بقوله: " و يُدْفَع استبعادَه أنّ دلالة التّعريض لا تنافي دلالة التّصريح". ينظر: تفسير التّحرير والتّنوير. ابن عاشور. ج28. ص 374.

[4] – من هذه الأمثلة التي تدخل في هذا الأسلوب ما يلي: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ﴾المائدة: 18،﴿ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾الكهف:28، ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾ الحج: 8، ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ القصص: 55، ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ الفتح: 18، ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ آل عمران: 7، ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ المنافقون: 1.

المبحث الرّابع: أسلوب الذّكر و الحذف.

من مباحث الجملة التي عَني بها علماء البلاغة الذّكرُ والحذفُ، وقد حرص هؤلاء العلماء على بيانهما وبيان أوجه الإعجاز فيهما نظرًا لأهمّيتهما البالغة، قال عبد القاهر الجرجاني في معرض حديثه عن هذا الأسلوب ما نصّه: "هو بابٌ دقيق المَسلك، لطيف المأخذِ، عجيب الأمرِ، شبيه بالسِّحرِ، فإنّك ترى به تركَ الذّكرِ أفصحَ من الذّكر. والصّمت عن الإفادة، أزيدَ للإفادة، و تجدُك أنطقَ ما تكون إذا لم تنطِق، وأتمَّ ما تكون بيانًا إذا لم تُبِنْ"[1].

كما أنّ المتتبع لمبهمات القرآن يجد أنّ منها ما ورد بأسلوب الذّكر والحذف، و في هذا المبحث أحاول أن أبيّنه، وذلك من خلال تعريفه لكوكبة من العلماء، ثمّ أثنّي عليه بالجانب التّطبيقي، وفي ختام هذا المبحث أعطي بعض الأغراض البلاغية لهذا الأسلوب، وتفصيل ذلك على النّحو الآتي:

المطلب الأوّل: مفهومه.

الفرع الأول: لغـــة.

أتطرّق في الأوّل إلى بيان معنى **الذّكر في اللّغة** وهذا على النّحو الآتي:

قال أبو منصور الأزهري: "... وقال الفرّاء: الذِّكْرُ: ما ذكرتَهُ بلسانكَ وأظهرتَهُ، وقال اللّيث: الذِّكرُ الحِفْظُ للشَّيْءِ تذْكُرُهُ، والذِّكرُ جَرْيُ الشَّيءِ على لسَانِك"[2].

وقال ابن منظور: "الذِّكرُ: الحفظُ للشَّيْء تذكرهُ، والذِّكرُ أيضًا: الشَّيْءُ يجري على اللّسان، والذّكر جَريُ الشّيء على لِسَانِك،... واسْتَذْكَرَ الشَّيءَ: دَرَسَهُ للذّكرِ. والتّذّكُرُ: تذّكر ما أُنْسِيتَهُ.

---

[1] – إعجاز القرآن. عبد القاهر الجرجاني. قرأه وعلّق عليه: محمّد محمود شاكر. مكتبة الخانجي: القاهرة. ص 146.

[2] – تهذيب اللغة. لأبي منصور الأزهري. مادة: ذكر. ج10. ص 162.

وذكرتُ الشّيء بعدَ النّسيانِ و ذكرْتُهُ بلِسَانِي وقَلْبِي، وتذكَّرْتُهُ، وأذْكرتُهُ غيري، وذَكرتُهُ بمعنًى"[1].

وقال مجد الدّين محمّد بن يعقوب الفيروزبادي: "الذِّكرُ: -بالكسر- الحفظُ للشّيء كالتّذكار، والشّيء يجري على اللّسان"[2].

أمّا **معنى الحذف في اللّغة** فهو كما يأتي:

قال أبو منصور الأزهري: "قال ابنُ المُظَفَّرِ: الحَذْفُ: قَطْفُ الشَّيْءِ مِن الطَّرَفِ كمَا يُحْذَفُ ذَنَبُ الدَّابَّةِ... والحذْفُ الرَّمْيُ عن جانبٍ، تقول: حَذَفَ يَحْذِفُ حَذْفًا"[3].

وقال ابن منظور: "حَذَفَ الشَّيْءَ يَحْذِفُهُ حَذْفًا: قَطَعَهُ من طَرَفِهِ...الجَوْهَرِيُّ: حَذْفُ الشَّيْءِ إِسْقَاطُهُ، ومنْه حَذَفْتُ مِن شَعْرِي ومِن ذَنَبِ الدَّابةِ أيْ أَخَذْتُ "[4].

وقال الفيروز آبادي: "حذَفَهُ يَحْذِفُهُ أَسْقَطَهُ، و- من شَعرِهِ أَخَذَهُ، و-بالعَصَا رَمَاهُ بِها، و- في مِشيَتِه حَرَّك جَنْبَهُ و عَجُزَهُ أو تَدَانَى خَطْوُهُ"[5].

و عليه نلاحظ أنّ الحذف في اللّغة يدور حول المعاني الآتية: الإسقاط، والقطع، والرّمي.

---

[1] – لسان العرب. ابن منظور. مادة: ذكر. ج17. ص 1507، 1508.

[2] – القاموس المحيط. الفيروز آبادي. مادة: ذكر. ص 396.

[3] – تهذيب اللغة. لأبي منصور الأزهري. مادة: حذف. ج4. ص 467، 468.

[4] – لسان العرب. ابن منظور. مادة: حذف. ج10. ص 810، 811.

[5] – القاموس المحيط. الفيروز آبادي. مادة: حذف. ص 799.

الفرع الثّاني: اصطلاحًا.

أمّا في ما يخصّ الذّكر في الاصطلاح فلم يتعرض أحد إلى تعريفه – في حدود علمي- ، وذلك لوضوحه من جهة، و من جهة ثانية أنّه هو الأصل في الكلام، لهذا ترى معظم من تطرّق لهذا المبحث يذكر أسلوب الحذف دون لفظ الذّكر وإن كان يراد بهما معًا.

وأمّا الحذف في الاصطلاح فقد وردت عدة تعاريف له؛ أذكر منها:

عرّفه الرّماني[1] بقوله: "إسقاط كلمة للإِجْزَاء عنها بدلالة غيرها من الحال، أو فحوى الكلام"[2].

وعرّفه بدر الدّين الزّركشي بقوله: "إسقاط جزء من الكلام أو كلّه بدليل"[3].

فمن خلال هذين التّعريفين نلاحظ أنّ لباب الذّكر والحذف أنواع وصور متعددة، فمنها ما يتعلق بالحرف ومنها ما يتعلق بالكلمة ومنها ما يتعلق بالجملة؛ قال الباحث علي إبراهيم الجعيد: "وعلى كلّ فهو يعني بأغراض الحذف وأسراره في جزء الكلمة، والكلمة، وجزء الجملة والجملة، والجمل..."[4]، ونحن هنا نقف عند طرفٍ منها؛ الذي يصلح ويتوافق مع موضوع بحثنا، والجزء الذي نقف عليه في هذا المبحث هو: "**ما ذكر في موضع من كلمة أو جملة وحذف في موضع آخر**"، أي أنّ مبهمات القرآن وردت مذكورة في موضع وفي آخر محذوفة في القرآن، لأسرار وأغراض وحكم بلاغية متعددة.

---

[1] – هو علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرّماني، باحث معتزلي مفسّر، من كبار النّحاة، أصله من سامراء، مولده ووفاته ببغداد، له نحو مئة مصنّف منها: الأكوان والمعلوم والمجهول، النّكت في إعجاز القرآن، توفي سنة: 384هـ. ينظر: وفيات الأعيان. ج3. ص 299، بغية الوعاة. ج2. ص 180، 181.

[2] – ثلاث رسائل في إعجاز القرآن. النكت في إعجاز القرآن. للرّماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني. تحقيق: محمّد خلف الله أحمد، محمّد زغلول سلاّم. دار المعارف: مصر. ط3. ص 76.

[3] – البرهان في علوم القرآن. بدر الدّين الزّركشي. ج3. ص 102.

[4] – خصائص بناء الجملة القرآنية ودلالتها البلاغية في تفسير التّحرير والتّنوير. رسالة دكتوراه. إعداد: إبراهيم علي الجعيد. إشراف: محمّد محمّد أبو موسى. جامعة أمّ القرى. كلية اللّغة العربية. 1419هـ، 1999م. ص 213.

المطلب الثّاني: النّماذج التّطبيقية.

التّعبير القرآني دقيق متين، وكلّ لفظ في الآية مقصود مقدّر في مكانه المناسب، بدقة عجيبة وتوازن تام، فكلّ كلمة في الآية في مكانها المناسب المتناسق مع باقي الكلمات و معانيها، والمتّفق مع السّياق العام، فذكر الكلمة في موضع مقصود وحذفها في موضع آخر مُراد.

وفي هذا المطلب أتطرق إلى الجانب التّطبيقي لهذا الأسلوب في مبهمات القرآن، لكن الملاحظ عليه أنّه قليل مقارنة بسابقِيه؛ لأنّه لا يكاد يكون إلاّ في نوعين من أنواع المبهمات، أوّلها في الأفراد، وثانيها في الجموع الذين عرفت أسماؤهم فقد ذكرت في موضع مبهمة (محذوفة) وفي آخر مصرّح بها (أي مذكورة).

ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

المثال الأوّل:

هناك بعض الأفراد رجالاً ونساءً الذين أبهموا في موضع وصرّح بهم في موضع الآخر، لحكم وأسرار كثيرة، منه ما ورد في قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴾ الشّمس: 13 – 15.

فنلاحظ في هذه الآية أنّه لم يصرّح باسم الرّسول الذي عقروا ناقته، لكنّنا نجد قد صرّح به في موضع آخر؛ فقال سبحانه: ﴿ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ الأعراف: 77.

فوجه الدّلالة من هذا المثال بيّنةٌ واضحة، حيث أنّ نبيّ الله صالح عليه السّلام أُبهم في الآية الأولى وصرّح به في الآية الثّانية، وأغلب من فسّر الآية الأولى ذكر بأنّ المراد بالرّسول صالح عليه السّلام لاشتهاره دون الاستدلال بالآية التي في سورة الأعراف، قال الإمام أبو جعفر: "﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ يعني بذلك جلّ ثناؤه صالحًا رسوله صلّى الله عليه وسلّم "[1].

وقال الإمام ابن كثير: " ﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ يعني صالحًا عليه السّلام".

[1] – جامع البيان. الطّبري. ج24. ص 449.

وقال الإمام الشّوكاني: "﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ يعني صالحًا عليه السّلام"[1].

المثال الثّاني:

ومن أفراد النّساء اللّواتي ذكرن في موضع، وحذفن في آخر هو: قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ الأنبياء: 91.

فنلاحظ في هذه الآية عدم ذكر اسم من أحصنت فرجها، لكننا نجد قد صرّح بها في موطن آخر من القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴾ التحريم: 12 .

وعليه فإنّ الشّاهد من هذه الآية الكريمة واضح جليّ؛ حيث أنّه سبحانه وتعالى في الآية الأولى أبهم اسم مريم عليها السّلام ووصفها بأبرز صفة اشتهرت بها، وفي الثّانية صرّح باسمها وباسم أبيها لأنّها سيقت مساق العظة والعبرة لأمهات المؤمنين؛ قال الإمام ابن كثير: "وها هنا ذكر قصّة زكريا، ثمّ أتبعها بقصّة مريم، فقوله: ﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا ﴾ يعني مريم عليها السّلام، كما في سورة التّحريم: ﴿ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾التحريم:13"[2]. وقال أبو السّعود: " ﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا ﴾ أي: أذكر خبر التي أحصنته على الإطلاق من الحلال والحرام، والتّعبير عنها بالموصول لتفخيم شأنها وتنزيهها عمّا زعموه في حقّها آثر ذي أثير"[3].

---

[1] – فتح القدير. الشوكاني. ج5. ص 601.

[2] – تفسير ابن كثير. ج5. ص371.

[3] – إرشاد العقل السليم. لأبي السّعود. ج3. ص 724.

المثال الثّالث:

ممّا ورد بأسلوب الذّكر والحذف في مبهمات القرآن، ما ورد في هذه الآية:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ الفاتحة: 7.

فالمنعم عليهم في هذه الآية لم يصرّح بهم، وإنّما صرّح بهم في موطن آخر من كتابه الكريم حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنعَمَ ٱللَّهُ عَلَيهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ النّساء: 69.

فالشّاهد من هذا المثال أنّ الجموع المعروفة أسماؤهم في الآية الأولى أبهموا وفي آية النّساء صرّح بهم، قال أبو جعفر الطّبري: "قل يا محمّد اهدنا يا ربّنا الصّراط المستقيمَ، صراط الذين أنعمت عليهم بطاعتك وعبادتك، من ملائكتك وأنبيائك، والصّدّيقين، والشّهداء والصّالحين، وذلك نظير ما قال ربُّنا جلّ ثناؤه في تنزيله ﴿ وَإِذًا لَّأٰتَينَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجرًا عَظِيمًا وَلَهَدَينَٰهُم صِرَٰطًا مُّستَقِيمًا وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنعَمَ ٱللَّهُ عَلَيهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ النّساء: 67 – 69"[1]، ثمّ ساق بسند له عن الضّحاك عن ابن عباس ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم ﴾. يقول طريق من أنعمت عليهم من الملائكة والنّبيئين والصّدّيقين والشّهداء والصّالحين، الذين أطاعوك وعبدوك"[2].

وقال الإمام ابن كثير: "﴿ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم ﴾ هم المذكورون في سورة النّساء، حيث قال: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنعَمَ ٱللَّهُ عَلَيهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ النّساء: 69."[3].

---

[1] – جامع البيان. أبو جعفر الطّبري. ج1. ص 176، 177.

[2] – المصدر نفسه. ج1. ص 177.

[3] – تفسير ابن كثير. ج1. ص 140.

وقال محمّد الأمين الشّنقيطي: "وقوله ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم ﴾ لم يبيّن هنا من هؤلاء الذين أنعم عليهم، وبيّن ذلك في موضع آخر بقوله: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنعَمَ ٱللَّهُ عَلَيهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ النّساء: 69"[1].

المثال الرّابع:

وفي قوله تعالى عن الجموع الذين أبهموا في موضع وصرّح بهم في موطن آخر:﴿ فَٱصبِر كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلعَزمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَستَعجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُم يَومَ يَرَونَ مَا يُوعَدُونَ لَم يَلبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٌۚ فَهَل يُهلَكُ إِلَّا ٱلقَومُ ٱلفَٰسِقُونَ ﴾ الأحقاف: 35 .

المراد بأولي العزم من الرّسل على أشهر الأقوال[2]: أنّهم محمّد ونوح وإبراهيم وعيسى وموسى وهو قول ابن عباس وتبعه في ذلك مجاهد وعطاء الخرساني[3]، وقد ذكر الله هؤلاء الخمسة مجتمعين في موطنين من كتابه وبه استُدِلّ على هذا القول، الموطن الأوّل في سورة الأحزاب؛ حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذ أَخَذنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُم وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبنِ مَريَمَۖ وَأَخَذنَا مِنهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴾ الأحزاب: 7 ، والموطن الثّاني في سورة الشّورى؛ حيث قال جلّ جلاله: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوحَينَآ إِلَيكَ وَمَا وَصَّينَا بِهِۦٓ إِبرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَن أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾الشورى: 13.

فالشّاهد في هذا المثال أنّ أولي العزم من الرّسل في الآية الأولى وردت مبهمة غير مصرّح بها، بينما في الآيتين الثّانيتين صرّح بأسماء هؤلاء الرّسل صلوات الله وسلامه عليهم، قال الإمام ابن كثير: " ﴿ فَٱصبِر كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلعَزمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ أي على تكذيب قومهم لهم، وقد اختلفوا في تعداد أولي العزم على أقوال، وأشهرها أنّهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وخاتم الأنبياء كلّهم

---

[1] – أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. محمّد الأمين الشّنقيطي. إشراف: بكر أبو زيد. دار علم الفوائد: مكّة المكرمة. ط1، 1426هـ. ج1. ص 51.

[2] – هناك أقوال عدّة في المراد بأولي العزم من الرّسل، فهناك من أوصلها إلى أنّهم ثمانية عشر، وبعضهم قال بأنّهم كلّ الرّسل. للاستزادة في هذا ينظر: تفسير مبهمات القرآن. البلنسي. ج2. ص 505 إلى 508. تفسير الألوسي. ج26. ص 34، 35، فتح القدير. الشّوكاني. ج5. ص 36.

[3] – ينظر: جامع البيان. الطبري. ج21. ص 177. معالم التّنـــزيل. البغوي. ج7. ص 272.

محمّد صلّى الله عليه وسلّم، وقد نصّ الله على أسمائهم من بين الأنبياء في آيتين من سورتيْ الأحزاب والشّورى"[1].

وقال محمد الأمين الشنقيطي: "اختلف العلماء في المراد بأولي العزم من الرّسل في هذه الآية الكريمة اختلافًا كثيرًا. وأشهر الأقوال في ذلك أنّهم خمسة، وهم الذين قدمنا ذكرهم في الأحزاب والشّورى، وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصّلاة والسّلام"[2].

واقتصرنا على هذا الحد من الأمثلة وغيرها مبثوث في كتب التّفسير وكتب المفردة لعلم المبهمات[3].

---

[1] – تفسير ابن كثير. ج7. ص 305.

[2] – أضواء البيان. محمد الأمين الشنقيطي. ج 7. ص 434.

[3] – من الأمثلة أيضًا التي تصنّف ضمن ها الأسلوب: قوله تعالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ الفاتحة: 7، فالمغضوب عليهم قد وصفهم سبحانه في قوله تعالى: ﴿ قُل هَل أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيهِ وَجَعَلَ مِنهُمُ ٱلقِرَدَةَ وَٱلخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ المائدة: 60، والضّالين في قوله تعالى: ﴿ قُل يَٰٓأَهلَ ٱلكِتَٰبِ لَا تَغلُواْ فِي دِينِكُم غَيرَ ٱلحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهوَآءَ قَومٖ قَد ضَلُّواْ مِن قَبلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ المائدة: 77.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَد جَآءَتَ رُسُلُنَآ إِبرَٰهِيمَ بِٱلبُشرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجلٖ حَنِيذٖ ﴾ هود: 69 بين البشير في قوله تعالى: ﴿ وَبَشَّرنَٰهُ بِإِسحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ الصافات: 112،

وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبنُ مَريَمَ مَثَلًا إِذَا قَومُكَ مِنهُ يَصِدُّونَ ﴾ الزخرف: 57 فقد بيّن ابن مريم في عدة مواضع منها قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبنُ مَريَمَۚ قَولَ ٱلحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمتَرُونَ ﴾ مريم: 34.

المطلب الثّالث: بعض أغراضه البلاغـــية.

في حقيقة الأمر إبراز السّمات البلاغية لأسلوب الذكر والحذف يحتاج إلى مجلدات؛ وذلك لأنّ كل موضع من مواضع الذّكر والحذف التي ذكرناها وغيرها ينفرد بسّر بلاغي يتميز عن غيره، ومع ذلك يمكن أن أعطي أبرز السّمات البلاغية له في النقاط الآتية:

1- مراعاة السّياق القرآني، فتارة يذكره في موضع ويحذفه في موضع آخر بحسب طبيعة المقام وموضوع السّورة المتناول.

2- قصد التّشويق بالإبهام ثمّ يكون كشفه بعد ذلك شافيًا، قال حبنكة الميداني في حديثه عن فوائد هذا الأسلوب: "قصد التّشويق بالإبهام، ليأتي البيان بعده شافيًا، حركة الشّوق إلى المعرفة"[1]، وقال الدكتور مصطفى عبد السّلام في تعديده لأغراض الحذف ما نصّه: "قصد البيان بعد الإبهام"[2].

3- ذكره بأبرز صفة ملازمة له فيكون في التّصريح به وعدمه سواء، قال الدكتور مصطفى عبد السّلام: "شهرته حتى يكون ذكره وعدمه سواء"[3].

4- قصد الإيجاز.

فهذه بعض السّمات البلاغية التي توصلنا إليها ونحن ندرس هذا الأسلوب، وغيرها كثير.

وفي ختام هذا الفصل أحسب أنّ القارئ قد تعرّف على الأساليب التي وردت بها مبهمات القرآن وهي محصورة في أربع؛ أسلوب التّصريح وأسلوب الكناية، وأسلوب التعريض وأسلوب الذّكر والحذف، وأدرك أيضًا - من خلال الأمثلة التّطبيقية لهذه الأساليب- بعض الأسرار البلاغية للمبهم في القرآن للدّلالة على أنّ هذا الكلام معجز وأنّه من عند حكيم خبير.

---

[1] - البلاغة العربية. حبنكة الميداني. ج1. ص 340.

[2] - الحذف البلاغي في القرآن الكريم. مصطفى عبد السّلام أبو شادي. مكتبة القرآن: القاهرة. ص 150.

[3] - المرجع نفسه. ص 149.

الفصل الرابع

آثار تعيين المبهم التفسيرية

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: الاختلاف في التفسير والاشتغال بالترجيح بين أقوال المفسرين.

المبحث الثاني: التوسع في الاعتماد على أهل الكتاب والاستطراد في ذكر ما لا فائدة فيه.

المبحث الثالث: العناية بذكر أسباب النزول والوقوف على مناقب المبهمين أو مثالبهم.

تمهيد:

ليس المقصودُ من بحثِ هذه القضيّة في هذا الموضع إثباتَ أنّ تعيينَ المبهمات وشرحَها له أثره الواضح في معنى الآية التي ورد فيها المبهم، بحيث يظهر غموضٌ في الآية لا يُزال إلاّ ببيان هذا المبهم؛ بل المراد ما هو أعمّ من ذلك بكثير، **وذلك أنّ تعيين المبهمات وتفسيرها في الكتب المفردة في هذا العلم أو في كتب التفسير عمومًا؛ قد أنتج جملة من الآثار، وأدّى إلى بروز بعض الظواهر العلميّة، لها ارتباط وثيق بأعمال المفسّرين وجهودهم، واهتماماتهم وآرائهم، ومناهجهم وأهدافهم.**

من أجل هذا فضّلتُ التّعبير عن هذه الظواهر العلميّة الناتجة عن اشتغال العلماء بتعيين المبهمات في كتب التفسير بـــ "**آثار تعيين المبهم**" ووصفتها بـــ "**التّفسيريّة**"، بقصدِ الإضافة الحقيقيّة لبعض الفوائد والمعلومات التي تذكر عند تفسير المبهمات إلى درس التفسير عمومًا، لأنّ مصدرَ هذه الآثار وأمثلتَها كتبُ التفسير.

وإذا تبيّن مقصودي من عبارة " آثاره التّفسيريّة " أمكنني أن أذكر **هذه الآثار التفسيريّة التي حقيقتُها ظواهرُ علميّةٌ اشتغل بها المفسّرون والعلماء بسبب اشتغالهم بتعيين مبهمات القرآن،** وقد جعلتُها آثارًا ستة، شارحًا كلّ أثر في مطلب، فأبدأُ بشرحه في فقرة ثم أُتبعُ ذلك بأمثلة ثلاث، إلاّ ما كان في بعض الآثار من الزّيادة في التمثيل على هذا العدد، و لم أُغفل الإشارة في الهامش إلى الأمثلة الأخرى التي تدلّ على ذلك الأثر وتجلّيه، وسِرتُ على ذلك – بفضل الله– حتى فرغت منها.

أمّا مباحثُ هذا الفصل فهي ثلاثة؛ فقد كان الأول منها في الاختلاف في التّفسير والاشتغال بالتّرجيح بين أقوال المفسّرين، وأما الثّاني فقد كان في التوسّع في الأخذ عن الكتاب والاستطراد في ذكر ما لا فائدة فيه، وأمّا الثّالث ففي العناية بذكر أسباب النّزول والوقوف على مناقب المبهمين أو مثالبهم.

وبيان ذلك على النّحـــو الآتي:

المبحث الأوّل: الاختلاف في التّفسير والاشتغال بالتّرجيح بين أقوال المفسّرين.

المطلب الأوّل: الاختلاف في التّفسير.

من أبرز آثار تعيين المبهمات على كتب التّفسير وقوع الاختلاف بين المفسّرين في بيانها، وتنزيلها على الأشخاص والأزمنة والأمكنة والأعداد وغير ذلك، وممّا يجدر التّنبيه إليه هو أنّ هذا الخلاف الحاصل في تعيين المبهمات غالبه ليس له أثر في مقصود الآية ومرادها وإنّما هو في شيء خارج عنها؛ أي أنّ الخلاف هنا يكون في شيء زائد عن معنى الآية، وهذه الحقيقة قد تحدّث عنها الدكتور محمّد صالح سليمان وهو بصدد الحديث عن أقسام الاختلاف في التّفسير من حيث أثره في المعنى، فقال: "الثّاني: خلاف ليس له أثر في المعنى المراد، وغالبًا ما يكون هذا في شيء خارج عن مقصود الآية ومرادها، فالخلاف في هذا يكون في شيء زائد عن المعنى، كالخلاف في عدة أصحاب طالوت، وكالخلاف في اسم الذي مرّ على القرية ..."[1].

إلاّ أنّ هذا الاختلاف في تعيين المبهم يترتّب عليه أحيانًا زيادة في المعاني والفوائد والملح التّفسيرية وهذا ما نلمسه في الأمثلة التّطبيقية.

والاختلاف في تعيين المبهم مردّهُ إلى النّقل الذي لا يمكن تمييز صحيحه من ضعيفه إلاّ أحيانًا، قال ابن تيمية مشيرًا إلى ذلك في معرض حديثه عن أقسام الاختلاف في التّفسير: "...والنّقل إمّا عن معصوم وإمّا من غير معصوم ومنه ما يمكن معرفة الصحيح منه من الضّعيف، ومنه ما لا يمكن معرفة ذلك فيه"[2].

---

[1] – اختلاف السّلف في التفسير بين التّنظير والتّطبيق. محمّد صالح محمّد سليمان. تقديم: مساعد بن سليمان الطّيار، أحمد سعد الخطيب. دار ابن الجوزي: الرّياض. ط1، 1430هـ. ص 119.

[2] – شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية. مساعد بن سليمان الطّيار. دار ابن الجوزي: الرّياض. ط2، 1428هـ. ص129.

أي أنّ الاختلاف في تعيين المبهم من جهة النّقل؛ منه ما يمكن معرفة الصّحيح منه وذلك بالترجيح بين الأقوال[1]، ومنه ما لا يمكن لعدم إمكانية ذلك، قال الدكتور محمّد بن عبد الرّحمن الشّايع مبيّنًا سبب ذلك أثناء تعليقه على كلام ابن تيمية السّابق بقوله: "وهذا النّوع الأخير هو ما لا يمكن معرفة الصّحيح منه غالبه – بحمد الله– ممّا لا فائدة كبيرة فيه، وكلام المفسّرين فيه من فضول القول وزوائد الكلام؛ إذ لو كان ممّا تمسّ الحاجة إليه ولا يستغنى عنه، وتتعيّن معرفته لنُصبت له الأدلّة الدّالّة عليه والمعرّفة به، وأمثلة هذا النّوع في كتب التّفسير اختلافُ المفسّرين في لون كلب أصحاب الكهف وفي البعض من البقرة الذي ضُرب به قتيلُ بني إسرائيل..."[2].

وهذا الاختلاف الواقع من جهة النّقل في تعيين المبهم قد يكون اختلاف تنوّع، ومنه ما هو اختلاف تضادّ، ومن الأمثلة على ذلك ما يأتي:

المثال الأوّل:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ البقرة: 58.

اختلف المفسّرون في المراد بمكان هذه القرية على قولين مشهورين، الأوّل منها هي "أريحا" ونُسب هذا القول إلى ابن زيد[3]، والثّاني هو "بيت المقدس" ونُسب هذا القول إلى قتـــــادة والرّبيع[4] والسُّدي، قال أبو جعفر: "والقرية التي أمرهم الله أن يدخلوها فيأكلوا منها رغدًا حيث

---

[1] – سيأتي في مبحث الترجيح بين أقوال المفسرين أمثلة عن ذلك.

[2] – أسباب اختلاف المفسّرين. محمّد بن عبد الرحمن بن صالح الشّايع. مكتبة العبيكان: الرّياض. ط1، 1416هـــ، 1995م. ص 27.

[3] – هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم القرشيّ العدوي، المدنيّ، مولى عمر بن الخطاب، أخو عبد الله بن زيد بن أسلم، وأسامة بن زيد بن أسلم، كان صاحب قرآن وتفسير، جمع تفسيرًا في مجلد، وكتابًا في النّاسخ والمنسوخ، قال الإمام النّسائي: ضعيف، توفي سنة 182هـــ. ينظر: تهذيب الكمال. ترجمة رقم: 3820. ج 17. ص 114 إلى 123. سير أعلام النبلاء. ج8. ص 349. شذرات الذّهب. ج2. ص 365.

[4] – هو الربيع بن أنس البكريُّ ويقال الحنفيُّ، البصريُّ ثمّ الخراسانيُّ ، قال أبو حاتم: صدوق، وقال الإمام النّسائي: ليس به بأس، توفي سنة: 139هـــ. ينظر: تهذيب الكمال. ترجمة رقم: 1853. ج9. ص 60، 61. سير أعلام النبلاء. ج6. ص 169، 170.

شاءوا -فيما ذكر لنا- بيت المقدس"[1]، ثمّ ساق أسانيد من عنده إلى قتادة والرّبيع والإمام السّدي. وبعد ذلك ذكر رواية بسند من عنده إلى ابن زيد يقول بأنّ المراد بالقرية هنا هي أريحا[2].

وقال ابن عطية: "والإشارة بهذه إلى بيت المقدس في قول الجمهور، وقيل إلى أريحا وهي قريب من بيت المقدس"[3].

وقال الإمام الشّوكاني عقب تفسيره لهذه الآية: "قال جمهور المفسرين القرية هي بيت المقدس، وقيل إنّها أريحا قرية من قرى بيت المقدس، وقيل من قرى الشّام"[4].

فالاختلاف في تعيين هذه القرية هو اختلاف تنوع راجع إلى معنى واحد هو بيت المقدس، فقد وردت آثار تدلّ على أنّ بيت المقدس كان يطلق عليه "أريحا"، منها ما روي عن عبد الله بن بريدة[5] في قوله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴾ النّـــور: 36، قال إنّما هي أربعةُ مساجد لم يَبنِهنّ إلاّ نبـــيٌّ: الكعبة بناها إبراهيمُ وإسماعيلُ عليهما السّلامُ، **وبيتُ أريحَا بيتُ المقدس بناهُ داوودُ وسليمانُ**، ومسجدُ المدينة ومسجدُ قباء اللّذين أُسِّسَا على التّقوى بناهما رسول الله صلّى الله عليه وسلّم"[6].

فهذا المثال يدلّ على الأثر الذي نحن بصدد تقريره وإبرازه، وذلك من وجوه ثلاثة:

أوّلها: ورود الاختلاف بين المفسّرين في تعيين مبهم الآية، وهو القرية التي أمروا بدخولها.

وثانيها: الاختلاف الوارد هنا ليس له أثر في مدلول الآية ومعناها.

وثالثها: أنّه اختلاف من جهة النّقل.

---

[1] – جامع البيان. الطّبري. ج1. ص 712.

[2] – ينظر: المصدر نفسه. ج1. ص 713.

[3] – المحرر الوجيز. ابن عطية الأندلسي. مطبوعات وزارة الأوقاف: قطر. ج1. ص 222.

[4] – فتح القدير. الشّوكاني. ج1. ص 197.

[5] – هو عبد الله بن بريدة بن الحصيب الأسلمي، أبو سهل: قاض من رجال الحديث، أصله من الكوفة، سكن البصرة وولي القضاء بمرو، فثبت فيه إلى أن توفي سنة 115هـ. ينظر: تهذيب التّهذيب. ج5. ص 98، 99. الأعلام. ج4. ص 74.

[6] – تفسير ابن أبي حاتم. ج8. ص 2604.

المثال الثّاني:

من الأمثلة كذلك على تعدد المنقول وعدم اتفاقه على المراد بالمبهم من الآية، قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ النّـــور: 6 – 9.

فالذي رمى زوجته في الآية مختلفٌ فيه، فقد وردت رواياتٌ صحيحة في أنّ الذي نزلت بشأنه هذه الآيات هو[1] "عويمر العجلاني"[2]، وبطريق صحيح آخر[3] أنّه "هلال بن أمية" حين قذف امرأته.

فنلاحظ أنّ الخلاف هنا واقع في تعيين مبهم الآية، وقد نقلت كتب التّفسير هاتين الرّوايتين، فمنهم من جمع بينهما وهناك من رجّح رواية هلال بن أمية، بينما آخرون رجّحوا رواية عويمر العجلاني.

ونرى أيضًا أنّ الاختلاف الحاصل في تعيين المبهم هو اختلاف من ناحية النّقل، كما أنّه اختلاف تضادّ، وهو أيضًا ليس له أثر في معنى الآية ومدلولها.

ومّما يصنّف أيضًا ضمن الاختلاف من جهة النّقل؛ الاختلافات الواردة عن الصّحابة والتّابعين في بيان بعض المبهمات (نظرًا لما توفّر لهم من قرائن لا توجد عند غيرهم) وهي بالنّسبة لهم أقوال مبنية على الرأي والاجتهاد، وأمّا بالنسبة إلينا فهي من قبيل التّفسير بالنّقل، وموقف جلّ المفسّرين من بعدهم — في حدود اطّلاعي- هو نقل هذه الاختلافات دون التّعليق عليها أحيانًا، أو نقلها والتّرجيح بينها أحيانًا أخرى، أو ذكر القول المختار لديهم دون ذكر بقية الأقوال.

---

[1] – وذلك فيما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه. كتاب تفسير القرآن. باب ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ ﴾. حديث رقم: 4745. ج3. ص 263.

[2] – هو عويمر بن أبي الأبيض العجلاني، صاحب اللّعان، وقال الطّبراني: "إنّه عويمر بن الحارث بن زيد بن جابر بن الجد بن عجلان"، وأبيض لقب لأحد آبائه. ينظر: أسد الغابة. ترجمة رقم: 4139. ج4. ص 304، 305. الإصابة. ترجمة رقم: 6144. ج7. ص 563، 564.

[3] – وذلك فيما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه. كتاب تفسير القرآن. باب ﴿ وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ ﴾ . حديث رقم: 4747. ج3. ص 264.

ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

المثال الأول:

قوله تعالى:﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ البقرة: 199.

لقد اختلف المفسّرون في تعيين مبهم الآية؛ أي مَنِ المعنيِّ بالإفاضة من حيث أفاض النّاس؟، ومَن النّاسُ الذين أمروا بالإفاضة من موضع إفاضتهم؟.

فالقول الأوّل أنّ المَعْنِيَّ بالإفاضة هي قريش ومن وَلَدَت، والنّاس الذين أمروا بالإفاضة من موضع إفاضتهم هم بقية العرب غير قريش، قال الطّبريّ: "﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ ﴾ قريشٌ ومن ولدته قريش الذين كانوا يُسَمَّوْن في الجاهلية الحُمْسَ، أُمروا في الإسلام أن يفيضوا من عرفات، وهي البقعة التي أفاض منها سائرُ النّاس غير الحُمْسِ، وذلك أنّ قريشًا ومن ولدته قريشٌ، كانوا يقولون لا نخرج من الحرم. فكانوا لا يشهدون موقف النّاس بعرفةَ معهم، فأمرهم الله بالوقوف معهم"[1].

ثمّ نَسب أبو جعفر وغيره هذا القول إلى عائشة، وابن عباس، وقتادة، وعروة، ومجاهد[2].

والقول الثّاني: أنّ المعنيَّ بالإفاضة المسلمون كلّهم، والنّاس الذين أمروا من موضع إفاضتهم هو إبراهيم الخليل عليه السّلام، قال أبو جعفر: "وقال آخرون: المخاطبون بقوله:﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ ﴾ المسلمون كلّهم، والمعنيَّ بقوله ﴿ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ من جمع، وبالنّاس إبراهيم خليل الرّحمان"[3]، ونسب هذا القول إلى الإمام الضّحاك[4].

---

[1] – جامع البيان. الطّبري. ج3. ص 524، 525.

[2] – ينظر: جامع البيان. الطّبري. ج3. ص 524 إلى 530. المحرر الوجيز. ابن عطية. ج1. ص 275. تفسير ابن كثير. ج1. ص 555، 556.

[3] – جامع البيان. الطّبري. ج3. ص 530.

[4] – ينظر: جامع البيان. الطّبري. ج3. ص 530. المحرر الوجيز. ابن عطية. ج1. ص 275. تفسير ابن كثير. ج1. ص 556.

والقول الثّالث: أنّ النّاس الذين أمروا أن يفيضوا من موضع إفاضتهم هو آدم عليه السّلام قاله الزّهري، وقد قرئ شذوذًا "النّاسي"، بإثبات الياء مرادًا به آدم عليه السّلام[1].

فهذا المثال يدلّ على ما قلناه سابقًا من وجوه:

أولها: ورود الاختلاف في تعيين مبهمات الآية.

وثانيها: أنّ الاختلاف له أثر في مدلول الآية.

وثالثها: أنّه اختلاف واقع بين الصّحابة والتّابعين.

المثال الثّاني:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ البقرة: 184.

في هذه الآية اختلف أهل التّفسير من التّابعين – فيما نقل لنا- في المراد بالأيام المعدودات في الآية، فقال بعضهم الأيّام المعدودات صوم ثلاثة أيّام من كلّ شهر وكان ذلك الذي فُرض على النّاس من الصّيام قبل أن يُفرض عليهم شهر رمضان، ونسب هذا القول إلى عطاء[2] حيث قال: "كان عليهم الصّيام ثلاثة أيّام من كلّ شهر- و لم يسمَّ الشهر- أيامًا معدودات، وكان هذا صيامَ النّاسِ قبل ذلك، ثمّ فرض الله عزّ وجلّ على النّاس شهر رمضان"[3].

والقول الثّاني أنّها الأيام الثلاثة التي كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يصومها من كلّ شهر، قال أبو جعفر: "وقال آخرون بل الأيّام التي كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يصومها قبل أن يفرض شهر رمضان، كان تطوّعًا صومهنّ"[4] ثمّ ساق بسند له الآثار التي تدلّ على ذلك مثل ما

---

[1] – ينظر: المحرر الوجيز. ابن عطية. تحقيق: عبد السلام عبد الشافعي محمد. ج1. ص 276. زاد المسير في علم التّفسير. لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي. المكتب الإسلامي: بيروت، دمشق. ط3، 1404هـ، 1984م. ج1. ص314.

[2] – عطاء بن أسلم بن صفوان، ابن أبي رباح: تابعي من أجلاّء الفقهاء. كان عبدًا أسود، ولد في جند باليمن، ونشأ بمكة فكان مفتي أهلها ومحدثهم توفي بمكة سنة 114هـ. ينظر: حلية الأولياء. ترجمة رقم 244. ج3. ص 310 إلى 325. تذكرة الحفّاظ. ترجمة رقم: 90. ج1. ص 98. الأعلام. ج4. ص 235.

[3] – تفسير ابن أبي حاتم. ج1. ص 306.

[4] – جامع البيان. الطبري. ج3. ص 158، 159.

ذكره عن عمرو بن مرّة[1] قال: "حدثنا أصحابنا أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لمّا قدم عليهم، أمرهم بصيام ثلاثة أيّام من كلّ شهر تطوعا لا فريضة، قال: ثمّ أنزل صيام رمضان"[2].

والقول الثّالث أنّها أيّام شهر رمضان ونسب هذا القول إلى مقاتل بن حيّان[3] وغيره. وذلك فيما رواه ابن أبي حاتم في تفسيره عن مقاتل بن حيّان في قوله﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ يعني أيّام رمضان ثلاثين يومًا"[4].

فهذا المثال يدلّ على ما قلناه سابقًا من وجوه:

أوّلها: ورود الاختلاف بين المفسّرين في تعيين المبهم الوارد في الآية.

وثانيها: أنّ هذا المبهم معرفته تُعين على فهم مدلول الآية على عكس بقية الأمثلة.

وثالثها: الخلاف الواقع في تعيينه بين أئمة التّابعين.

وغيرها من الأمثلة التي اختلف فيها المفسّرون في تحديد المراد بها[5].

---

[1] – هو عمرو بن مرّة بن عبد الله بن طارق بن الحارث بن سلمة، أبو عبد الله الإمام الحافظ القدوة، أحد الأئمة الأعلام، قال البخاري عن علي بن المديني : له نحو مائتي حديث، وعن شعبة: عمرو بن مرّة كان أكثرهم علمًا، توفي سنة: 116هـ. ينظر: تهذيب الكمال. ترجمة رقم: 4448. ج 22. ص 232 إلى 240. سير أعلام النبلاء. ج5. ص 196 إلى 200.

[2] – جامع البيان. الطبري. ج3. ص 159.

[3] – هو مقاتل بن حيّان أبو بسطام النّبطي البلخي، عالم خراسان، قال يحيى بن معين: ثقة، وقال أبو داوود ليس به بأس، توفي سنة: 150هـ. ينظر: تذكرة الحفاظ. ترجمة رقم: 128. ج1. ص 174. سير أعلام النبلاء. ج6. ص 340، 341.

[4] – تفسير ابن أبي حاتم. ج1. ص 306.

[5] – من الأمثلة أيضًا التي اختلف المفسّرون في تعيين المبهم الوارد فيها؛ الآيات الآتية: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ ﴾ البقرة: 259، ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ هود: 17، ﴿ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ النمل: 40، ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ الصافات: 107، ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ الحاقة: 40، ﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾ التوبة: 61 ، ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ ﴾ يوسف:10، ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ الزمر: 33.

المطلب الثّاني: الاشتغال بالتّرجيح بين أقوال المفسّرين.

من بين الآثار التي ظهرت لي وترتبت على تعيين مبهمات القرآن: الاشتغال بالتّرجيح بين أقوال المفسّرين المختلفة في تفسير المبهم وبيان المراد به بحيث لا يمكن حمل الآية عليها جميعًا هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد تكون هذه الأقوال معارضة لنصوص صريحة من السّنة فيُبيَّنُ ذلك ويشرَحُونه ثمّ يردُّونه، وربّما اكتفى بعض المفسّرين بذكر القول المختار دون الرّد على الأقوال الأخرى المخالفة وبيان وجه الضّعف فيها.

كما يُدرَجُ في باب العملية الترجيحية التي أنتجها تعيينُ مبهمات القرآن؛ نقدُ وردُّ تلك الأقوال التي فسّرت بعض المبهمات بمعاني لا يدلّ عليها اللّفظ بأيّ نوع من أنواع الدّلالة، فهذه كلّها مردودة على قائليها، وقد قرّر هذا المعنى الباحث حسين الحربي مشير إلى ذلك ما نصّه: "كلّ تفسير خرج بمعاني كتاب الله عمّا تدلّ عليه ألفاظه وسياقه، و لم يدل اللّفظ على هذا المعنى بأيّ نوع من أنواع الدّلالة: مطابقة أو تضمنًّا، أو التزامًا، أو مفهوما موافقًا، أو مفهوما مخالفًا، فهو مردود على قائله؛ لأنّه إذا كان بهذه الصّفة كان ضربا من التّخرص، والقرمطة والتلاعب بكتاب الله تعالى الذي لا تقرّه لغة ولا يرضاه دين، ولا عقل، وليس من تفسير كلام الله في شيء..."[1].

وسوف أضرب لهذه القضية أمثلة، أعتمد فيها ترجيحات أئمة التّفسير، غير غافل عن أدلّتهم وحججهم أحيانًا، وهي كما يأتي:

المثال الأوّل:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: 184.

اختلف المفسّرون في المراد بالأيّام المعدودات على عدّة أقوال، ذكرها أبو جعفر الطّبري حيث قال: "فقال بعضهم الأيّام المعدودات صوم ثلاثة أيّام من كلّ شهر. وكان ذلك الذي فرض على النّاس من الصّيام قبل أن يفرض عليهم شهر رمضان" ثمّ سرَد الرّوايات من عنده في ذلك. والقول

[1] – قواعد التّرجيح عند المفسرين. حسين الحربي. ج2. ص7.

الثّاني فيما ذكره أيضًا فقال: "وقال آخرون بل الأيّام التي كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يصومها قبل أن يُفرض شهر رمضان، كان تطوّعًا صومهنّ"، ثمّ ساق الرّوايات من عنـــده في ذلك.

ثمّ رجّح رحمه الله تعالى أنّ المراد بها أيّام شهر رمضان فقال: "وأولى ذلك بالصّواب عندي قول من قال: عنى الله جلّ ثناؤه بقوله: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ أيّام شهر رمضان، وذلك أنّه لم يأت خبر تقوم به حجة بأنّ صومًا فرض على أهل الإسلام غير صومِ شهرِ رمضان، ثمّ نسخ بصوم شهر رمضان، وبأنّ الله تعالى قد بيّن في سياق الآية أنّ الصّيام الذي أوجبه علينا، هو صيام شهر رمضان دون غيره من الأوقات، بإبانته عن الأيّام التي أخبرنا أنّه كتب علينا صومها بقوله:﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ .فمن ادّعى أنّ صومًا كان قد لزم المسلمين فرضُه غيرَ صومِ شهرِ رمضان الذي هم على وجوب فرض صومه مجمعون، ثمّ نسخ ذلك، سئل البرهان على ذلك من خبر تقوم به حجة، إذ كان ذلك لا يعلم إلاّ بخبر يقطع العذر.

وإذا كان الأمر في ذلك على ما وصفنا للذي بيّنّا، فتأويل الآية: كتب عليكم أيّها المؤمنون الصّيام كما كتب على الذين من قبلكم، لعلكم تتقون، أيّامًا معدودات هنّ شهر رمضان"[1].

وجلّ المفسّرين ذهبوا إلى القول الذي رجّحه الإمام الطّبري؛ ومثل ما قاله الإمام القرطبي: "السادسة: قوله تعالى: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ أيّامًا مفعول ثانٍ بـــ: "كتب"، قاله الفرّاء، وقيل نصبٌ على الظرف لـــ: "كتب"، أي كتب عليكم الصّيام في أيّامٍ، والأيّام المعدودات: شهر رمضان، وهذا يدل خلاف ما روي عن معاذ، والله أعلم"[2].

و قال الإمام الألوسي: "...والمراد بهذه الأيّام إمّا رمضان واختار ذلك ابن عبّاس والحسن وأبو مسلم رضي الله تعالى عنه، وأكثر المحققين- وهو أحد قولي الشّافعي- فيكون الله سبحانه وتعالى قد أخبر أوّلاً أنّه كتب علينا الصّيام ثمّ بيّنه بقوله عزّ من قائل ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ﴾ ..."[3].

---

[1] – جامع البيان. الطّبري. ج3. ص 156 إلى 160.

[2] – الجامع لأحكام القرآن. القرطبي. ج3. ص 127.

[3] – روح المعاني. الألوسي. ج2. ص 57.

وقال المراغي: "﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ أي أيّامًا معينات بالعدد وهي أيّام رمضان"[1].

وقال الإمام ابن عاشور: "والمراد بالأيّام من قوله: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ شهر رمضان عند جمهور المفسّرين، وإنّما عبّر عن رمضان بأيّام وهي جمع قلة ووصف بمعدودات وهي جمع قلة أيضًا؛ تهوينا لأمره على المكلفين..."[2].

فالرّاجح عندهم في تفسير هذا المبهم هو أيّام شهر رمضان، والضّعيف المردود هو صوم ثلاثة أيّام من كلّ شهر أو الأيّام التي كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يصومها قبل أن يفرض شهر رمضان، ومنه فورود الأقوال المختلفة في تفسير الأيّام المعدودات في الآية دفع بجلّة من أئمة التّفسير إلى خوضِ غمار النّقد والتّرجيح بين هذه الأقوال.

المثال الثّاني:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ البقرة: 238.

لقد اختلف أهل التفسير في المراد بالصّلاة الوسطى في الآية إلى عدّة أقوال أُوجزها فيما يلي[3]:

- أنّها صلاة العصر ونُسب هذا القول إلى عليّ بن أبي طالب، وأبي هريرة وعائشة والحسن وغيرهم كثير.
- أنّها صلاة الظّهر وممّن نُسب له هذا القول زيد بن ثابت[4] وابن عمر.

---

[1] – تفسير المراغي. أحمد مصطفى المراغي. ج2. ص 72.

[2] – تفسير التّحرير والتّنوير. ابن عاشور. ج 2. ص 161.

[3] – ينظر: جامع البيان. أبو جعفر الطّبري. ج4. ص 342 إلى 375. تفسير ابن كثير. ج1. ص 645 إلى 654. الجامع لأحكام القرآن. القرطبي. ج4. ص 174 إلى 181. اللباب في علوم الكتاب. ابن عادل الدمشقي. ج4. ص 227 إلى 234.

[4] – هو زيد بن ثابت بن الضّحاك الأنصاري الخزرجي، أبو الخارجة: صحابي، من أكابرهم كان كاتب الوحي، ولد في المدينة ونشأ بمكّة، هاجر مع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وهو ابن 11سنة، تعلّم وتفقه في الدّين، فكان رأسًا بالمدينة في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض، وكان عمر يستخلفه على المدينة إذا سافر، وكان ابن عبّاس يأتيه إلى بيته للأخذ عنه ويقول له العلم يؤتى ولا يأتي، وهو الذي كتب القرآن في المصحف في عهد أبي بكر، ثمّ لعثمان حين جهز المصاحف إلى الأنصار. توفي سنة: 45هـ. ينظر: أسد الغابة. ترجمة رقم: 1824. ج2. 346 إلى 348. سير أعلام النبلاء. ج2. ص 426 إلى 441. الأعلام. ج3. ص 57.

– أنّها صلاة الفجر وممّن نُسب له هذا القول ابن عبّاس وجابر بن عبد الله، وعطاء وعكرمة ومجاهد، وغيرهم.

– أنّها صلاة المغرب، وممّن نُسب له هذا القول قبيصة بن ذؤيب[1].

وموقف أهل التّأويل من هذه الأقوال جميعًا هو إمّا الجمع أو التّرجيح بينها، وفي هذا الموضع أتكلم عن الجزء الثّاني من موقفهم وهو التّرجيح، فمنهم من رجّح أنّ المراد بالصّلاة الوسطى صلاة الصبح، وبعضهم رجّح صلاة العصر، وآخرون رجّحوا صلاة المغرب، لكن الذي مال إليه أكثر المفسرين — حسب اطّلاعي– بأنّ المراد بها صلاة العصر وذلك لصريح حديث النّبي صلّى الله عليه وسلّم في مواضع متعددة من كتب السّنة منها:

– ما روي عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوم الأحزاب: "شغلونا عن الصّلاة الوسطى صلاة العصر، ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارًا" ثمّ صلاّها بين العشاءين، بين المغرب والعشاء"[2].

– وما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال: حَبَسَ المشركون رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن صلاة العصر حتّى احمرَّتْ الشّمسُ أو اصفرَّتْ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: "شغلونا عن الصّلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله أجوافهم وقبورهم نارًا"، أو قال: "حشا الله أجوافهم وقبورهم نارًا"[3].

وإليك بعض أقوالهم في ذلك في ما يأتي:

قال أبو جعفر الطّبري بعد ذكره للأقوال الواردة في المراد بالصّلاة الوسطى: "...والصّواب من القول في ذلك ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم التي ذكرناها قبل في

---

[1] – هو قبيصة بن ذؤيب الخزاعي، صحابي، من الفقهاء الوجوه، في حياة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ثمّ كان على خاتم عبد الملك بن مروان بالشّـــام. توفي بدمشق سنة: 86هـــ. ينظر: تهذيب الكمال. ترجمة رقم: 4842. ج 23. ص 476 إلى 481. سير أعلام النبلاء. ج4. ص 282، 283. الأعلام. ج5. ص 189.

[2] – صحيح مسلم. كتاب المساجد ومواضع الصّلاة. باب الدليل لمن قال الصّلاة الوسطى هي صلاة العصر. حديث رقم: 203. ج1. ص 436.

[3] – المصدر نفسه. كتاب المساجد ومواضع الصّلاة. باب الدليل لمن قال الصّلاة الوسطى صلاة العصر. حديث رقم: 206. ج1. ص 437.

تأويله، وهو أنّها العصر، و الذي حثَّ الله تعالى ذكره عليه من ذلك نظير الذي رُوِيَ عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في الحثِّ عليه"[1].

قال ابن عطية في المحرر الوجيز: "وقالت فرقة: ﴿ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ صلاة العصر لأنّ قبلها صلاتا نهار وبعدها صلاتا ليل ....وعلى هذا القول جمهور النّاس، وبه أقوال والله أعلم"[2].

وقال ابن كثير بعد سرده لمعظم الأقوال الواردة في الآية: "وكلّ هذه الأقوال فيها ضعف بالنّسبة إلى التي قبلها، وإنّما المدار ومعترك النـــزاع في الصبح والعصر، وقد ثبتت السّنة بأنّها العصر، فتعيّن المصير إليها"[3].

فلمّا اضطربت أقوال المفسّرين في بيان المبهم (صلاة العصر) في هذه الآية، كان العمل على التّرجيح بينها أمرًا آكدًا أنتجه انشغالهم بتفسير المبهمات.

المثال الثّالث:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ الليل: 17– 21.

أجمع المفسّرون من أهل السّنة أنّ المراد بالأتقى في الآية هو أبو بكر الصّديق رضي الله عنه، لأنّ الآية نازلة فيه، وإليك بعض أقوالهم في ما يأتي:

قال ابن عطية في المحرر الوجيز: "و لم يختلف أهل التأويل في المراد بقوله تعالى﴿ ٱلْأَتْقَى ﴾ إلى آخر السّورة أبو بكر الصّديق، ثمّ هي تتناول كلّ من دخل في هذه الصّفات"[4].

قال الإمام ابن كثير عقب تفسيره للآية: " قوله:﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴾ أي سيزحزح عن النّار التقي النّقي الأتقى...وقد ذكر غير واحد من المفسّرين أنّ هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصّديق رضي الله عنه حتى إنّ بعضهم حكى الإجماع من المفسّرين على ذلك، ولا شكّ أنّه داخل فيها

---

[1] – جامع البيان. الطبري. ج4. ص 372.

[2] – المحرر الوجيز. ابن عطية الأندلسي. تحقيق: عبد السلام عبد الشافعي محمد. ج 1. ص 322، 323.

[3] – تفسير ابن كثير. ج1. ص 654.

[4] – المحرر الوجيز. ابن عطية الأندلسي. تحقيق: عبد السلام عبد الشافعي محمد. ج4. ص 492.

وأولى الآية بعمومها، فإنّ لفظها لفظ العموم، وهو قوله تعالى: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴾ ، ولكنّه مقدم الأمة وسابقهم في جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحميدة"[1].

وقال أبو السّعود : "والآيات نزلت في حق أبي بكر الصّديق رضي الله عنه حين اشترى بلالاً في جماعة كان يؤذيهم المشركون فأعتقهم..."[2].

وقال الإمام السّعدي: "وهذه الآية وإن كانت متناولة لأبي بكر الصّديق رضي الله عنه، بل قد قيل إنّها نزلت في سببه، فإنّه رضي الله عنه ما لأحد عنده من نعمة تجزى حتى ولا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، إلاّ نعمة الرّسول التي لا يمكن جزاؤها، وهي نعمة الدّعوة إلى دين الإسلام، وتعليم الهدى ودين الحقّ، فإنّ لله ورسوله المنّة على كلّ أحد، منّة لا يمكن لها جزاء ولا مقابلة، فإنّها متناولة لكلّ من اتصف بهذا الوصف الفاضل، فلم يبق لأحد عليه من الخلق نعمة تجزى، فبقيت أعماله خالصة لوجهه تعالى"[3].

وبعدما عرفنا المبهم في الآية وبعض أقوال أهل السنّة وحكايتهم الإجماع في ذلك، تبيّن أنّ الأقوال التي تضمّنتها التّفاسير المنحرفة – خاصة تفاسير الشّيعة- في بيان المبهم في الآية هي مردودة على أصحابها دون حاجة إلى ذكرها والرّدّ عليها لأنّ زيغَها وانحرافها واضح بيّن، هذا ما نلاحظه في صنيع المفسّرين، عدا الفخر الرّازي فقد ردّ عليهم بحجج عقلية ونقلية حيث قال: "أجمع المفسرون منّا على أنّ المراد منه أبو بكر رضي الله تعالى عنه، واعلم أنّ الشيعة بأسرهم ينكرون هذه الرّواية ويقولون أنّها نزلت في حق علي بن أبي طالب عليه السّلام والدّليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ فقوله: ﴿ ٱلْأَتْقَى ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴾ ،إشارة إلى ما في الآية من قوله:﴿ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ ولمّا ذكر ذلك بعضهم في محضري قلت: أقيمت الدّلالة العقلية على أنّ المراد من هذه الآية أبو بكر و تقريرها: إنّ المراد من هذا الأتقى هو أفضل الخلق، فإذا كان كذلك، وجب أن يكون المراد هو أبو بكر، فهاتان المقدمتان متى صحتا صحّ المقصود،

---

[1] – تفسير ابن كثير. ج 8. ص 422.

[2] – إرشاد العقل السليم. لأبي السّعود. ج5. ص 541.

[3] – تيسير الكريم الرّحمن. ناصر السعدي. ص 928.

إنّما قلنا إنّ المراد من هذا الأتقى هو أفضل الخلق لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ والأكرم هو الأفضل، فدل على أنّ كل من كان الأتقى وجب أن يكون أفضل، فإن قيل الآية دلت على أنّ كل من كان أكرم كان أتقى، وذلك لا يقتضي أنّ كل من كان أتقى كان أكرم، قلنا وصف كون الإنسان أتقى معلوم مشاهد، ووصف كونه أفضل غير معلوم ولا مشاهد، والإخبار عن المعلوم بغير المعلوم هو الطريق الحسن، أمّا عكسه فغير مفيد فتقدير الآية كأنّه وقعت الشبهة في أنّ الأكرم عند الله من هو؟ فقيل هو: الأتقى، وإذا كان كذلك كان التقدير أتقاكم أكرمكم عند الله، فثبت أنّ الأتقى المذكور ههنا لا بد وأن يكون أفضل الخلق عند الله، فنقول: لابد وأن يكون المراد به أبا بكر لأنّ الأمة مجمعة على أنّ أفضل الخلق على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، إمّا أبو بكر أو علي، ولا يمكن حمل هذه الآية على علي بن أبي طالب، فتعين حملها على أبي بكر، وإنّما قلنا لا يمكن حملها على علي بن أبي طالب لأنّه قال في صفة هذه الأتقى ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴾ وهذا الوصف لا يصدق على علي بن أبي طالب لأنّه كان في تربية النّبي صلى الله عليه وسلّم لأنّه أخذه من أبيه وكان يطعمه ويسقيه ويكسوه ويربيه، وكان الرسول منعمًا عليه نعمةً يجب جزاؤها، أمّا أبو بكر فلم يكن للنبي صلّى الله عليه وسلّم نعمة دنيوية، بل أبو بكر كان ينفق على الرسول عليه الصلاة والسّلام، بل كان للسور علية الصّلاة والسلام عليه نعمة الهداية والإرشاد إلى الدين، إلاّ هذا لا يجزى لقوله: ﴿ قُل مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾ والمذكور ههنا ليس مطلق النعمة بل هي نعمة تجزى، فعلمنا أنّ هذه الآية لا تصلح لعلي بن أبي طالب، وإذا ثبت أنّ المراد بهذه الآية من كان أفضل الخلق وثبت أنّ ذلك الأفضل من الأمة، إمّا أبو بكر أو علي، وثبت أنّ الآية غير صالحة لعلي، تعيّن حملها علي أبي بكر رضي الله عنه ..."[1].

وغيرها من الأمثلة التي لها نفس الأثر بسبب الاشتغال ببيان بعض مبهمات القرآن[2].

---

[1] – تفسير الفخر الرّازي. ج 31. ص 205، 206.

[2] – من الأمثلة أيضًا التي أدت بالمفسّرين إلى الخوض في العملية الترجيحية بسبب بيان مبهمات القرآن الآيات الآتية: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ﴾ الأعراف: 163، ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ البقرة: 31، ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ هود: 17.

المبحث الثّاني: التوسع في الأخذ عن أهل الكتاب والاستطراد في ذكر ما لا فائدة فيه.

المطلب الأوّل: التّوسع في الأخذ عن أهل الكتاب.

لقد سبق بيان المراد بالإسرائيليات وأسبابها وأقسامها والعلاقة بينها وبين علم المبهمات[1]، ومن أهم ما توصلت إليه أنّ الإسرائيليات تكشف بعض مبهمات القرآن الكريم وتبيّنها، وتوصّلت أيضًا أنّ من أسباب اعتماد المفسّرين على مصادر أهل الكتاب هو معرفة المبهمات الواردة في القرآن الكريم.

فانطلاقًا من هاتين النّتيجتين ندرك أنّ معرفة مبهمات القرآن لها أثرها البارز في شيوع الإسرائيليات في كتب التّفسير وانتشارها، وتفصيل ذلك؛ أنّ مبهمات القرآن غالبها يصنّف ضمن جزئيات الحوادث –خاصّة منها ما يتعلق بالأمم الغابرة– التي سكت عنها القرآن الكريم وجاءت مفصّلة لدى كتب أهل الكتاب، فنتج عن بيانها اعتماد المفسّرين على مصادرهم، قال الدكتور رمزي نعناعة مشيرًا إلى ذلك في حديثه عن أسباب الأخذ عن أهل الكتاب ما نصّه: "ولمّا كانت أهم الدّوافع للرّواية عن أهل الكتاب هي الرّغبة في معرفة ما طواه القرآن من جزئيات الحوادث التي عرض لها، وجاء عرضها بتفصيل أكثر في التّوراة والإنجيل"[2].

وقال أيضًا في موضع آخر أثناء حديثه عن تسرّب الإسرائيليات إلى كتب تفسير القرآن ما نصّه: "...فإنّه (أي القرآن الكريم) يقتصر على مواضع العظة ولا يتعرض لتفصيل جزئيات المسائل، فهو لا يذكر غالبًا، تاريخ الوقائع ولا أسماء البلدان التي حصلت فيها، ولا أسماء الأشخاص الذين جرت على يدهم بعض الحوادث، وإنّما يتخير ما يمسّ جوهر الموضوع، ويعرض عمّا لا فائدة لنا في العلم به ...فمثلاً قصّة آدم عليه السّلام فقد ورد ذكرها في القرآن الكريم كما ورد ذكرها في التّوراة، بيد أنّ القرآن الكريم لم يتعرض لمكان الجنّة ولا لنوع الشّجرة التي نهى آدم عن الأكل

---

[1] – ينظر: ص 84 إلى 88 من هذه المذكرة.

[2] – الإسرائيليات وأثرها في كتب التّفسير. رمزي نعناعة. ص 24.

منها، ولا لبيان الحيوان الذي تقمّصه الشيطان ليزّلهما، ولا ما كان من تفصيل الحوار بين الله تعالى وآدم، ولا للبقعة التي هبط إليها آدم بعد خروجه من الجنّة، ولكن التوراة تعرضت لكل ذلك وأكثر منه"[1].

و ممّا سبق ذكره فإنّ من هذه الجزئيات التي سكت عنها القرآن الكريم هي أسماء الأشخاص والأزمنة والأمكنة والأعداد والحيوانات والكواكب وغيرها ممّا يتعلق بمبهمات القرآن، قد تعرَّضَت بالتّفصيل لها كتب أهل الكتاب، **وقد نتج عن بيانها وفود كمّ هائل من روايات أهل الكتاب تناقلتها كتب التّفسير مسندة عن الصّحابة والتّابعين، أو قد تذكُرها من غير إسنادٍ إلى أيِّ أحد.**

وتوضيح هذا أكثر بالأمثلة التّطبيقية الآتية:

المثال الأوّل:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾ المائدة: 12.

المبهم في الآية هم أسماء النّقباء الاثني عشر، فقد حرص بعض المفسّرين على ذكر أسمائهم وهذا بالاعتماد على كتب أهل الكتاب، فقد قال أبو جعفر الطّبري بسند له إلى أبي إسحاق في بيان أسماء هؤلاء النّقباء ما نصّه: "...وهذه أسماء الرّهط الذين بعث الله من بني إسرائيل إلى أرض الشّام، فيما يذكر أهل التّوراة، ليَجُوسُوهَا لبني إسرائيلَ: من سبطِ رُوبيل: شامون بنُ رُوكونَ، ومن سبط شَمعُون: سافاطُ بنُ حُرى، ومن سبط يَهُوذَا: كالب بنُ يوفنَا، ومن سبط أبينَ: يجائِلُ بنُ يوسف، ومن سبط يوسف وهو سبطُ أفراييمَ: يُوشَعُ بنُ نُونٍ، ومن سبطِ بنيامين: فَلْطُ بنُ دَفُونَ، ومن سبطِ زبالونَ: حدى بن سُودى، ومن سبطِ يوسف وهو منشَّا بنُ يوسُفَ: حدِّي ين سوسا، ومن سبطِ دانٍ: حَمَلائل بنُ حملٍ، ومن سبطِ أشرَ: سابورُ بنُ ملكيل، ومن سبطِ نفتالي: بحرُ بن وفسي، ومن سبطِ دارٍ: حولايل بن منكدَ، فهذه أسماءُ الذين بعثهم موسى يتحسسون له في الأرض"[2].

---

[1] – المرجع السّابق. ص 111 ، 112.

[2] – جامع البيان. الطّبري. ج8. ص 240، 241.

فنرى الإمام الطّبري في هذا الموضع يصرّح بالاعتماد على أهل الكتاب في تفسير بعض المبهمات، وذلك في قوله: "فيما يذكر أهل التوراة".

وما وضّحه الإمام الطّبري من أسماء هؤلاء النقباء اعتمادًا على ما ذكره أهل التوراة قريبٌ منه صنيع الإمام القرطبي رحمه الله في بيان أسمائهم وتصريحه بالأخذ عنهم حيث قال: "...وأمّا أسماء نُقَبَاء بني إسرائيل؛ فقد ذكر أسماءهم محمّد بن الحبيب[1] في المُحبَّر، فقال: من سبط روبيل: شمّوع بن زكور، ومن سبط شمعون: شوقوط ابن حوري، ومن سبط يهوذا كالب بن يوقنّا، ومن سبط السّاحر: يغوولُ بنُ يوسف، ومن سبط أفراثيم بن يوسف: يوشع بن نون، ومن سبط بنيامين: يلطى بن روقو، ومن سبط ربـــالون: كرابيل بن سودا، ومن سبط منشا بن يوسف: كدى بن سوشا، ومن سبط دان: عمائيل بن كسل، ومن سبط شير: ستور بن مخائيل، ومن سبط نفتال: يوحـــنّا بن وقوشا، ومن سبط كاذ: كوال بن موخا"[2].

فمن هذا المثال يظهر أنّ الإمامين الطّبريّ والقرطبيّ قد بيّنا أسماء النّقباء معتمِدَين على ما ذكره أهل التّوراة، كما نلاحظ اختلاف المفسِّرَين في أسماء النّقباء الاثني عشر ممّا سبَبُه –فيما يبدو– الاختلاف بين أهل الكتاب المنقول عنهم.

المثال الثّاني:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ البقرة: 260.

[1] – هو محمد بن الحبيب عالم بالنّسب وأخبار العرب، مكثر من رواية اللّغة، موثّقًا في روايته، وحبيب اسم أمّه في أكثر الرّوايات، توفي سنة 245هـــ. ينظر: إنباه الرّواة على أنباه النّحاة. جمال الدّين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي. تحقيق: أبو الفضل إبراهيم. دار الفكر العربي: مصر، مؤسسة الكتب الثّقافية: بيروت. ط1، 1406هـــ، 1986م. ج3. ص 119، 120، 121.

[2] – الجامع لأحكام القرآن. القرطبي. ج7. ص 377، 378.

أنواع الطّير التي أمر الله عز وجلّ نبيّه إبراهيم عليه السّلام أن يذبحها مبهمة في هذه الآية، بيد أنّ روايات أهل الكتاب التي تناقلتها كتب التّفسير وضّحت هذه الأنواع وبيّنتها، كما جاء ذلك في أقاويل طائفة من المفسرين.

فقد قال الإمام الطّبري: "قال الله له: فخذ أربعة من الطّير، فذكر أنّ الأربعةَ من الطّيرِ: الدّيك والطّاووس، والغراب، والحمام"[1]، ثمّ ساق بعد ذلك عدّة أسانيد من عنده إلى أهل الكتاب تبيّن أنواع الطّير حيث قال: "حدّثنا ابنُ حُمَيدٍ، قال حدّثنا سلَمةُ، قال ثني محمّد بنُ إسحاقَ، عن بعض أهل العلم، أنّ أهل الكتاب الأُوَل يذكرون أنّه أخذ طاووسًا وديكًا، وغرابًا، وحمامًا.

حدّثني المُثنَّى، قال: ثنا أبو حذيفةَ، قال ثنا شبلٌ، عن أبي نجيحٍ عن مجاهدٍ قال: الأربعةُ من الطّيرِ الدّيك، والطاووس، والغرابُ، والحمامُ.

حدّثني يونس، قال أخبرنا ابنُ وهب، قال: قال ابنُ زيدٍ ﴿ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ ﴾ قال فأخذ طاووسًا، وحمامةً، وغرابًا، وديكًا"[2].

وروى ابن أبي حاتم في بيانه لهذه الطّير بسند له إلى مجاهد في قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ ﴾ قال حمامة، وديك، وطاووس، وغراب.

وروى عن عكرمة مثل ذلك.

وروى بسند له إلى ابن عباس في قوله ﴿ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ ﴾، والطّير الذي أخذ : وز ، ورال[3]، وديك وطاووس.

---

[1] – جامع البيان. أبو جعفر الطّبري. ج4. ص 633.

[2] – المصدر نفسه. ج4. ص 634.

[3] – الرّئال جمع رأل وهو فرخ النّعام. ينظر: لسان العرب. ابن منظور. ج20. ص 1897.

وروى أيضًا بسندٍ له إلى ابن عباس أنّه قال: الغرنوق[1] والطّاووس والدّيك والحمام. قال أبو محمّد الغرنوق: الكركي"[2]. وقال ابن عطية الأندلسي في بيان هذه الطّير: "وروي أنّ الأربعة التي أخذ إبراهيم هي الدّيك والطّاووس والحمام والغراب، ذكر ذلك ابن إسحاق عن أهل العلم الأُوَل، وقاله مجاهد وابن جريج، وابن زيد، وقال ابن عباس مكان الغراب الكُركي"[3].

وقال الثّعالبي: "...واختلفوا في ذلك الطّير ما هي؛ فقال ابن عباس: أخذ طاووسًا ونسرًا، وغرابًا وديكًا. وعن مجاهد وعطاء ابن يسار وابن جريج وابن زيد: كانت غرابًا وديكًا وطاووسًا وحمامة.

وعن سعيد بن أيوب عن سعيد بن الحرث الغراب، وعن أبي هريرة السّناني: أنّها الطّاووس، والدّيك، والغراب والحمامة"[4].

فبناءً على ما تمّ ذكره من كلام لأهل التّفسير في المراد بأنواع الطّير التي أُمر إبراهيم عليه السّلام بذبحها، نلاحظ اعتمادهم على مصادر أهل الكتاب في بيانها ونقل الخلاف فيها.

المثال الثّالث:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ يوسف: 43.

تحدث أئمة التّفسير عن الاسم المبهم في الآية؛ أي اسم الملك، وكشفوا عنه اعتمادًا على مصادر أهل الكتاب، فقد قال الإمام القرطبيّ عقب تفسيره لهذه الآية: "...وذلك أنّ الملك الأكبر

---

[1] – الغرنُوقُ والغُرنيْقُ، بضمِّ الغين وفتح النون: طائر أبيض وقيل هو طائر أسود من طير الماء طويل العُنقِ. ينظر: لسان العرب. ابن منظور. ج 37. ص 3249.

[2] – تفسير ابن أبي حاتم. ج2. ص 510، 511.

[3] – المحرر الوجيز. ابن عطية الأندلسي. مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: قطر. ج2. ص 52، 53.

[4] – الكشف والبيان. لأبي إسحاق أحمد المعروف بالثّعلبي. دراسة وتحقيق: أبو محمّد بن عاشور. مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي. دار إحياء التّراث العربي: بيروت. ط1، 1422هـ، 2002م. ج2. ص 253.

الرّيان بن الوليد رأى في نومه كأنّما خرج من نهرٍ يابس..."[1].

وقال ابن جزي: "﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ﴾ هو ملك مصر الذي كان العزيز خادمًا له واسمه ريّان بن الوليد، وقيل مصعب بن الرّيان، وكان من الفراعنة، وقيل إنّه فرعون موسى عمّر أربعمائة سنة حتّى أدركه موسى وهذا بعيد"[2].

وقال الإمام السّيوطي: "أخرج ابن إسحاق، وابن أبي حاتم عن مجاهد قال: قال يوسف عليه السّلام للسّاقي ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾ أي الملك الأعظم، ومظلمتي وحبسي في غير شيء، قال أفعل. فلمّا خرج السّاقي ردّ ما كان عليه، ورضي عنه صاحبه، وأنساه الشّيطان ذكر الملك، الذي أمره يوسف عليه السّلام أن يذكره له، فلبث يوسف عليه السّلام بعد ذلك في السّجن بضع سنين، ثمّ إنّ الملك ريّان بن الوليد، رأى رؤياه التي أُرِيَ فيها، فهالته وعرف أنّها رؤيا واقعة، و لم يدرِ ما تأويلها ..."[3].

وقال الإمام الشّوكاني: "المراد بالملك هنا: هو الملك الأكبر، وهو الرّيان بن الوليد الذي كان العزيز وزيرًا له..."[4].

فقد ظهر في هذا المثال أنّ المفسّرين أثناء تفسيرهم لهذه الآية بيّنوا اسم الملك المذكور فيها، وسندهم في ذلك روايات أهل الكتاب حتى وإن لم يصرّحوا بها، لكنّهم نقلوا عن كتب السّير التي هي بدورها أخذت عن أهل الكتاب تفاصيل القصّة منها اسم الملك، كما نلاحظ أيضًا على هذا المثال شبه اتفاق بين المفسّرين على اسم هذا الملك الذي هو الرّيان بن الوليد.

---

[1] – الجامع لأحكام القرآن. القرطبي. ج11. ص 359.

[2] – التّسهيل لعلوم التّنزيل. ابن جزي الكلبي. ج1. ص 417.

[3] – الدّر المأثور في التّفسير بالمأثور. جلال الدّين السّيوطي. تحقيق: عبد الله عبد المحسن التّركي. ط1، 1424هـ، 2003م. ج8. ص 263.

[4] – فتح القدير. محمّد بن علي الشّوكاني. ج3. ص 42.

المثال الرّابع:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ البقرة: 259.

القرية التي مرّ بها هذا الرّجل مبهمة، لم يبيّنها القرآن الكريم ولا سّنة النّبي صلّى الله عليه وسلّم، ولكن مصادر أهل الكتاب وضحتها على اختلاف فيما بينها، وأهل التّفسير نقلوها عنهم في كتبهم.

فقد قال الإمام الطّبري: "اختلف أهل التأويل في القرية التي مرّ عليها القائل: ﴿ قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ .فقال بعضهم هي بيت المقدس.

وروى عدة أسانيد من عنده تؤكد ذلك منها:

روى بسنده عن عبد الصّمد بنِ مَعْقِل أنّه سمع وهب بن منبّه، قال لّما رأى إرميا هدم بيتِ المقدس كالجبل العظيم ، قال: ﴿ قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾. وروى أيضًا بسنده عن عكرمة في قوله ﴿ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ ﴾قال: القرية بيت المقدس مرّ بها عزيرٌ بعد إذْ خربها بُخْتُنَصَّر.

وقال آخرون: بل هي القرية التي كان الله أهلك فيها الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوفٌ حذر الموت، فقال لهم الله موتوا . ثمّ ساق بسندٍ له إلى ابن وهب أنّه قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾ قال: قرية كان نزل به الطّاعون ...ومرّ بها رجل وهي عظامٌ تلوحُ فوقف ينظرُ، فقال: ﴿ قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ﴾ إلى قوله: ﴿ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾"[1].

وساق ابن أبي حاتم بسندٍ له عن قتادة في قول الله تعالى: ﴿ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ ﴾ قال: كنّا نحدث أنّه عُزَيْر أتى على بيت المقدس بعدما خربها بختنصَّر البابلي"[2].

---

[1] – جامع البيان. الطّبري. ج4. ص 582، 583، 584.

[2] – تفسير ابن أبي حاتم. ج2. ص 500.

فمن خلال هذه الأمثلة وغيرها[1] يتضح لنا جليًّا ما قررناه سابقًا أنّ من آثار تعيين المبهمات وفود كثيرٍ من الإسرائيليات على كتب التّفسير، إلاّ أنّ اللاّفت للانتباه أنّ غالب المفسّرين لا يصرّحون بنسبة تلك الأقوال إلى أهل الكتاب، ولعلّ السّر في ذلك -والله أعلم- هو وثوقهم بأنّ مثل هذه المعلومات والأخبار لا يرد إلاّ من جهتهم.

[1] – من الأمثلة أيضًا التي لها نفس الأثر الآيات الآتية: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ ﴾ المائدة: 23، ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ ﴾ هود: 42، ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾هود: 78، ﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ ﴾ يوسف: 58، ﴿ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ﴾ يوسف: 30، ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ﴾ يوسف: 36، ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا ﴾ الكهف: 74، ﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ ﴾ النمل: 48، ﴿ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ النحل: 16، ﴿ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ ﴾ النمل: 20.

المطلب الثّاني: الاستطراد في ذكر ما لا فائدة فيه.

من بين الآثار التّفسيرية التي ترتبت على تعيين مبهمات القرآن هو استطراد طائفة من المفسّرين في ذكر ما لا فائدة فيه، والمعنى أنّهم يذكرون أمورًا هي من قبيل التّطويل الذي لا فائدة من معرفته ولا ثمرة في إدراكه خاصّة فيما يتعلق ببيان أسماء الحيوانات المذكورة في القرآن وصفاتها، قال ابن عثيمين مشيرًا إلى ذلك أثناء شرحه لمقدمة التّفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية ما نصّه: "...وقوله: ﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا ﴾ الكهف: 22، فسّره المؤلف[1] رحمه الله بأنّ المعنى لا تجزئ نفسك في التّعمق والجدال في عدهم لأنّه لا طائل تحته، ...ومثال ذلك الاختلاف في عصا موسى من أيّ شجرة كانت، وكذلك الاختلاف في الجزء الذي ضربوا به الميّت القتيل، كلّ هذا لا طائل تحته ولا فائدة لنا"[2].

وإليك بعض الأمثلة التّطبيقية التي تؤكّد ذلك:

المثال الأوّل:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ البقرة: 35.

هناك طائفة من المفسّرين لمـــّا فسّروا هذه الآية تعرضوا لبيان نوع الشّجرة التي نُهيَ آدم عليه السّلام وزوجه من الاقتراب منها، ومن أجل ذلك كان اشتغالهم بتعيين مبهمات القرآن الكريم دافعًا على اهتمامهم بأمورٍ لا فائدة من بيانها.

فنجد الإمام الطّبري ذكر عدّة روايات في بيان نوع الشّجرة: "ثمّ اختلف أهل التّأويل في عين الشّجرة التي نُهيَ عن أكل ثمرها آدم عليه السّلام؛ فقال بعضهم هي: السُّنبلة، وقال آخرون هي الكرمة، وقال آخرون هي التينة"[3]. ثمّ ساق الرّوايات في ذلك.

---

[1] – يقصد شيخ الإسلام ابن تيمية.

[2] – شرح مقدمة التّـــفسير شيخ الإسلام ابن تيمية. محمّد بن صالح العثيمين. إعداد وتقديم: عبد الله بن محمّد بن أحمد الطّيار. دار الوطن: الرّياض. ط1، 1415هـــ، 1995م. ص 136، 137.

[3] – جامع البيان. الطّبري. ج1. ص من 551 إلى 556.

وقال الثعلبي: "...وقال عليّ: هي شجرة الكافور، وقال قتادة هي شجرة العلم وفيها من كلّ شيء، وقال محمّد بن كعب ومقاتل: هي السّنبلة، أبو روق عن الضّحاك هي شجرة التّين"[1].

وقال الإمام الألوسي: "...ووقع الخلاف في هذه الشّجرة فقيل الحنطة: وقيل: النّخلة، وقيل: شجرة الكافور –ونسب إلى عليٍّ كرّم الله وجهه–، وقيل التّين، وقيل: الحنظل، وقيل شجرة المحبة، وقيل شجرة الطبيعة والهوى والأولى عدم القطع والتّعيين، ولا أرى ثمرة في تعيين هذه الشّجرة" [2].

وقال الإمام ابن عاشور: "...والإشارة (بهذه) إلى شجرة مرئية لآدم وزوجه والمراد شجرة من نوعها أو كانت شجرة وحيدة في الجنّة. وقد اختلف أهل القصص في تعيين نوع هذه الشّجرة فعن علي وابن مسعود وسعيد بن جبير والسّدي أنّها الكرمة، وعن ابن عباس والحسن وجمهور المفسّرين أنّها الحنطة، وعن قتادة وابن جريج ونسبه ابن جريج إلى جمع من الصّحابة أنّها شجرة التّين"[3].

فمن خلال هذا المثال ندرك أنّ من أثر تعيين المبهمات هو استطراد المفسّرين في ذكر أمور لا فائدة منها، حيث أنّهم تعرضوا لبيان نوع الشّجرة التي أكل منها آدم عليه السّلام ونَقْل الاختلاف الوارد في تعيينها وكلّ هذا من التّطويل الذي لا فائدة فيه، ولهذا وجدنا الإمام الطّبري يصرّح بعدم الفائدة في تعيين نوع الشّجرة، فقال معلّقًا على الأقوال التي ساقها: "فالصّواب في ذلك أن يقال إنّ الله تعالى ذكره نهى آدم عليه السّلام وزوجته عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنّة دون سائر أشجارها، فخالف إلى ما نهاهما الله عنه، فأكلا منها كما وصفهما الله به، ولا علم عندنا بأيّ ذلك من أيّ، وقد قيل كانت شجرة البرّ و قيل كان شجرة العنب وقيل كانت شجرة التّين، وجائز أن تكون واحدة منها، وذلك علم إذا علم لم ينفع العالم به علمه، وإن جهله جاهل لم يضرّه جهله به"[4] [5].

---

[1] – الكشف والبيان. الثّعلبي. ج1. ص 182.

[2] – روح المعاني. الألوسي. ج1. ص 234، 235.

[3] – تفسير التّحرير والتّنوير. ابن عاشور. ج2. ص 432.

[4] – جامع البيان. الطّبري. ج1. ص 556، 557.

[5] – هناك من كتَب في علم المبهمات و ذكر قول الإمام الطّبري هذا للدّلالة على أنّ علم المبهمات ليست له أيّة فائدة تذكر؛ صحيح يوجد نوع من علم المبهمات ليست له كبير فائدة ،لكن هناك أنواع أخرى لها فوائد كما سبق وأن بيّنا ذلك، وهذا ما=

المثال الثّاني:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ الكهف: 18.

تعددت آراء المفسّرين في بيان ماهية الكلب واسمه ولونه الذي كان مع الفتية، فابن أبي حاتم ذكر روايات عدة في بيان اسمه ولونه فقال: "عن مجاهد في قوله ﴿وَكَلْبُهُم ﴾قال: اسم كلبهم قطمور، وعن الحسن قال: اسم كلب أصحاب الكهف، قطمير.

وعن ابن جريج قال: قلت لرجل من أهل العلم: زعموا أنّ كلبهم كان أسدًا، قال: لعمر الله ما كان أسدًا، ولكنّه كان كلبًا أحمر خرجوا به من بيوتهم يقال له قطمور.

ومن طريق سفيان قال: قال رجل بالكوفة يقال له: عبيد وكان لا يتهم بالكذب. قال: رأيت كلب أصحاب الكهف أحمر كأنّه انبجاني"[1].

فنلاحظ على كلام ابن أبي حاتم استطراده في ذكر أقوال لا فائدة منها مثل اسم هذا الكلب ولونه وغير ذلك ممّا لا يتعلق به.

وقال ابن عادل الدمشقي: "... وأكثر المفسّرين على أنّ الكلب كان من جنس الكلاب. وروي عن ابن جريج: أنّه كان أسدًا، وسمي الأسد كلبًا، فإنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم دعا على عتبة بن أبي لهب، فقال: "اللّهم سلّط عليه كلبًا من كلابك"[2]، فافترسه الأسد.

=يؤكّد لنا صنيع الإمام الطّبري فقد ذكر هذا الكلام تحت أنواع المبهمات التي ليس لها كبير فائدة مثل في هذا الموضع من اسم الشّجرة أو في مواضع أخرى تشبه هذا الموضع من اسم الكلب أو نوع الطّعام الذي نزلت به مائدة السّماء أو عدد الدراهم التي شُرِيَ بها يوسف عليه السّلام أو غير ذلك، لكن لم أجد الإمام الطّبري–حسب اطّلاعي– ذكر هذا الكلام في الأنواع الأخرى من علم المبهمات. والله أعلم.

[1] – تفسير ابن أبي حاتم. ج7. ص 2352.

[2] – أخرجه الإمام البيهقي في سننه الكبرى ونسبه إلى أبي عبيد، فقال: "قد يجوز في الكلام أن يقال في السّبع كلب ألا ترى أنّهم يروون في المغازي أنّ عتبة بن أبي لهب كان شديد الأذى للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقال: "اللّهم سلّط عليه كلبًا من كلابك"، فخرج عتبة إلى الشام مع أصحابه فنزل منزلاً فطرقهم الأسد فتخطّى إليه من بين أصحابه فقتله فصار الأسد ههنا قد لزمه اسم الكلب ..." وعقب المحقق على هذا الأثر بكلام لابن التركماني فقال: "سكت عنه البيهقي موافقًا لأبي عبيد، وذُكر عن ابن الصّلاح أنّه قال: قوله عتبة ممّا يغلط فيه، وهذه القضية لعتيبة أخي عتبة، ذكر ذلك أهل المعرفة بالنّسب والمغازي. وأمّا=

وقال ابن عباس: "كان كلبًا أغر واسمه قطمير، وعن عليّ اسمه ريّان، وقال الأوزاعي: يشور، وقال السّدي: يور، وقال كعب: صهبًا. وقال مقاتل: كان كلبًا أصفر، وقال الكلبيّ: لونه كالحليج، وقيل غير ذلك"[1].

وقال الإمام القرطبي: "...أكثر المفسّرين على أنّه كلب حقيقة، وكان لصيد أحدهم أو لزرعه أو غنمه، على ما قال مقاتل. واختُلف في لونه اختلافًا كثيرًا، ذكره الثّعلبي. تحصيله: أيَّ لونٍ ذكرت أصبت، حتى قيل لون الحجر، وقيل لون السّماء. واختلف أيضًا في اسمه، فعن عليٍّ ريّان. ابن عباس: قطمير، الأوزاعي: مشير. عبد الله بن سلام: بسيط. كعب: صهيًا. وهب نقيا. وقيل قطمير ذكره الثعلبي"[2].

وقال الإمام الألوسي: "الظاهر أنّه الحيوان المعروف بالنّباح، وله أسماء كثيرة أفرد لها الجلال السّيوطي رسالة،...واختلف في لونه فأخرج ابن أبي حاتم من طريق سفيان قال:قال لي رجل بالكوفة يقال له عبيد وكان لا يتهم بالكذب، رأيت كلب أصحاب الكهف أحمر كأنّه كساء انبجاني، وأخرج عن كثير النواء قال: كان الكلب أصفر، وقيل كان أنمر وروي ذلك عن ابن عباس، وقيل غير ذلك، وفي اسمه فأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن أنّه قطمير، وأخرج عن مجاهد أنّه قطمورا، وقيل ريّان، و قيل ثور، وقيل غير ذلك. وهو في الكبر على ما روي عن ابن عباس فوق القلطي ودون الكردي، وأخرج ابن أبي حاتم عن عبيد أنّه قال: رأيته صغيرًا زينيًّا، قال الجلال السّيوطي: يعني صينيًّا...وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج أنّه قال: قلت لرجل من أهل

=عتبة فإنّه بقي حتى أسلم يوم الفتح، وهو مذكور في كتب الصّحابة رضي الله عنهم. ولم يرد ما عقر من السّباع وإنّما أراد الكلب المعروف المراد بقوله عليه الصّلاة والسّلام: "إذا ولغ الكلب" من اقتنى كلبًا لأنّ إطلاق اسم الكلب على هذا حقيقة، وهو المراد بالإجماع، و إطلاقه على ما عقر من السّباع ليس بطريق الحقيقة، فلو أريد الآخر لكان جمعًا بين المعنيين بلفظ واحد...". ينظر: السنن الكبرى.لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي. تحقيق: محمّد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية: بيروت. ط3، 1424هـ، 2003م. كتاب الحج. باب ما للمحرم قتله من دواب البحر في الحل والحرم. ج5. ص 346.

[1] – اللباب في علوم الكتاب. لأبي حفص عمر بن عليّ بن عادل الدّمشقي الحنبليّ. تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض. دار الكتب العلمية: بيروت. ط1، 1419هـ، 1998م. ج12. ص 445، 446.

[2] – الجامع لأحكام القرآن. القرطبي. ج 13. ص 230.

العلم زعموا أنّ كلبهم كان أسدًا، فقال: لعمر الله ما كان أسدًا ولكنّه كان كلبًا أحمر خرجوا به من بيوتهم يقال له قطمور"[1].

فالشّاهد أنّ المفسّرين أثناء تفسيرهم لهذه الآية استطردوا إلى بيان أمور لا فائدة من ذكرها، سببها الاشتغال بهذا المبهم وهو الكلب فذكروا ما يتعلّق باسمه ولونه وحجمه واختلاف المفسّرين في ذلك فهذه الأمور لا فائدة منها، كما قال علامة الشّام جمال الدّين القاسمي: "واختلفوا في لونه على أقوال لا حاصل لها و لا طائل تحتها، ولا دليل عليها ولا حاجة إليها، بل هي ممّا نُهيَ عنه فإنّ مستندها رجم بالغيب"[2].

المثال الثّالث:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ النمل: 18.

بعض المفسّرين لمّا فسّروا هذه الآية تعرضوا لاسم النّملة وبعض صفاتها، فابن أبي حاتم ذكر عدة روايات –بأسانيد من عنده– في ذلك فقال: " ...عن الشّعبي: النّملة التي فقه سليمان كلامها ذات جناحين.

وعن الشعبي كذلك قال: النّملة من الطّير ولولا ذلك لم يعرف سليمان ما تقول ذلك.

وعن نوف الحريري قال: كان نمل سليمان مثل أمثال الذياب"[3].

وقال الإمام البغوي: "قال نوف الحميري: كان نمل ذلك الوادي أمثال الذباب. وقيل كالبخاتي[4].

والمشهور أنّه النمل الصّغير. وقال الشّعبي: كانت تلك النّملة ذات جناحين وقيل كانت نملة

---

[1] – روح المعاني. الألوسي. ج15. ص 225، 226.

[2] – محاسن التأويل. محمّد جمال الدّين القاسمي. ج11. ص 4032.

[3] – تفسير ابن أبي حاتم. ج 9، ص 2857، 2858.

[4] – بخاتي جمع مفرد بخت، قال ابن منظور: البُخْتُ والبُخْتِيَةُ: دخيلٌ في العربية، أعجميٌّ معرب، وهي الإبلُ الخُراسانيَّةُ، تنتج من بين عربيّةٍ وفالجٍ، وبعضهم يقول: إنّ البُخت عربيٌّ وينشد لابن قيس الرُّقيّات: لبنُ البُخْتِ في قصاع الخَلَنْجِ". ينظر: لسان العرب. ابن منظور. مادة: بُخت. ج1. ص 219.

عرجاء ...وقال الضّحاك: كان اسم تلك النّملة طاحية، قال مقاتل كان اسمها جرمى"[1].

وقال عزّ الدين الرّسْعني عقب تفسيره لهذه الآية: "واختلفوا في صفة النّملة فقيل: كانت لهيئة النّعجة، وقيل كانت صغيرة، وظاهر القرآن يدل على أنّها كانت أنثى.

ويروى: أنّ قتادة دخل الكوفة فالتّف عليه النّاس فقال: سلوا عمّا شئتم، وكان أبو حنيفة حاضرًا –وهو غلامٌ حَدَثٌ–، فقال سلوه عن نملة سليمان أكانت ذكرًا أم أنثى، فسلوه فلم يُحِرْ جوابًا، فقال أبو حنيفة كانت أنثى، فقيل له من أين عرفت ذلك؟ فقال من كتاب الله وهو قوله: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ﴾، ولو كان ذكرًا لقال: قال نملة[2]، وذلك أنّ النّملة مثل الحمامة والشّاة في وقوعها على الذكر والأنثى، فيميز بينهما بعلامة، نحو قولهم: حمامة ذكر وحمامة أنثى، وهو وهي"[3].

وقال ابن كثير: "أورد ابن عساكر من طريق إسحاق بن بشر، عن سعيد، عن قتادة، عن الحسن، أنّ اسم هذه النّملة حرس، وأنّها من قبيلة يقال لهم: بنو الشيصان، وأنّها كانت عرجاء، وكانت بقدر الذيب"[4].

وقال الإمام النسفي: "عرجاء تسمى طاخية، أو منذرة..."[5]

---

[1] – معالم التّنزيل. البغوي. ج6. ص 151.

[2] – قال أبو حيان الأندلسي: "و لُــحُوق التاء في (قالت) لا يدلّ على أنّ النّملة مؤنث بل يصّح أن يقال في المذكر (قالت نملة) لأنّ النّملة وإن كان بالتاء فهو ممّا لا يتميّز فيه المذكر من المؤنث، وما كان كذلك كالنّملة والقملة ممّا بَينَه في الجمع وبين واحده من الحيوان تاء التّأنيث فإنّه يخبر عنه إخبار المؤنث، ولا يدلّ كونه يخبر عنه إخبار المؤنث على أنّه ذكر أو أنثى، لأنّ التّاء دخلت فيه للفرق لا دالّة على التّأنيث الحقيقي، بل دالّة على الواحد من هذا الجنس". ينظر: البحر المحيط. لأبي حيان الأندلسي. ج7. ص 59.

[3] – رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز. عزّ الدّين عبد الرزّاق بن رزق الله الرسْعني الحنبلي. دراسة وتحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهَيش. مكتبة الأسدي: مكّة المكرّمة. ط1، 1429هــ، 2008م. ج5. ص 447.

[4] – تفسير ابن كثير. ج6. ص 183.

[5] – مدارك التّنــزيل وحقائق التأويل. لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النّسفي. تحقيق: سيّد زكريا. مكتبة نزار مصطفى الباز. ج3. ص 834.

فنلاحظ أنّ من أثر تعيين المبهم هو ذكرهم لأمور لا طائل في البحث عنها تمثلت في اسم هذه النّملة وصفاتها وهل هي ذكر أم أنثى.

وغيرها من الأمثلة التي لها نفس الأثر[1].

[1] – من الأمثلة أيضًا التي لها نفس الأثر ما يلي: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ النمل:82، ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾ الأحقاف:29، ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ الفتح: 18، ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ النجم:1، ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ ﴾ فصلت: 16.

المبحث الثالث: العناية بذكر أسباب النّزول والوقوف على مناقب المبهمين أو مثالبهم.

المطلب الأوّل: العناية بذكر أسباب النّزول.

لقد حاولتُ في مبحث سابق[1] إبرازَ العلاقة بين علم أسباب النّزول وعلم المبهمات، وذكرتُ هناك أنّ أسباب النّزول تكشِف عن بعض مبهمات القرآن الكريم وتبيّنها، وعليه؛ فإنّ الناظر في كتب التفسير يظهر له إدراك المفسرين لحقيقة هذه العلاقة وفقهها، مما دفعهم إلى العناية بأسباب النّزول عناية بالغة أثناء بحثهم في مجال المبهمات؛ باعتبار أسباب النزول- في جهة من جهات هذه العلاقة- مصدرًا من مصادر المبهمات، **وهذا ما يظهر بجلاء في أعمال عدد من المفسّرين، فإنّ حرصهم على بيان جملة من مبهمات القرآن جعلهم يذكرون كلّ أو بعض أسباب نزول الآية؛ ليبيّنوا – اعتمادا على ذلك وفي ضوئها- اسم المبهم فيها، مع شرحٍ لتفاصيل الواقعة أو الحادثة تارة، وإغفالِ ذلك تارة أخرى.**

وقد رأيت المفسرين في ذِكر هذه الأسباب على صنفين: صنف يذكرها ويتبع ذلك ببيان صحتها أو ضعفها، وصنف يذكرها دون بيان ذلك.

وهذا ما أردت بيانه أكثر من خلال أمثلة جمعتها[2]، هي كالآتي:

---

[1] – في المبحث الثاني من الفصل الثاني، ينظر ص 70، 71 من هذه المذكرة.

[2] – كما أنّني لا أناقش هنا أقوال العلماء، ولا أبحث في درجة الرّوايات من ناحية الصّحة أو الضعف، وإنّما أكتفي بذكرها، لتوكيد حرص المفسّرين على بيان المبهم في الآية وتعيينه – حتى وإن لم يكن له أثر في معنى الآية-، وهذا لا أظنُّ سَبَبَهُ – والله أعلم- الاهتمامُ بعلم أسباب النّزول في حدّ ذاته وإنّما جاء بسبب حرص المفسّرين على بيان المخاطب بالآية أو الآيات النازلة فيه، ومن الأدلة على ذلك أنّهم أحيانًا يذكرون أسماء من نزلت فيهم الآيات دون ذكر أحداث وتفاصيل الوقائع.

المثال الأوّل:

قوله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ البقرة: 109.

تعرّض المفسّرون لبيان اسم الذي وَدّ من أهل الكتاب في هذه الآية؛ وجلّ ما ذكروه من روايات أنّه حيي بن أخطب[1]، وأبو ياسر بن أخطب[2]، وآخرون قالوا أنّه كعب بن الأشرف، وهناك من قال أنّه فنحاص ابن عازوراء[3]، وزيد بن قيس[4]، فقد قال الإمام الطّبري في هذا الشأن: "...إنّما هو خطاب منه للمؤمنين من أصحابه، ونهي عن انتصاح اليهود ونظرائهم من أهل الشّرك، وقبول آرائهم في شيء من أمور دينهم ..، وقد قيل أنّ الله جلّ ثناؤه قد عنى بقوله:﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ كعب بن الأشرف.

وروى بسند له عن الزّهريِّ وقتادةَ :﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ قال: كعبُ بنُ الأشرفِ.

---

[1] – هو حيي بن أخطب بن سعية بن ثعلبة بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب بن النّضير من بني إسرائيل، وهو والد صفية أمّ المؤمنين زوج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وكان يعلم علم اليقين- هو وأخوه ياسر بنبوة محمّد صلّى الله عليه وسلّم- كما شهدت بذلك أمّ المؤمنين صفية ابنته، إلاّ أنّه آثر عداوته ما بقي حيّا وعدم اتّباعه لعنه الله، أسروه يوم قريظة ثمّ قتلوه سنة: 5هـ. ينظر: السيرة النبوية. ابن هشام. حققها: مصطفى السّقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي.ج1، ص518، 519. تتمة جامع الأصول في أحاديث الرّسول. ابن الأثير.حققه: بشير محمّد عيون. دار الفكر: بيروت. ج12، ص 102، و326. الأعلام. الزّركلي. ج2. ص 292.

[2] – هوأبو ياسر بن أخطب أحد بني النّضير، من يهود المدينة، وكان وأخوه حيي بن أخطب من أشد النّاس عداوة للمسلمين وكيدًا لهم، وكانا جاهدين في ردّ النّاس عن الإسلام ما استطاعا، وهما اللذان حسبا بحساب الجمَّل الحروف التي في أوائل السّور، فأبطل الله حسابهما، وبيّن كذبهما، وعجّل عذابهما على أيدي المسلمين. ينظر: السّيرة النّبوية. ابن هشام. ج1، ص 518، 519، 546، 547.

[3] – فنحاص ابن عازوراء من بني قينقاع، من يهود المدينة، وكان من علمائهم وأحبارهم. ينظر: السّيرة النبوية. ابن هشام. ج1، ص558، 559.

[4] – لم أقف على ترجمته.

وروى أيضًا بسند له عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس، قال كان حيَيُّ بنُ أخطبَ، وأبو ياسر بنُ أخطبَ من أشدِّ اليهود للعرب حسدًا، إذْ خصّهم الله برسوله صلّى الله عليه وسلّم، وكانا جاهدين في ردِّ النّاس عن الإسلام بما استطاعا، فأنزل الله فيهما ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾"[1].

فنلاحظ في قول الطّبري أنّه ذكر كلّ ما يتعلق بالآية من أقوال، فقد ذكر في القول الأول أنّ المراد بهم اليهود أي أنّها عامة فيهم، وسكت عن القول الثّالث من أنّ المراد منهم حييُّ بن أخطب وأبو ياسر، وأمّا القول الثّاني فقد علّق عليه وضعّفه من ناحية المعنى فقال: "وليس لقول القائل: عنى بقوله: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ كعبَ بن الأشرف. معنىً مفهوم؛ لأنّ كعب بن الأشرف واحد وقد أخبر الله جلّ ثناؤه أنّ كثيرًا منهم يودُّون لو يردُّون المؤمنين كفّارًا بعد إيمانهم، والواحد لا يقال له: كثيرٌ بمعنى الكثرةِ في العدد، إلاّ أن يكون قائلُ ذلك أراد توجيهَ الكثرة التي وصف الله بها من وصفه في هذه الآية، الكثرةَ في العزِّ ورفعة المنزلة في قومه وعشيرته، كما يقال فلان في النّاس كثير. يراد به كثرة المنزلة والقدر. فإن كان أراد ذلك فقد أخطأ؛ لأنّ الله جلّ ثناؤه قد وصفهم بصفة الجماعة، فقال: ﴿ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا ﴾ فهذا دليل على أنّه عنى به الكثرة في العدد. أو يكون ظنّ أنّه من الكلام الذي يخرج مخرج الخبر عن الجماعة، والمقصود بالخبر عنه واحد، نظير ما قلنا عنه آنفًا في بيت جميلٍ فيكون ذلك أيضًا خطأ. وذلك أنّ الكلام إذا كان بذلك المعنى فلابد من دلالةٍ فيه تدلُّ على أنّ ذلك معناه، ولا دلالة تدلُّ في قوله: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ أنّ المراد به واحد دون جماعةٍ كثيرة، فيجوزَ صرفُ تأويلِ الآية إلى ذلك، وإحالة دليل ظاهرها إلى غير الغالب في الاستعمال"[2].

وقال الإمام ابن عطية الأندلسي أيضًا: "...قال الزّهري عنَى بـــ: ﴿كَثِيرٌ﴾ واحد، وهو كعب بن الأشرف، وهذا تحامل، وقوله تعالى ﴿يَرُدُّونَكُم ﴾ يردُّ عليه، وقال ابن عباس: المراد ابنا

[1] – جامع البيان. الطّبري. ج2. ص 108، 109.

[2] – المصدر نفسه. ج2. ص 109.

أخطب، حيَيٌّ وأبو ياسر"[1]. فابن عطية هنا قد وافق أبو جعفر في ردّ قول الزّهري بأنّه كعب بن الأشرف، ونسب القول الثّاني إلى ابن عباس وسكت عنه.

وقال الإمام الرّازي: "اعلم أنّ هذا النّوع الثّالث من كيد اليهود مع المسلمين، وذلك لأنّه روى أنّ فنحاص ابن عازوراء، وزيد بن قيس ونفرًا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمّار بن ياسر بعد وقعة أحد: ألم تروْ ما أصابكم، ولو كنتم على الحقّ ما هُزمتم، فارجعوا إلى ديننا فهو خيرٌ لكم وأفضل ونحن أهدى منكم سبيلاً، فقال عمّار: كيف نقض العهد فيكم؟ قالوا شديد، قال فإنّي قد عاهدت أنّي لا أكفر بمحمّد ما عشت، فقالت اليهود أمّا هذا فقد صبأ، وقال حذيفة: وأمّا أنا فقد رضيت بالله ربّا وبالإسلام وبالقرآن إمامًا وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين إخوانًا، ثمّ أتيا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأخبراه فقال أصبتما خيرًا وأفلحتما، فنزلت هذه الآية"[2].

وقال الإمام الألوسي: "...وهم طائفة من أحبار اليهود قالوا للمسلمين عند وقعة أحد، ألم تروْ إلى ما أصابكم، ولو كنتم على الحقّ لما هزمتم، فارجعوا إلى ديننا فهو خيرٌ لكم، رواه الواحدي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه. وروى أنّ فنحاص بن عازوراء. وزيد بن قيس ونفرًا من اليهود قالوا ذلك لحذيفة رضي الله تعالى عنه من حديث طويل، ذكر الحافظ ابن حجر أنّه لم يوجد في شيء من كتب الحديث"[3].

وغيرهم من أئمة التّفسير الذين تعرضوا لبيان مبهم الآية.

فالشّاهد من هذا المثال أنّ طائفة من المفسّرين قد بيّنوا مبهم الآية، وهذا بالاعتماد على سبب نزولها، فبِتعرُّضِهم لبيان المبهم أدّى بهم إلى ذكر الرّوايات التي توضحه ممّا له علاقة بعلم أسباب النّزول، كما نلاحظ أيضًا حرص واهتمام المفسّرين على تعيينه وهذا من خلال ذكرهم لجميع الأقوال وتضعيف بعضها، وترجيح أخرى.

---

[1] – المحرر الوجيز. ابن عطية الأندلسي. تحقيق: عبد السّلام عبد الشّافعي محمّد. ج1. ص 196.

[2] – تفسير الفخرُ الرّازي. ج3. ص 256.

[3] – روح المعاني. الألوسي. ج1. ص 356.

المثال الثّاني:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ الأنفال: 32 – 33.

قائلُ هذه المقالة فيما ذكره جماعة من المفسّرين هو "النّضر بن الحارث"[1]، وطائفة أخرى قالت هو "أبو جهل"[2]، واعتمدوا في ذلك على روايات سبب نزول هذه الآية، فقد قال الإمام الطّبري: "وهذه الآية ذُكر أنّها نزلت في النّضر بن الحارث"[3].

ثمّ ساق عدة أسانيد إلى سعيد بن جبير ومجاهد منها:

"عن سعيد بن جبير في قوله ﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ قال: نزلت في النّضر بن الحارث.

وعن أبي نجيح عن مجاهد قولَه: ﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ ﴾ قال: قولُ النّضرِ بنِ الحارث ابن علقمة بنِ كَلَدَةَ من بني عبد الدّار"[4].

فيلاحظ هنا أنّ الطبري قد اكتفى بذكرِ قولٍ واحدٍ على غير عادته للمعاني المختلفة، ولعلّ لكون هذا هو الصّحيح أو المختار عنده، لذا تَمَ تركُه تعليقًا أو تعقيبًا –والله أعلم–.

---

[1] – هو النّضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف، من بني عبد الدّار، من قريش صاحب لواء المشركين ببدر، كان من شجعان قريش ووجوهها، هو أوّل من غـنّى على العود بألحان الفرس، وهو ابن خالة النّبي صلّى الله عليه وسلّم، ولّما ظهر الإسلام استمر على عقيدة الجاهلية وآذى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كثيرًا، شهد وقعة بدر، فأسرة المسلمون وقتلوه بالأثيل (قرب المدينة) سنة 2هـ. ينظر: الأعلام. الزّركلي. ج8. ص 33.

[2] – هو عمروا بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي من أشد النّاس عداوة للنّبي صلّى الله عليه وسلّم في صدر الإسلام وأحد سادات قريش وأبطالها و دُهاتها في الجاهلية، أدرك الإسلام، وكان يقال له "أبو الحكم" فدعاه المسلمون "أبا جهل"، ولّما كانت وقعت بدر الكبرى كان من قتلاها سنة 2هـ. ينظر: الأعلام. الزّركلي. ج5. ص 87.

[3] – جامع البيان. الطّبري. ج 11. ص 144.

[4] – المصدر نفسه. ج 11. ص 144.

وقال الإمام البغوي: " الآية نزلت في النّضر بن الحارث من بني عبد الدّار، ...وروى أنس رضي الله عنه أنّ الذي قاله أبو جهل"[1][2].

وقال ابن عطية الأندلسي :"روى عن مجاهد وابن جبير وعطاء والسّدي أنّ قائل هذه المقالة هو النّضر بن الحارث، وفيه نزلت هذه الآية. وترتب أن يقول النّضر بن الحارث مقالة وينسبها القرآن إلى جميعهم، لأنّ النّضر كان فيهم موسومًا بالنّبل والفهم مسكونًا إلى قوله، فكان إذا قال قولاً قاله منهم كثير واتّبعوه عليه حسبما يفعله النّاس أبدًا بعلمائهم وفقهائهم"[3].

وقال أبو حيان الأندلسي عقب تفسيره لهذه الآية: "قائل ذلك النّضر، وقيل أبو جهل. رواه البخاري ومسلم"[4].

وقال الإمام الطّاهر بن عاشور: "...قائل هذه المقالة هو النّضر بن الحارث صاحب المقالة السّابقة، وقالها أيضًا أبو جهل"[5].

فممّا سبق من أقوال المفسّرين ندرك عنايتهم ببيان المبهم في الآية، اعتمادًا منهم على سبب نزولها، ويمكن أن يقال بأنّ حرصهم على الكشف عن هذا المبهم ترتب عليه اهتمامهم بذكر روايات سبب نزولها أو الإشارة إليها في كتب الحديث، فلولا انشغالهم بتعيين المبهم من الآية لما تطرّقوا لذكر فيمن نزلت فيهم هذه الآية، وذكر الخلاف في ذلك –والله أعلم–، والدّليل على ذلك أنّ بعض المفسرين يذكرون أحيانًا أسماء المخاطبين بهذه الآية أو الآيات دون إشارة أو تلميح إلى روايات أو أحاديث سبب نزولها، لأنّ عندهم فيما يظهر الغاية هي إبراز المبهم لا ذكر الواقعة أو الحادثة التي هي سبب النّزول.

---

[1] – الحديث في صحيحي البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: اللّهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السّماء أو ائتنا بعذاب أليم. فنـــزلت: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾. ينظر: الجامع الصّحيح. محمد بن إسماعيل البخاري. دار ابن كثير: دمشق. ط1، 1423هـــ، 2002م. كتاب التّفسير. حديث رقم: 4649. ص 1146. الجامع الصّحيح. مسلم بن الحجاج. كتاب صفات المنافقين وأحكامهم. حديث رقم: 2796. ج4. ص 2154.

[2] – معالم التّنزيل. البغوي. ج9. ص351.

[3] – المحرر الوجيز. ابن عطية الأندلسي. تحقيق: عبد السلام عبد الشّافعي محمّد. ج2. ص 520.

[4] – البحر المحيط. لأبي حيان الأندلسي. ج4. ص 482.

[5] – تفسير التحرير والتّنوير. ابن عاشور. ج9. ص 331.

المثال الثّالث:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُواْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ التوبة: 118.

لقد ترتب على الكشف عن أسماء الثلاثة المذكورين في هذه الآية، ذِكرُ الرّوايات والأحاديث الواردة في سبب نزولها أو الإشارة إلى مظانّها والاقتصار على ذكر الأسماء فقط؛ فقالوا هم: كعبُ بنُ مالك من بني سلمة[1]، ومرارةُ بن الرّبيع العمري من بني عمرو بن عوف[2]، وهلالُ بنُ أمية الواقفي من بني واقـــف[3]، كلّهم من الأنصار تخلفوا عن غزوة تبوك[4] بدون عذر، وكلّ من فسّر هذه الآية ذكر أسماءهم ضمن حديثهم عن الواقعة أو الحادثة التي لأجلها نزلت الآية، وسأذكر أقوال بعضهم على سبيل المثال:

---

[1] – هو كعب بن مالك بن عمرو بن القين الأنصاريّ الخزرجيّ العقبيّ الأحدي: صحابي من أكابر الشّعراء من أهل المدينة في الجاهلية، وكان في الإسلام من شعراء النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وشهد أكثر الوقائع، ثمّ كان من أصحاب عثمان، و أنجده يوم الثّورة، وحرّض الأنصار على نصرته، ولمّا قتل عثمان قعد عن نصرة عليّ فلم يشهد حروبه. وعمي في آخر عمره، توفي سنة 50هـــ. ينظر: سير أعلام النّبلاء. الذهبي. ج2. ص 523 إلى 530. الأعلام. الزّركلي. ج5. ص 228.

[2] – مرارة بن الرّبيع الأنصاري الأوسي من بني عمرو بن عوف ويقال إنّ أصله من قصاعة حالف بني عمرو بن عوف صحابيّ مشهور شهد بدرًا على الصّحيح وهو أحد الثّلاثة الذين تِيب عليهم، أخرجاه في الصّحيحين من حديث كعب بن مالك في قصّة توبته. ينظر: الإصابة. ترجمة رقم: 7901. ج10. ص 99، 100. أسد الغابة. ترجمة رقم: 4821. ج5. ص 129.

[3] – هلال بن أمية بن عامر بن قيس بن عبد الأعلم بن عامر بن كعب بن واقف الأنصاري الواقفي شهد بدرًا وما بعدها، وهو أحد الثّلاثة الذين تيب عليهم. ينظر: الإصابة. ترجمة رقم: 9018. ج 11. ص 238، 239. أسد الغابة. ترجمة رقم: 5388. ج5. ص 380، 381.

[4] – تبوك: قرية بين وادي القرى والشّام، بها عين ماء ونخل، وكان لها حصن خرب، وإليها انتهى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في غزوته المنسوبة إليها، كان قد بلغه أنّه تجمع إليها الرّوم ولخم وجذام فوجدهم قد تفرّقوا و لم يلق كيدًا، وأقام بها ثلاثة أيام. ينظر: مراصد الاطّلاع على أسماء الأمكنة والبقاع. لصفيّ الدّين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي. تحقيق: علي محمّد البجاوي. دار الجيل: بيروت. ط1، 1412هـ، 1992م. ج1. ص 253.

قال ابن عطية الأندلسي في تفسيره لهذه الآية: "والثّلاثة هم كعب بن مالك، وهلال بن أمية الواقفي، ومرارة بن الرّبيع العامري ويقال ابن ربيعة، ويقال ابن ربعي، وقد خرّج حديثهم بكماله البخاريّ ومسلم[1] وهو في السّير فلهذا اختصرنا سوقه"[2].

وقال الفخر الرّازي: "المسألة الرّابعة: هؤلاء الثّلاثة هم كعب بن مالك الشّاعر، وهلال بن أمية الذي نزلت فيه آية اللّعان، ومرارة بن الرّبيع..."[3]. ثمّ ساق القصّة مع ذكره لاختلاف العلماء في روايتها.

وقال الإيجي الشّيرازي في نهاية تفسيره لهذه الآية ما نصّه: "...وهم كعب بن مالك ومرارة بن الرّبيع العامري، وهلال بن أمية الواقفي"[4].

وقال الإمام الشّوكاني: "...وهؤلاء الثّلاثة هم: كعب بن مالك، ومرارة بن الرّبيع أو ابن ربيعة العامري، وهلال بن أمية الواقفي، وكلّهم من الأنصار و لم يقبل النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم توبتهم حتّى نزل القرآن بأنّ الله تاب عليهم"[5].

وقال الإمام ابن عاشور: "والتّعريف في (الثّلاثة) تعريف العهد فإنّهم كانوا معروفين بين النّاس، وهم كعب بن مالك من بني سَلِمَةَ، ومُرارة بن الرّبيع العَمري من بني عمرو بن عَوْف، وهلال بن أمية الواقفي من بني واقف، كلّهم من الأنصار تخلّفوا عن غزوة تبوك بدون عذر. ولمّا رجع النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم من غزوة تبوك سألهم عن تخلفهم فلم يكذّبوه بالعذر ولكنّهم اعترفوا بذنبهم وحزنوا. ونهى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم النّاس عن كلامهم، وأمرهم أن يعتزلوا نساءهم،

---

[1] – الجامع الصّحيح. محمّد بن إسماعيل البخاري. اعتنى به: أبو عبد الله عبد السّلام بن محمّد بن عمر علوش. مكتبة النّاشرون: الرّياض. ط2، 1427هـ، 2006م. كتاب المغازي. باب حديث كعب بن مالك. حديث رقم: 4418. ص 601، 602، 603. والجامع الصّحيح. مسلم. كتاب التّوبة. باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه. حديث رقم: 2769. ج4. ص 2120 إلى 2128.

[2] – المحرر الوجيز. ابن عطية الأندلسي. تحقيق: عبد السّلام عبد الشّافعي محمّد. ج3. ص 93، 94.

[3] – تفسير الفخر الرّازي. ج 16. 223.

[4] – جامع البيان في تفسير القرآن. محمّد بن عبد الرّحمان بن محمّد بن عبد الله الإيجي الشّيرازي. تحقيق: عبد الحميد هنداوي. دار الكتب العلمية: بيروت. ط1، 1424هـ، 2004م. ج2. ص 109.

[5] – فتح القدير. الشّوكاني. ج2. ص 584.

ثمّ عفا الله عنهم بعد خمسين ليلة. وحديث كعب بن مالك في قصّته هذه مع الآخرين في صحيح البخاري وصحيح مسلم طويل أغر وقد ذكره البغوي في تفسيره"[1].

فممّا سبق ذكره في هذا المثال من كلام لأهل التّفسير في بيان المبهم من الآية اعتمادًا منهم على سبب نزولها، نجد أنّ بعضهم ذكر أسماء الثلاثة الذين تخلّفوا عن غزوة تبوك (كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلالُ بنُ أمية) مع سردهم لتفاصيل الحادثة التي لأجلها نزلت فيهم الآية، وآخرون ذكروا أسماءهم دون التطرّق إلى تفاصيلها مع إشارتهم إلى مظانّ ورودها، والبعض الآخر لم يشر إلى ذلك، وعليه فإنّه يظهر تركيز المفسّرين أوّلاً أثناء بيانهم لمبهم الآية على إيراد أسماء من نزلت فيهم الآيات ثمّ تليها تفاصيل القصّة[2].

---

[1] – تفسير التّحرير والتّنوير. ابن عاشور. ج11. ص 51، 52.

[2] – من الأمثلة أيضًا التي لها نفس الأثر؛ الآيات الآتية: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُـِٔلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ﴾ البقرة: 108، ﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ الأنفال: 32، ﴿ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ ﴾ التوبة: 40، ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾التوبة: 61 ، ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ﴾التوبة: 108، ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ التوبة: 113، ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ التوبة: 113، ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾ الإسراء: 85، ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ النور: 6.

المطلب الثّاني: الوقوف على مناقب المبهمين أو مثالبهم.

من الآثار المترتبة كذلك على تعيين مبهمات القرآن الوقوف على فضائل ومناقب المبهمين إن كانوا من المؤمنين الصّالحين أو مثالبهم إن كانوا من الكفّار أو المنافقين.

فنزول الآية أو الآيات في صحابي[1] من الصّحابة أو ذِكرُ القرآن لرجل ما من الأمم البائدة بالخير والثّناء يدلّ على فضله وحسن عمله، وكذا ذِكْرُ رجل أو طائفة من الكفّار أو المنافقين في زمن الوحي أو غيره من الأزمان الغابرة بالذّم يدّل على شرّهم وشدّة طغيانهم وتجبرّهم في الأرض وعداوتهم الشّديدة للحقّ وأهله.

وهذا ما دفع ببعض المفسّرين إلى ذكر مناقب أقوام، ومثالب آخرين ونقائصهم، ويغلب على الظّن أنّ المراد من ذلك الصّنيع هو السّير حذو أهل المناقب والاقتداء بهم، والتّرهيب من صفات أهل المثالب والنّقائص ومسالكهم، ولعلّ ممّا يوضّح ذلك ويُبرزُه النّماذج التّطبيقية الآتية:

المثال الأوّل:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ التوبة: 40، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ النور: 22. وقوله تعالى ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ الليل: 17 – 21.

فالمبهم في هذه الآيات هو الصّحابيّ الجليل أبو بكر رضي الله عنه، فبالكشف عن هذا المبهم زدنا معرفةً ويقينًا بقيمة وفضل هذا الصّحابي الجليل؛ وهذا لكون المولى عزّ وجلّ وصفه بالمصاحب لرسوله صلّى الله عليه وسلّم (أي أنّه أثبت له الصّحبة) في الآية الأولى، ووصفه في الثّانية بأولي الفضل والسّعة، وفي الآية الثّالثة أثبت له الجنّة ونجاته من النّار؛ قال الإمام أبو جعفر الطّبري في تفسيره للآية الثّانية: "وإنّما عُنِيَ بذلك أبو بكر الصّديق رضي الله عنه في حلفِه بالله لا يُنفق على مسطحٍ، فقال جلّ ثناؤه: ولا يحلف من كان ذا فضل من مال وسعةٍ منكم، أيّها

[1] – اخترت أن أستعمل صيغة المذكر وأقصد الصّنفين الرّجال والنّساء سواء.

المؤمنون بالله، ألاّ يعطوا ذوي قرابتهم، فيصلوا به أرحامهم، كمسطح وهو ابن خالة أبي بكر..."[1].

وقال الإمام البغوي عقب تفسيره أيضًا للآية الثانية ما نصّه: "والفضل هنا يحتمل أن يريد به الفضل في الدّين أو الفضل في المال وهو أن يفضل له عن مقدار ما يكفيه، والسّعة هي اتّساع المال، نزلت الآية بسبب أبي بكر الصّديق رضي الله عنه حين حلف ألاّ ينفق على مسطح لّما تكلّم في حديث الإفك وكان ينفق عليه لمسكنته؛ ولأنّه قريبه، وكان ابن بنت خالته، فلمّا نزلت الآية رجّع إلى مسطح النّفقة والإحسان، وكفّر عن يمينه، قال بعضهم هذه أرجى آية في القرآن لأنّ الله أوصى بالإحسان إلى القاذف..."[2].

وقال ابن كثير عقب تفسيره للآية الثّالثة: "... وقد ذكر غير واحد من المفسّرين أنّ هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصّديق رضي الله عنه حتى إنّ بعضهم حكى الإجماع من المفسّرين على ذلك، ولا شكّ أنّه داخل فيها وأولى الآية بعمومها، فإنّ لفظها لفظ العموم، وهو قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾، ولكنّه مقدم الأمة وسابقهم في جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحميدة؛ فإنّه كان صدّيقًا تقيًّا كريمًا جوادًا باذلاً لأمواله في طاعة مولاه، ونصرة رسول الله، فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربّه الكريم، ولم يكن لأحد من النّاس عنده منّةٌ يحتاج إلى أن يكافئه بها"[3].

وقال الإمام ابن عاشور في تفسيره للآية الأولى: "والصّاحب هو ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ وهو أبو بكر الصّديق، ومعنى الصّاحب المتصف بالصّحبة، وهي المعية في غالب الأحوال، ومنه سميت الزوجة صّاحبة، كما تقدّم في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾الأنعام: ١٠١. وهذا القول صدر من النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لأبي بكر حين كانا مختفيين في غار ثور، فكان أبو بكر حزينًا إشفاقًا على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أن يشعر به المشركون، فيصيبوه بمضرّة، أو يرجعوه إلى مكّة"[4].

---

[1] – جامع البيان. الطّبري. ج 17. ص 223.

[2] – معالم التّـــتريل. البغوي. ج2. ص 86، 87.

[3] – تفسير ابن كثير. ج 8. ص 422.

[4] – تفسير التّحرير والتّنوير. ابن عاشور. ج10. ص 203.

وقال أيضًا عقب تفسيره للآية الثّانية: "والمراد من أولي الفضل ابتداءً أبو بكر، والمراد من أولي القربى ابتداءً مسطح بن أثاثة ...ولّما قرأ رسول الله الآية إلى قوله ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ قال أبو بكر: بلى أحب أي يغفر الله لي، ورجّع إلى مسطح وأهله ما كان ينفق عليهم"[1][2].

فقد كشفت أقوال هؤلاء المفسّرين عن المبهم في هذه الآيات؛ ممّا زادنا معرفةً بقيمة وفضل هذا الصّحابي الجليل الذي أفنى عمره في خدمة الإسلام والمسلمين، ونصرة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وهذا ما حرص المفسّرون على إبرازه، وذلك من خلال بيان معاني هذه الآيات من شرح ألفاظها وذِكرُ المراد منها، وتفاصيل الحادثة التي نزل فيها الوحي والعبرة منها، والأمور التي قام بها هذا الصّحابي ومكانته لدى المسلمين؛ وهذا كلّه يدخل في محاسن وفضائل الصّحابيّ المراد بالآية.

المثال الثّاني:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾ مريم: 77– 80.

المبهم في هذه الآيات هو العاص بن وائل[3]، فقد عرَّفَ سبحانه وتعالى بكُفرِ هذا المجرم واستخفافه بصحابة النّبي صلّى عليه وسلّم، ثمّ ردّ عليه أيّما ردّ فيما قاله؛ قال الإمام الطّبري عقب تفسيره لهذه الآيات: "أفرأيت يا محمّد الذي كفر بأدلتنا وحججنا فلم يصدِّق بها، وأنكر وعيدَنا أهلَ الكفرِ، وقال وهو بالله كافرٌ وبرسوله: لأوتينّ في الآخرة مالاً وولدا. وذُكر أنّ هذه الآيات أُنزلت في العاص بن وائل السّهميّ أبي عمرو بن العاص"[4]. ثمّ ساق الرّوايات في ذلك.

---

[1] – سبق تخريجه. ص 58.

[2] – تفسير التّحرير والتنوير. ابن عاشور. ج18. ص 189.

[3] – هو العاص أو العاصي بن وائل بن هاشم السّهمي من قريش، أحد الحكّام في الجاهلية، كان نديمًا لهشام بن المغيرة، أدرك الإسلام ومات على الشّرك وكان على رأس بني سهم في حرب الفجّار 33ق.هـ، وقيل في خبر موته: لدغ في أحد الشّعاب، وكان ذلك في الأبواء بين مكّة والمدينة، وهو والد عمرو بن العاص. ينظر: الأعلام. للزّركلي. ج3. ص 247.

[4] – جامع البيان. الطّبري. ج 15. ص 617.

وقال ابن عطية الأندلسي: "﴿ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ يعني به العاص بن وائل السّهمي، قاله جمهور المفسّرين، وكان خبره أنّ خباب بن الأرتّ[1] كان قينًا[2] في الجاهلية فعمل له عملاً واجتمع له عنده دين فجاءه يتقاضاه، فقال له العاصي: لا أنصفك حتى تكفر بمحمّد، فقال خباب: لا أكفر بمحمّد حتى يميتك الله ثمّ يبعثك، قال العاصي: أوَ مبعوثٌ أنا بعد الموت؟ قال خباب: نعم. قال: فإنّه إذا كان ذلك فسيكون لي مال وولد وعند ذلك أقضيك دينك، فنزلت الآية في ذلك[3]"[4].

وقال محمد الأمين الشّنقيطي: "والتّقسيم الصّحيح في هذه الآية الكريمة يحصر أوصاف المحل في ثلاثة، والسّبر الصّحيح يبطل اثنين منها ويصحح الثّالث، وبذلك يتم إلقام العاص بن وائل الحجر في دعواه: أنّه يؤتى يوم القيامة مالا وولدا.

أمّا وجه حصر أوصاف المحل في ثلاثة فهو أنّا نقول: قولك: إنّك تؤتى مالاً وولدا يوم القيامة، لا يخلو مستندك فيه من واحد من ثلاثة أشياء:

الأوّل: أن تكون اطّلعت على الغيب، وعلمت أنّ إيتاءك المال والولد يوم القيامة ممّا كتبه الله في اللّوح المحفوظ.

والثّاني: أن يكون الله أعطاك عهدًا بذلك، فإنّه إن أعطاك عهدًا لن يخلفه.

الثالث: أن تكون قلت ذلك افتراءً على الله من غير عهدٍ ولا اطّلاع غيب.

---

[1] – خباب بن الأرتّ بن جندلة بن سعد التّميمي، أبو يحيى أو أبو عبد الله: صحابيّ من السّابقين، قيل أسلم سادس ستة، وهو أوّل من أظهر إسلامه، كان في الجاهلية قينًا يعمل السّيوف، بمكة، ولّما أسلم استضعفه المشركون فعذّبوه ليرجع عن دينه، فصبر إلى أن كانت الهجرة، ثمّ شهد المشاهد كلّها، ونزل الكوفة ومات فيها وهو ابن 73 سنة. ينظر: سير أعلام النّبلاء. الذّهبي. ج2. ص 333، 334. الأعلام. الزّركلي. ج2. ص 301.

[2] – القيون: جمع قين وهو الحدّاد أو الصّائغ. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر. ابن الأثير. ص 683.

[3] – أصل هذا الحديث في صحيح البخاري. اعتنى به: أبو صهيب الكرمي. دار بيت الأفكار الدّولية: الرياض. 1419هـ، 1998م.كتاب البيوع. باب: ذكرِ القينِ والحدَّادِ. حديث رقم: 2091. ص 394. وصحيح مسلم. كتاب صفة القيامة والجنّة والنّار. باب سؤال اليهود النّبي صلّى الله عليه وسلم عن الرّوح. حديث رقم: 2795. ج4. ص 2153.

[4] – المحرر الوجيز. ابن عطية. تحقيق: عبد السّلام عبد الشّافعي محمّد. ج4. ص 30.

وقد ذكر تعالى القسمين الأولين في قوله: ﴿ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾ مبطلاً لهما بأداة إنكار. ولا شك أنّ كلا هذين القسمين باطل؛ لأنّ العاص المذكور لم يطّلع الغيب، و لم يتخذ عند الرّحمان عهدًا. فتعيّن القسم الثّالث، وهو أنّه قال ذلك افتراءً على الله"[1].

وقال الطّاهر بن عاشور: "...والمناسبة أنّ قائل هذا الكلام كان في غرور مثل الغرور الذي كان فيه أصحابه، وهو غرور إحالة البعث. والآي تشير إلى قصّة الخباب بن الأرتّ مع العاصي بن وائل السّهمي..."[2].

فعلى ضوء ما ذكره أهل التّأويل في الكشف عن المبهم في هذه الآيات، وبيان المناسبة التي نزلت فيها، وقفنا على بعض مثالب ومساوئ العاص بن وائل من افتراء على الله من غير عهدٍ ولا اطّلاع على الغيب، وتكبّره على الحقّ وأهله واستهزائه بهم، والكيد لهم بكلّ الطرق وغير ذلك، فكانت هذه الصّفات الذميمة رمزًا له إلى يوم القيامة.

المثال الثّالث:

في هذا الموضع أذكر ما أبهمه الله من الأمم الغابرة وأثنى عليه، بل جعله مثل للمؤمن التّقي الثّابت على الحقّ؛ هو قوله تعالى:﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ التّحريم: 11.

المبهم في هذه الآية هو امرأة فرعون، فقد أثنى سبحانه وتعالى عليها في هذه الآية وجعلها مثلاً،وعبرةً، وقدوةً بها لمن آمن من المسلمين؛ وهذا لثباتها أمام فرعون ذلك الزّمان مع كونها امرأة وهي بطبعها ضعيفة؛ إلاّ أنّها أعطت نموذجا رائعًا للمسلم الثّابت على دينه الموقن بوعد الله تعالى، فمعرفة اسم هذه المرأة تكون رمزًا لتلك الصّفات، ومن ثمرة معرفته –أي مبهم الآية– إحاطة ولو جزئية بشخصية وسيرة هذه المؤمنة الصّادقة، وهذا ما سار عليه المفسّرون في تفسيرهم لهذه الآية؛ قال أبو جعفر الطّبري: "يقول الله تعالى: وضرب الله مثلاً للذين صدَّقُوا الله ووحّدوه امرأةَ فرعونَ، التي آمنت بالله ووحّدته وصدَّقت رسوله موسى، وهي تحت عدوّ من أعداء الله كافرٍ، فلم يضرّها كفرُ زوجها، إذْ كانت مؤمنة بالله، وكان من قضاء الله في خلقه ألاّ تزرَ وازرَةٌ وزْرَ

[1] – أضواء البيان. محمّد الأمين الشّنقيطي. ج4. ص 457، 458.

[2] – تفسير التّحرير والتّنوير. ابن عاشور. ج16. ص 158.

أخرى، وأنّ لكلّ نفسٍ ما كسبت، إذْ قالت: ﴿ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ ﴾ . فاستجاب الله لها. فبنى لها بيتًا في الجنّة"[1]. ثمّ ساق الرّوايات في ذلك.

وقال الإمام النّسفي: " ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ ﴾: هي آسيا بنت مزاحم. آمنت بموسى وعذّبها فرعون بالأوتاد الأربعة﴿ إِذۡ قَالَتۡ ﴾ وهي تعذّب﴿ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ ﴾- فكأنّها أرادت الدّرجة العالية، لأنّه تعالى منزّه عن المكان، فعبّرت عنها بقولها: ﴿عِندَكَ ﴾ - ﴿ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ ﴾ أي: من عمل فرعون، أو من نفس فرعون الخبيثة، وخصوصًا من عمله، وهو الكفر والظلم، والتّعذيب بغير جرم. ﴿ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ من القبط كلّهم. وفيه دليل على أنّ الاستعاذة بالله والالتجاء إليه، ومسألة الخلاص منه عند المحن والنّوازل، من سير الصّالحين"[2].

وقال أبو السّعود: " ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ ﴾ أي: جعل حالها مثلاً لحال المؤمنين في أنّ وصلة الكفرة لا تضرّهم حيث كانت في الدّنيا تحت أعدى أعداء الله وهي في أعلى غرف الجنّة، وقوله تعالى: ﴿ إِذۡ قَالَتۡ ﴾ ظرف لمحذوف أشير إليه أي ضرب الله مثلاً للمؤمنين حالها إذ قالت: ﴿ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ ﴾ قريبًا من رحمتك أو في أعلى درجات المقرّبين، روي أنّها لمّا قالت ذلك أريت بيتها في الجنّة من درّة وانتزع روحها ﴿ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ ﴾ أي من نفسه الخبيثة وعمله السّيء. ﴿ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ من القبط التّابعين له في الظلم"[3].

وقال ناصر السّعدي: " ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ ﴾ وهي آسيا بنت مزاحم رضي الله عنها ﴿ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ فوصفها الله بالإيمان والتضرّع لربّها، وسؤالها لربّها أجل المطالب، وهو دخول الجنّة،

---

[1] – جامع البيان. الطّبري. ج23. ص 114.

[2] – مدارك التّنزيل وحقائق التأويل. النّسفي. ج3. ص 508.

[3] – إرشاد العقل السّليم. لأبي السّعود. ج5. ص 355.

ومجاورة الرّب الكريم، وسؤالها أن ينجيَها الله من فتنة فرعون، وأعماله الخبيثة، ومن فتنة كلّ ظالم، فاستجاب الله لها، فعاشت في إيمان كامل وثبات تام، ونجاة من الفتن"[1].

فكشفُنا عن هذا المبهم في هذه الآية وبيانُنا له أوصلَنا إلى معرفة مَنقَبة من أعظم مناقب هذه المرأة المؤمنة الصّالحة من الثّبات على الحقّ واليقين بوعد الله سبحانه وتعالى أمام فرعون ذلك الزّمان والصّبر وغير ذلك، وهذا ما نلاحظه من صنيع جلّ المفسّرين في إبرازهم لفضائل هذه المرأة المؤمنة الصّادقة[2].

وممّا تجدر الإشارة إليه في نهاية هذا الفصل أنّ الكثير من الأمثلة التي ذكرناها يظهر فيها أكثر من أثر من الآثار السّابقة، فمثلاً هناك بعض الأمثلة التي هي من قبيل التوسع في الأخذ عن أهل الكتاب وهي أيضًا تعدّ من الاستطراد الذي لا فائدة فيه أو العكس[3]، أو اختلاف المفسّرين في بيان لبعض المبهمات يؤدّي بالبعض الآخر إلى التّرجيح بينها[4]، أو تظهر فيها العناية بعلم أسباب النّزول والاختلاف في التّفسير والتّرجيح بين الأقوال المختلف فيها[5].

---

[1] – تيسير الكريم الرّحمان في تفسير كلام المنّان. عبد الرّحمان بن ناصر السّعدي. قدّم له: عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل، محمّد بن صالح العثمين. مؤسسة الرّسالة: بيروت. ط1، 1423هـ، 2002م. ص 875.

[2] – من الأمثلة أيضًا التي لها نفس الأثر ما ورد في الآيات الآتية: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ التوبة: 84، ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ التوبة:58، ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾التوبة: 79، ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ المائدة: 83، ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ الأنعام: 33، ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ الأعراف: 175.

[3] – الأمثلة على ذلك: ﴿ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ ﴾البقرة: 260، ﴿ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ ﴾ النمل: 48، ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ النجم:1.

[4] – تدخل هنا جلّ الأمثلة التي ذكرتها في الاختلاف في التفسير لأنّه لو لم يكن خلاف لما كان ترجيح.

[5] – مثال ذلك قوله تعالى:﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ التوبة: 113.

وأختم هذا الفصل بالتّذكير أنّ تلك الظواهر العلمية التي سميتها بالآثار التفسيرية التي ترتبت عن اشتغال المفسّرين ببيان مبهمات القرآن الكريم وتعيينها وشرحها؛ يتفاوت بروز جُلِّها أو بعضها من تفسير إلى آخر.

فنرى آثارًا كالاستطراد في ذكر ما لا فائدة فيه والتّوسع في الأخذ عن أهل الكتاب قد برزت أكثر في التفاسير التي تهتم بالأخبار والقصص كتفسيري مقاتل بن سليمان والثعلبيّ، والاشتغال بالتّرجيح بين أقوال المفسّرين فهو الأثر الذي يبرزُ أكثر في التّفاسير التي يُعنَى أصحابها بفنون الحديث وأحوال الرّجال كتفسير ابن كثير، أمّا الاختلاف في التّفسير فهو يظهر في التفاسير التي تعنى بجمع كلّ الأقوال المتعلقة بالآية مثل جامع البيان للإمام الطّبري.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لحمد لله الذي منّ عليّ بإتمام هذا البحث المتواضع الموسوم بـــ : "المبهم في القرآن الكريم، أساليبه، وآثاره التّفسيريّة"، وقد كان محور البحث ومدار فلكه في المبهمات التي يجوز البحث فيها وتطلّب معرفتها، و لم يشتغل بما لا يجوز الخوض فيها ممّا استأثر الله به في علم الغيب عندهُ، وإذ أَصِلُ إلى هذه المرحلة من البحث؛ فإنّي أذكُرُ ما توصّلتُ إليه من نتائج، مركّزًا على أهمِّها، تاركًا أظهرَها، ثمّ أردفُ ذلك ببعض التّوصيات والاقتراحات.

1- أنّ هناك اتفاقا بين من كتب في علم المبهمات قديمًا وحديثًا في تحديد مفهوم علم المبهمات وبيان ماهيته.

2- دَرَسَ البحث في تقسيمات بعض الأئمّة المشهورة لصور المبهمات، فحاول إرجاعها إلى قسمين رئيسين: أحدهما: مبهمات يجب التوقّف فيها ولا يجوز البحث عنها، وهي تلك التي استأثر الله بها في علم الغيب عنده، والآخر: مبهمات يجوز البحثُ فيها وطلبُها.

3- كشف البحث عن أنواع مبهمات القرآن من حيث ما يتعلّق بها من معاني وفوائدَ زوائد؛ فهناك أنواع من مبهمات القرآن معرفتها لا تترتب عليها فائدة يشتغل بها، مثل ما يتعلق بمبهمات الكواكب والحيوانات والنباتات وغير ذلك، وهناك أنواع تزيد الباحث علمًا وفائدةً فوق معرفته لمعنى الآية، كالبحث عن بعض الأعلام الذين أُبْهِمَتْ أسماؤهم، الذين كانت لهم فضائل ومناقب في الجهاد ونشر الإسلام، فنزلت بشأنهم آياتٌ تزكّيهم وتُشِيدُ بأعمالهم، كالآيات التي نزلت في أبي بكر الصّديق رضي الله عنه.

4- عرّف البحث بمجموعة من المؤلفات المفردة في علم المبهمات، المطبوعة منها والمخطوطة والمفقودة، فأوصلها إلى ثمانية عشر مؤلّفًا، وأربع رسائل الجامعية.

5- أنّ طرقَ معرفةِ مبهماتِ القرآنِ تكادُ تنحصرُ في الغالبِ الأعمِّ في طرق أربعة هي: الكتاب، والسّنة المطهّرة، وأقوال الصّحابة، وأقوال التّابعين- رضي الله عن الجميع-.

6- أَكَّدَ البحث أنّ باب الاجتهاد في بيان مبهمات القرآن ضيّقٌ جدًّا، مقرِّرًا أنّ أغلبَهَا مُبيَّنٌ في كتب السّنة والآثار عن الصّحابة والتّابعين.

7- بيَّنَ البحثُ العلاقةَ الكائنةَ بين علمِ المبهماتِ وبعضِ علومِ القرآنِ الأخرى مثل: علم أسباب النّزول، وقصص القرآن، والإسرائيليات، شارحًا وجه العلاقة الرابطة بينها، لكون علم المبهمات أو بعض جوانبه تقوم على معرفة تلك العلوم وترتكزُ عليها.

8- حاول البحث أن يحصر الأساليب التي وردت بها مبهمات القرآن، فوجدها راجعةً إلى أربعة وهي: أسلوب التّصريح وأسلوب الكناية وأسلوب التّعريض وأسلوب الذّكر والحذف.

9- إنّ عمل جُلّ العلماء من بعد زمن الصّحابة والتابعين في مجال مبهمات القرآن يكاد ينحصر في جمع الأقوال فيها وبيان الصّواب منها- في الغالب - إذا تعددت، أو بيان سبب ورودها، أو إبراز وجه الحكمة الباعثة على الإبهام.

10- تبيّن من خلال النظر في كتب التفسير التّفاوت الواضح بين المفسّرين في العناية ببيان مبهمات القرآن، وشرحها وتعيينها، فمنهم مقتصد فيها مقتصر على مواضع قليلة جدّا منها كالإمام السّعدي، ومنهم من اشتغل ببيانِ كثيرٍ منها إلى حدِّ ذِكْرِ جزئيات لا فائدة منها، وربّما ذَكَرَ الخلافَ في تعيينها، كاشتغال بعضهم بـــ"البعض الذي ضُرِبَ به قتيل بنو إسرائيل" أو: اشتغالهم بـــ "بيان أنواع الطيور التي أُمِرَ إبراهيم عليه السّلام بذبحها"، كما هو صنيع الإمامين مقاتل بن سليمان والثّعلبيّ في تفسيريهما.

11- لقد عني البحث في مواطن منه بدفع ما قد يستشكلُهُ بعضُ النّاس من كَوْنِ القرآن مَوصُوفًا بالبيان واليسر؛ يَتعارضُ مع وجود عدد من المبهمات الواردة فيه، الغامضة معانيها، وذلك مدفوعٌ بالإقرار بما أخبر به القرآن من وصفه باليُسر، واعتبار ورود هذه المبهمات وجهًا من أوجه إعجازه، وأَحسِبُ أنّ هذا هو مقصود السّيوطيّ؛ فقد جعله من وجوه إعجاز القرآن في كتابه معترك الأقران، حيث عَنوَنَ له بقوله: "**الوجه الثالث والثلاثون من وجوه إعجازه وُرُودُ آياتٍ مبهمةٍ يحيرُ العقل فيها**" .

12- أَبرَزَ البحثُ جملةً من آثار تعيين المبهمات في أعمال المفسرين وجهودهم وآرائهم، ومثّل لها بما يُجلّيها، وكان من تلك الآثار: الاختلاف في التفسير، والعناية بذكر أسباب النزول، والتوسّع في الأخذ عن أهل الكتاب، والاستطراد في ذكر ما لا فائدة فيه، والوقوف على مناقب المبهمين أو مثالبهم إذا كان المبهم من الأشخاص، والاشتغال بالتّرجيح بين أقوال المفسرين.

التّوصيات والاقتراحات:

أوّلاً: أوجّه همم الطّلاب نحو البحث والتّنقيب عن عدد من كتب المبهمات التي لا يُعلم إلى اليوم عن وجودها، ولا عن أوصافها شيء، فليس البحث العلميّ يجيز التّسليم لأخبار المفقودات، فكم من كتاب حُكِمَ عليه بالضّياع ثمّ ظهر بعد البحث عنه مخطوطًا، ليرى النور بعد ذلك مدروسًا محقّقًا، وإنّ من هذه الكتب تلك التي ذكرتها في المبحث الثالث من الفصل الأوّل، ولا بأس أن أذكّر بأسمائها هنا، وهي:

1-كتاب: "المختصرُ الوجيزُ فيما تضمّن كتاب الله العزيز في ذكر من لم يُسمَّ فيه باسمه العليم من نبيّ أو وليّ أو وغيرهما آدميّ أو ملك أو غير ذلك من كلّ شيء"، لعبد الرحمن السّهيليّ (ت: 581 هـ).

2- كتاب: "البيانُ فيما أُبهم من الأسماء في القرآن"، لأبي عبد الله محمّد بن سليمان الزّهريّ، الإشبيليّ (ت: 617 هـ).

3- كتاب: "الاستدراكُ والإتمامُ للتّعريفِ والإعلامِ فيما أُبهم في القُرآن من الأسماء والأعلام"، لابن فرتون (ت: 630 هـ).

4- كتاب: "الاستدراكُ على التّعريف والإعلام فيما أُبهم في القرآن من الأسماء والأعلام" لأبي عبد الله محمّد بن عليّ الغرناطيّ المعروف بالشّاميّ (ت: 715 هـ).

5- كتاب: "التّبيان في مبهمات القرآن"، لبدر الدين بن جماعة الكنانيّ الحمويّ (ت: 733 هـ)

6- كتاب: "الإحكام لبيان ما في القرآن من الإبهام" لابن حجر العسقلانيّ (ت: 852هـ).

ثانيًا: أوصي الطّلاب بوجود كتب ثلاثة مخطوطة لم تحقّق – في حدود علميّ–، بالرّغم من فائدتها وقيمتها العلميّة، فهي بحاجة إلى العناية بها دراسة وتحقيقًا، أَذكُرُها وبعض المعلومات عنها فيما يأتي:

1- كتاب: "الإيضاحُ والتّبيينُ لما أُبهم من تفسير الكتاب المبين"،لعبد الرحمن السّهيليّ (ت:581 هـ) – صاحب التعريف والإعلام –، وهو من مخطوطات مكتبة المصغّرات الفيلميّة بقسم المخطوطات بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، رقمه في القسم: 1147، ورقمه التسلسليّ: 104108.

2- كتاب: "تلخيصُ التّعريف والإعلام" للإمام محمد بن عمر بن مبارك بن الحضرميّ المشهور بـ: بَحْـرَق (ت: 930 هـ)، وهو مخطوط بمكتبة جامعة الأزهر، رقم النّسخة: 305116، ضمن مخطوطات مكتبة الأزهر.

3- كتاب: "كتابُ أسامي الذين نزل فيهم القرآن الحكيم"، ذكر الدكتور حنيف بن حسن القاسمي أنّه عثر عليه أثناء زيارته إلى تركيا في صيف عام 1406هـ، ضمن مجموع -لم يقف على مؤلّفه-برقم: (2480) بالمكتبة السّليمانيّة باستامبول- تركيا".

وبعد؛ فليس يخفى على طلاّب العلم ما لإخراج التراث وخدمة جهود علماء الأمّة من أهمّية كبرى، ومزيّة عظمى، وبعثٍ لأفكار مغمورة، وتأسيسٍ لمشاريع علميّة مستقبليّة.

ثالثًا: أوصي بعمل دراسات علميّة خادمة لعلم المبهمات، إثراءً لمادّته، وتحقيقا لمسائل فيه، ودراسة لآراء العلماء في قضاياهُ، وأقترح من ذلك ما يأتي:

1- إجراءُ دراسات مقارنة بين كُتُب مبهمات القرآن، من حيث مادّتها ومناهج أصحابها، وآرائهم فيها، سواء كان ذلك على مستوى الكتب المطبوعة أو المخطوطة.

2- دراسة موضوع بعنوان: أثر الإمام عبد الرحمن السّهيليّ (ت: 581 هـ) في علم المبهمات.

3- أقترحُ على الطّلاّب والباحثين المتخصّصين في التفسير وعلوم القرآن كتابة جماعيّة لموسوعة أو معجم في مبهمات القرآن مع تمييزٍ لصحيحها عن ضعيفها، مُبرِزِينَ ما له أثرٌ في حقل التّفسير، دارسين السّمات البلاغيّة لتلك المبهمات.

4- إبراز آثار تفسيريّة أخرى - غير الذي ذكرت- ترتبت على اشتغال المفسّرين ببيان مبهمات القرآن.

وبعد؛ فهذا ما فتح الله به عليّ في هذا المقام، وأسأله سبحانه أن يجعل صوابي أكثر من خطئي، وأن يوفّقني لصالح الأعمال والأقوال، إنه قريب سميع قريب مجيب، وصلّى الله على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

فهارس البحث

فهرس الآيات القرآنيّة

فهرس الأحاديث النّبويّة

فهارس الأعلام المترجم لهم

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعـــات

1- فـهرس الآيـــات القرآنـــية:

الآيـــــــــــــــــــــــة	رقمـــها	الصفـــحة
الفَاتِحَة		
﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾	7	126-48
البَقَرَة		
﴿ وَإِذ قَالَ رَبُّكَ لِلمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلأَرضِ خَلِيفَةٗ ﴾	37-30	80-64
﴿ وَقُلنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسكُن أَنتَ وَزَوجُكَ ٱلجَنَّةَ وَكُلَا مِنهَا رَغَدًا ﴾	35	-88-53 154-91
﴿ وَإِذ قُلنَا ٱدخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلقَريَةَ فَكُلُواْ مِنهَا حَيثُ شِئتُم رَغَدًا ﴾	58	133
﴿ فَقُلنَا ٱضرِبُوهُ بِبَعضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحيِ ٱللَّهُ ٱلمَوتَىٰ وَيُرِيكُم ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُم تَعقِلُونَ ﴾	73	53
﴿ أَم تُرِيدُونَ أَن تَسـَٔلُواْ رَسُولَكُم كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبلُۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلكُفرَ بِٱلإِيمَٰنِ فَقَدضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾	108	52
﴿ وَدَّ كَثِيرٞ مِّن أَهلِ ٱلكِتَٰبِ لَو يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعدِ إِيمَٰنِكُم كُفَّارًا حَسَدًا ﴾	109	162
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرنَا ﴾	104	70
﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَينَا ﴾	136	92
﴿ أَيَّامٗا مَّعدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا ﴾	184	-137 139
﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِن حَيثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱستَغفِرُواْ ٱللَّهَۚ ﴾	199	136
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعجِبُكَ قَولُهُۥ فِي ٱلحَيَوٰةِ ٱلدُّنيَا وَيُشهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلخِصَامِ ﴾	204	51
﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلوُسطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾	238	141
﴿ تِلكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلنَا بَعضَهُم عَلَىٰ بَعضٖ مِّنهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعضَهُم دَرَجَٰتٖ ﴾	253	115-63
﴿ أَلَم تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَن ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلمُلكَ ﴾	258	90-50

﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾	259	152-92
﴿ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ﴾	260	149-24
﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾	274	56
آل عمران		
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ ﴾	23	20
﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ ﴾	35	90
﴿ إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾	122	98-71
﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾	187	126
النساء		
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ ﴾	52-51	72-59
﴿ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ ﴾	69	126-48
﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا ﴾	75	22
﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾	98	21
﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا ﴾	100	54-12
﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾	164	63
المائدة		
﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾	12	147
﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ ﴾	23	67
﴿ ۞ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ ﴾	27	17
﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾	64	18
الأنعام		
﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾	76	26

الأعراف		
﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ﴾	19	53-50
﴿ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا ﴾	77	124-63
﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَا ﴾	189	106
الأنفال		
﴿ وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾	33-32	165
﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ ﴾	60	43
التوبة		
﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾	36	99-23
﴿ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾	40	181
﴿ وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِۖ ﴾	101	43
﴿ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ ﴾	108	65
﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ ﴾	118	167
يوسف		
﴿ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ ﴾	10	67
﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ ﴾	43	150
﴿ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴾	52	116
﴿ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾	82	101
الإسراء		
﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ ﴾	9	125
الكهف		
﴿ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ ﴾	18	156
﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا ﴾	22	172

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ ﴾	60-82	82-89
مَرْيَمُ		
﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾	34	49
﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾	77-80	172
الأَنْبِيَاءُ		
﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾	91	125
النُّورُ		
﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ﴾	6-9	135
﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾	22	57-181
﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ﴾	26	118
﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا ﴾	36	147
الفُرْقَانُ		
﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾	33	د
الشُّعَرَاءُ		
﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾	193-194	19
﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾	54	23
النَّمْلُ		
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ ﴾	18	158
القَصَصُ		
﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾	26	66
لُقْمَانُ		
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾	34	16

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الأحزاب		
﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾	7	127
﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾	40	109
الشورى		
﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾	13	127
الزخرف		
﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾	57	49
الأحقاف		
﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى ﴾	17	73
﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾	35	127
الفتح		
﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾	18	25
الحجرات		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ ﴾	6	59
القمر		
﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾	17	د
المجادلة		
﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾	1	18-76-70
التحريم		
﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ﴾	10	119
﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ ﴾	11	174
﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ ﴾	12	125-57
القلم		

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾	4	125
﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾	48	107
عَبَسَ		
﴿ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴾	2	65
التكوير		
﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴾	22	107
الليل		
﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴾	18-17	-143 170
الشمس		
﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَـٰهَا ﴾	15-13	124-63
القدر		
﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴾	2-1	60
المسد		
﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾	1	107-57
﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾ ﴾	5-4	102-37
الكوثر		
﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾	3	58

2- فـهرس الأحـاديـث النّـبويـة:

طرف الحـديـث	راوي الحـديث	الصفحة
أنّ موسى قام خطيبا في بني إسرائيل...	أبيُّ بنُ كعبٍ	83
أُنزلتْ ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾ في ابن أمّ مكتوم الأعمى...	عائشة رضي الله عنها	66
بلغُوا عنّي ولو آية، وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ...	عبد الله بن عمرو	86
الزّمان قدِ استدارَ كهيئتِهِ يومَ خلقَ اللهُ السَّمواتِ والأرضَ، السَّنةُ اثنا عشرَ شهْرًا، منها أربعةٌ حرمٌ...	أبو بكرةَ	23
شغلونا عن الصّلاة الوسطى صلاة العصر، ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارًا...	علي بن أبي طالب	142
شغلونا عن الصّلاة الوسطى صلاة العصر، ملأ الله أجوافهم وقبورهم نارًا...	عبد الله بن مسعود	142
طلبت اسم هذا الرجل أربع عشرةَ سنةً...	عكرمة مولى ابن عباس	12
ظاهرَ منّي زوجي أوسُ بنُ الصَّامتِ،...	خولةَ بنتِ مالكِ بنِ ثعلبةَ	76-18
العشْرَ الآياتِ كلُّها في براءتِي...	عائشة رضي الله عنها	58
فينَا نزلتْ ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا ﴾...	جابر بن عبد الله	72 ،71
كان مروانُ على الحجازِ، استعملَه معاويةُ...	يوسف بن مَاهَك	75
كنتُ أريدُ أن أسألَ عُمرَ عن المرأتين اللّتين	عبد الله بن عباس	11
كنت أنا وأمّي من المستضعفين...	عُبَيدِ الله بن أبي يزيد	21
كيف سمعتَ أباكَ يذكرُ في المسجدِ الذي أسِّسَ على التَّقوى....	أبو سلمة بن عبد الرحمان	10- 65

لّما قدم كعب بن الأشرف مكّة قالت له قريش	عبد الله بن عباس	72 -59
لّما بايع معاوية لابنه، قال مروان سنّة أبي بكر...	محمّد بنِ زياد	75
اللّهمَّ الرفيقُ الأعلَى.	عائشة رضي الله عنها	49
اللّهم سلّط عليه كلبًا من كلابك...	أبو عبيد	156
يجتمعُ المؤمنون يوم القيامة...	أنس بن مالك	81

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

4- فـــهرس الأعـــلام المـترجم لهـم[1]:

الأعـــــــــــلام	الصفـحة
حـــــرف الألـــــف (أ)	
أبو ياسر بن أخطب	162
أحمد بن فارس	3
أحمد بن مصطفى المراغي	101
أحمد بن يوسف بن أحمد بن يوسف السلمي (ابن فرتون)	32
الأخنس بن شَريق	51
إسماعيل باشا بن محمد أمين	33
إسماعيل بن عبد الرّحمن السّدي	26
إسماعيل بن عمر ابن كثير	19
أنس بن مالك بن النضر	81
أوس بن الصامت	18
أيوب بن موسى أبو البقاء الكفوي	4
حـــــرف البـــــاء (ب)	
بدر الدّين ابن جماعة	6
بدر الدين الزركشي	14
حـــــــــرف الجـــــيم (ج)	
جابر بن عبد الله الأنصاري	71
جلال الدين عبد الرحمان السيوطي	9
جمال الدين (أو محمد جمال الدين) بن محمد سعيد بن قاسم الحلاّق القاسمي	108
جمال الدّين ابن منظور الإفريقي	4
حـــــــــرف الحـــــــاء (ح)	

[1] – وقد رتبتها ترتيبًا ألفبائيًا على حسب ترتيب حروف المعجم.

الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم الأصفهاني	5
الحسين بن مسعود بن محمد البغوي	24
حيي بن أخطب	162
حـــــــــرف الخـــــــاء (خ)	
خالد بن عثمان بن علي السبت	6
خباب بن الأرتّ	173
خولة بنت ثعلبة	18
حـــــــــرف الـــــــراء (ر)	
رافع بن حريملة	52
الربيع بن أنس البكريّ	133
حـــــــــرف الـــــــزاي (ز)	
زيد بن ثابت	141
زيد بن حارثة	109
زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب	26
حـــــــــرف الســـــين (س)	
سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن الأبْجَرِ أبو سعيد الخدري	10
سعيد بن جبير	55
حـــــــــرف الشـــــين (ش)	
شهاب الدين الألوسي	100
شهاب الدين ابن حجر العسقلاني	35
حـــــــــرف الضـــــاد (ض)	
ضمرة بن أبي العيص	55
حـــــــرف العـــــــين (ع)	
العاص بن وائل بن هاشم	172
عبد الجواد خلف محمد عبد الجواد	6

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عبد الحق بن غالب بن غالب بن عطية الأندلسي	19
عبد الرّحمانِ بنُ أبي سعيدٍ الخُدرِيِّ	10
عبد الرّحمان بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السّهيلي	5
عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي بكر	73
عبد الرحمن بن عوف	9
عبد الرّحمان بن محمد أبي حاتم (ابن أبي حاتم)	26
عبد الرحمن بن زيد بن أسلم	133
عبد الرّحمن بن صخر الدوسي المعروف بأبي هريرة	81
عبد الرحمن بن عبد الله أبي بكر الصّديق	73
عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمّد الجرجاني	104
عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي	119
عبد الله بن بريدة بن الحصيب الأسلمي	134
عبد الله بن قيس	65
عبد الله بن عباس بن عبد المطّلب	11
عبد الله بن عبد الله بن سلامة الأُدْكَاوِي	38
عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة	22
عبد الله بن وهب بن مسلم الفهري	88
عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج	25
عُبَيد الله بن أبي يزيد المكي	21
عبيد الله بن عبد الله بن عتبة	58
عطاء بن أسلم بن صفوان	137
عكرمة بن عبد الله مولى ابن عباس	12
علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرّماني	123
عمرو بن مرّة بن عبد الله	138
عمروا بن هشام بن المغيرة	165

عويمر بن أبي الأبيض العجلاني	135
حـــــــرف الـــــــفاء (ف)	
فنحاص ابن عازوراء	162
حـــــــرف الـــــقاف (ق)	
قبيصة بن ذؤيب	142
قتادة بن دِعامة السدوسي	91
حـــــــرف الكـــــــاف (ك)	
كعب بن الأشرف الطّائي	59
كعب بن ماتع بن ذي هجن (كعب الأحبار)	84
كعب بن مالك	167
حـــــــرف الـــــــلام (ل)	
لبابة بنت الحارث بن حزن الهلالية (أم الفضل)	21
حـــــــرف المـــــــيم (م)	
مجاهد بن جبر	25
مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد الشّيرازيّ الفيروز آباديّ	111
محمد الطّاهر بن عاشور	19
محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي (أبو منصور الأزهري)	3
محمد بن أحمد بن جزي الكلبي	56
محمد بن أحمد بن سعيد (ابن عقيلة المكي)	14
محمّد بن الحبيب	148
محمد بن جرير الطبري	17
محمّد بن سليمان بن أحمد بن إبراهيم الزّهري	31
محمّد بن عبد الرّحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدّين القزويني	104
محمّد بن علي بن أحمد بن محمّد الأوسي البلَنْسِي	9
محمّد بن علي بن عبيد الله بن الخضر بن هارون ابن عسكر الغسّاني	8

محمّد بن علي بن يحيى الغرناظي (الشّامي)	32
محمد بن عمر بن الحسن فخر الدين الرازي	112
محمد بن عمر بن مبارك بن الحضرمي المشهور بـــ: بَحْرَق	37
محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، أبو السعود	113
محمّد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزّهري	57
محمّد عبد العظيم الزرقاني	70
محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري	101
مرارة بن الرّبيع	167
مروان بن الحكم بن أبي العاص	74
مساعد بن سليمان بن ناصر الطّيار	7
مسطح بن أثاثة	58
مصطفى بن عبد الله القسطنطينيّ (حاجي خليفة)	33
معاوية بن أبي سفيان	74
مقاتل بن حيّان	138
حـــــــرف الـــــنون (ن)	
النّضر بن الحارث	165
نفيع بن الحارث (أبو بكرة رضي الله عنه)	23
نوف بن فضالة الحميري البكالي	83
حـــــــرف الـــــــهاء (هـــ)	
هلال بن أمية	167
حـــــــرف الـــــواو (و)	
الوليد بن عقبة بن أبي معيط	59
وهب بن زيد	52
وهب بن منبّه	84
حـــــــرف اليـــــــاء (ي)	

يحيى بن سلاّم بن أبي ثعلبة التّيمي	120
يوسف بن ماهك	74

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3- فـــهرس المصـادر والمـراجـع[1]:

القرآن الكريم. برواية حفص عن عاصم.

حرف الألف (أ)

1- الإتقان في علوم القرآن. جلال الدّين السّيوطي. تحقيق: مركز الدراسات القرآنية: المملكة العربية السعودية.

2- أخبار القضاة. لوكيع محمّد بن خلف بن حيّان. مراجعة: سيّد محمّد اللّحام. دار عالم الكتب: مصر.

3- اختلاف السّلف في التّفسير بين التّـــنظير والتّـــطبيق. محمّد صالح محمّد سليمان. تقديم: مساعد بن سليمان الطّيار، أحمد سعد الخطيب. دار ابن الجوزي: الرّياض. ط1، 1430هـــ.

4- إرشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم. لأبي السّعود بن محمّد العمادي الحنفي. تحقيق: عبد القادر أحمد عطا. مطبعة السّعادة: مصر. النّاشر: مكتبة الرّياض الحديثة: الرّياض.

5- أسباب اختلاف المفسّرين. محمّد بن عبد الرحمن بن صالح الشّايع. مكتبة العبيكان: الرّياض. ط1، 1416هـــ، 1995م.

6- أسباب النّزول. لأبي الحسن الواحدي النّسابوري. تحقيق: عصام عبد المحسن الحميدان. دار الإصلاح: الدّمام. ط2، 1412هـــ، 1992م.

7- الاستيعاب في أسماء الأصحاب. لأبي عمر يوسف بن عبد البر النّمري القرطبي. دار الفكر: بيروت. 1426هـــ، 2006م.

8- الاستيعاب في معرفة الأصحاب. ابن عبد البر. صححه وخرج أحاديثه: عادل المرشد. دار الأعلام: الأردن. ط1، 1423هـــ، 2002م.

[1] – يكون ترتيبها وفق حروف المعجم.

9- أسد الغابة في معرفة الصّحابة. لعزّ الدّين ابن الأثير أبي الحسن علي بن محمّد الجزري. تحقيق وتعليق: علي محمّد معوض، أحمد عادل عبد الموجود. دار الكتب العلمية: بيروت.

10- الإسرائيليات في التّفسير والحديث. محمّد حسين الذهبي. مكتبة وهبة: القاهرة.

11- الإسرائيليات في تفسير الطبري دراسة في اللغة والمصادر العبرية. آمال محمّد عبد الرّحمان ربيع. القاهرة.1422هـ ، 2001م.

12- الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير. رمزي نعناعة. دار القلم: دمشق، دار ضياء: بيروت. ط1، 1390هـ،1970م.

13- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير. محمّد بن محمّد أبو شَهْبَة. مكتبة السّنة: القاهرة. ط4، 1408هـ.

14- أصول التّفسير وقواعده. خالد عبد الرّحمان العك. دار النّفائس: بيروت. ط2، 1406هـ، 1986م.

15- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. محمّد الأمين الشّنقيطي. إشراف: بكر أبو زيد. دار علم الفوائد: مكّة المكرمة. ط1، 1426هـ.

16- إعجاز القرآن. عبد القاهر الجرجاني. قرأه وعلّق عليه: محمّد محمود شاكر. مكتبة الخانجي: القاهرة.

17- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرّجال والنّساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. خير الدّين الزّركلي. دار العلم للملايين: بيروت. ط15، 2002م.

18- إمتاع الأسماع بما للنّبي صلّى الله عليه وسلّم من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع. تقي الدّين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمّد المقريزي. تحقيق وتعليق: محمّد عبد الحميد النّميسي. دار الكتب العلمية: بيروت. ط1، 1420هـ، 1999م.

19- إنباه الرّواة على أنباه النّحاة. جمال الدّين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي. تحقيق: أبو الفضل إبراهيم. دار الفكر العربي: مصر، مؤسسة الكتب الثّقافية: بيروت. ط1، 1406هـ، 1986م.

20- أنواع التّصانيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم. مساعد بن سليمان الطّيار. دار ابن الجوزي: المملكة العربية السّعودية. ط2، 1423هـ.

21- الإيضاح في علوم البلاغة. الخطيب القزويني. دار الكتب العلمية: بيروت.

حرف الباء (ب)

22- بحوث منهجية في علوم القرآن الكريم. موسى إبراهيم الإبراهيم. دار عمّار: الأردن. ط2، 1416هـ، 1996م.

23- البداية والنّهاية. لعماد الدّين أبي الفداء ابن كثير. تحقيق: عد الله بن عبد المحسن التّركي. دار هجر: مصر. ط1، 1418هـ.

24- البدر الطّالع بمحاسن من بعد القرن السابع. محمّد بن علي الشوكاني. دار الكتب العلمية: بيروت.

25- البرهان في علوم القرآن. بدر الدّين الزّركشي. تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم. دار التّراث: مصر. ط1، 1404هـ، 1984م.

26-بغية المُلْتمس في تاريخ رجال الأندلس. الضّبّي. تحقيق: إبراهيم الأبياري. دار الكتاب المصري: القاهرة، دار الكتاب اللبناني: بيروت. ط1، 1410هـ، 1989م.

27- بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة. جلال الدّين السّيوطي. تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم. دار الفكر: بيروت. ط2، 1399هـ، 1979م.

28- البلاغة العربية أُسُسُها، عُلُومها، وفُنُونها. حبنكة الميداني. دار القلم: دمشق، الدّار الشّامية: بيروت. ط1، 1416هـ، 1996م.

29- البيان في ضوء أساليب القرآن. عبد الفتاح لاشين. دار الفكر العربي: القاهرة. ط2، 1418هـ، 1998م.

حرف التاء (ت)

30- تاريخ قضاة الأندلس. أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النُباهي الأندلسي. تحقيق: لجنة إحياء التّراث العربي في دار الآفاق. دار الآفاق: بيروت. ط5، 1403هـ، 1983م.

31- تتمة جامع الأصول في أحاديث الرّسول. ابن الأثير.حققه: بشير محمّد عيون. دار الفكر: بيروت.

32- التّحبير في علم التّفسير.جلال الدّين السّيوطي. تحقيق: فتحي عبد القادر فريد. دار العلوم: الرّياض. ط1، 1402هـ، 1982م.

33- تذكرة الحفّاظ. لأبي عبد الله شمس الدّين محمّد الذّهبي. دار الكتب العلمية: بيروت.

34- التسهيل لعلوم التّنـــزيل. لأبي القاسم محمّد بن أحمد بن جزي الكلبي. ضبطه وصححه وخرّج آياته: محمّد سالم هاشم. دار الكتب العلمية: بيروت. ط1، 1415هـ، 1995م.

35- التّصوير الفنّي في القرآن الكريم. سيّد قطب. دار الشروق: القاهرة. ط16، 1423هـ، 2002م.

36- تفسير البحر المحيط. لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي. دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض. شارك في تحقيقه: زكريا عبد المجيد النوني. قرظه: عبد الحي الفرماوي. دار الكتب العلمية: بيروت. ط1، 1413هـ، 1993م.

37- تفسير التّابعين عرض ودراسة مقارنة. محمد بن عبد الله بن علي الخضيري. دار الوطن للنشر: الرياض.

38- تفسير التّحرير والتّنوير. محمّد الطاهر بن عاشور. الدّار التّونسية للنّشر: تونس. ط1، 1984م.

39- تفسير حدائق الرّوح والرّيحان في روابي علوم القرآن. محمّد الأمين بن عبد الله الأرميّ العلوي الهرري الشّافعي. إشراف ومراجعة: هاشم محمّد علي بن حسين مهدي. دار طوق النّجاة: بيروت. ط1، 1421هـ، 2001م.

40- تفسير فخر الرّازي المشتهر بالتفسير الكبير أو مفاتيح الغيب. محمد الرازي فخر الدين ابن ضياء الدين عمر. دار الفكر: بيروت. ط1، 1401هـ، 1981م.

41- تفسير القرآن العزيز. لأبي عبد الله محمّد بن عبد الله بن أبي زمنين. تحقيق: حسين بن عكّاشة، محمّد مصطفى الكنز. دار الفاروق: مصر. ط1، 1423هـ، 2002م.

42- تفسير القرآن العظيم. لأبي الفدا إسماعيل ابن كثير. تحقيق: سامي محمّد السّلامة . دار طيبة: الرياض. ط2، 1420هـ، 1999م.

43- تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله والصّحابة والتّابعين . عبد الرّحمن بن محمّد ابن إدريس الرّازي بن أبي حاتم. تحقيق: أسعد محمّد الطّيب. مكتبة نزّار الباز: مكة المكرّمة. ط1، 1417هـ، 1997م.

44- تفسير مبهمات القرآن الموسوم بصلة الجمع وعائد التّذييل لموصول كتابي الإعلام والتّكميل.لأبي عبد الله محمّد بن علي البلنسيّ. تحقيق: حنيف بن حسن القاسمي. دار الغرب الإسلامي: بيروت.ط1، 1411هـ، 1991م.

45- تفسير المراغي. أحمد مصطفى المراغي. مكتبة مصطفى الحلبي وشركاؤه: القاهرة . ط1، 1365هـ، 1946م.

46- تفسير مقاتل بن سليمان. مقاتل بن سليمان. دار الكتب العلمية: بيروت.ط1، 1424هـ، 2003م.

47- التّفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. وهبة بن مصطفى الزّحيلي. دار الفكر: بيروت. 1418هـ.

48- التّعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام. عبد الرّحمان السّهيلي. تحقيق عبد الله محمّد علي النقراط. منشورات الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي: طرابلس. ط1، 1401هـ، 1992م.

49- التّعريف والإعلام. عبد الرّحمان السّهيلي. تحقيق: عبد الإله علي مهنّا. دار الباز: مكة المكرّمة. ط1، 1407هـ، 1987م.

50- التّعليقات الحسان على صحيح ابن حبان. محمّد ناصر الدين الألباني. دار باوزير.

51- التّكميل والإتمام لكتاب التّعريف والإعلام . محمّد بن علي الخضِر الغسّاني(ابن عسكر). تحقيق: حسن مروة. دار الفكر: دمشق، ودار الفكر المعاصر: بيروت. ط1، 1418هـ،1997م.

52- تهذيب تهذيب الكمال في أسماء الرّجال. لشمس الدّين أبي عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان الشهير بالذّهبي. تحقيق: غنيم عبّاس غنيم، مجدي السّيد أمين. دار الفاروق الحديثة: القاهرة. ط1، 1425هـ، 2004م.

53- تهذيب الكمال في أسماء الرجال. لجمال الدّين أبي الحجاج يوسف المزي. مؤسسة الرّسالة: بيروت. ط2، 01403هـ، 1983م.

54- تهذيب اللغة. لأبي منصور الأزهري. تحقيق: عبد السّلام هارون.

55- تهذيب اللّغة. لأبي منصور محمّد بن أحمد الأزهري. تحقيق: محمّد عبد المنعم خفاجي، محمود فرج العقدة. راجعه: علي محمّد البجاوي. الدار المصرية للتّأليف والترجة: مصر.

56- تيسيرُ الكريم الرّحمان في تفسير كلام المنّانِ. عبد الرّحمان بن ناصر السّعدي. تحقيق: محمّد زهري النّجار. دار عالم الكتب: بيروت. ط2، 1414هـ، 1993م.

57- تيسير الكريم الرّحمان في تفسير كلام المنّان. عبد الرّحمان بن ناصر السّعدي. قدّم له: عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل، محمّد بن صالح العثمين. مؤسسة الرّسالة: بيروت. ط1، 1423هـ، 2002م.

حرف الثّاء (ث)

58- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.النكت في إعجاز القرآن. للرّماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني. تحقيق: محمّد خلف اله أحمد، محمّد زغلول سلاّم. دار المعارف: مصر.

حرف الجيم (ج)

59- جامع البيان عن تأويل آي القرآن. لأبي جعفر محمّد بن جرير الطّبري. تحقيق: عبد المحسن التّركي. دار هجر: مصر. ط1، 1422هـ، 2001م.

60- جامع البيان عن تأويل آي القرآن. لأبي جعفر محمد بن جرير الطّبري. حققّه وعلّق حواشيه: محمود محمّد شاكر. راجعه وخرّج أحاديثه: أحمد محمود شاكر. مكتبة ابن تيمية: القاهرة.

61- جامع البيان في تفسير القرآن. محمّد بن عبد الرّحمان بن محمّد بن عبد الله الإيجي الشّيرازي. تحقيق: عب الحميد هنداوي. دار الكتب العلمية: بيروت. ط1، 1424هـ، 2004م.

62- الجامع الصحيح. مسلم بن الحجاج. تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي. دار الحديث: مصر.

63- الجامع الصحيح. محمّد بن إسماعيل البخاري. تحقيق: محب الدين الخطيب. المطبعة السّلفية: مصر. ط1، 1400هـ.

64- الجامع الصحيح. محمد بن إسماعيل البخاري. دار ابن كثير: دمشق. ط1، 1423هـ، 2002م.

65- الجامع الصّحيح. محمّد بن إسماعيل البخاري. اعتنى به: أبو عبد الله عبد السّلام بن محمّد بن عمر علوش. مكتبة النّاشرون: الرّياض. ط2، 1427هـ، 2006م.

66- الجامع الصحيح. محمد بن إسماعيل البخاري. اعتنى به: أبو صهيب الكرمي. دار بيت الأفكار الدّولية: الرياض. 1419هـ، 1998م.

67- الجامع لأحكام القرآن والمُبيّنُ لما تضمَّنَه من السّنة وآي الفرقان.لأبي عبد الله محمَّدِ بنِ أحمدِ بن أبي بكرٍ الأنصاي القُرطبيِّ. تحقيق: عبد الله عبد المحسن التّركي. مؤسسة الرّسالة: بيروت.ط1، 1427هـ، 2006م.

68- الجواهر الحسان في تفسير القرآن. تحقيق: كوكبة من الباحثين. عبد الرّحمان الثعالبي. دار إحياء التّراث العربي، مؤسسة التّاريخ العربي: بيروت. ط1، 1418هـ، 1997م.

69- الجواهر والدّرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر. شمس الدين محمّد بن عبد الرحمان بن محمّد السّخاوي. تحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد. دار ابن حزم: بيروت. ط1، 1419هـ، 1999م.

70- جمهرة اللغة. ابن دريد. دائرة المعارف.

حرف الحاء (ح)

71- الحذف البلاغي في القرآن الكريم. مصطفى عبد السّلام أبو شادي. مكتبة القرآن: القاهرة.

72- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة. جلال الدين عبد الرّحمان السّيوطي. تحقيق: أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية: مصر. ط1، 1387هـ، 1927هـ.

73- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني. دار الكتب العلمية: بيروت. ط1، 1409هـ، 1988م.

حرف الخاء (خ)

74- خصائص بناء الجملة القرآنية ودلالتها البلاغية في تفسير التّحرير والتّنوير. رسالة دكتوراه. إعداد: إبراهيم علي الجعيد. إشراف: محمّد محمّد أبو موسى. جامعة أمّ القرى. كلية اللّغة العربية. 1419هـ، 1999م.

حرف الدال (د)

75- الدّرر الكامنة في أعيان المائة الثّامنة. شهاب الدّين أحمد بن علي ابن محمّد بن علي بن أحمد (ابن حجر العسقلاني). دار الجيل: بيروت. 1414هـ، 1993م.

76- الدّر المأثور في التّفسير بالمأثور. جلال الدّين السّيوطي. تحقيق: عبد الله عبد المحسن التّركي. ط1، 1424هـ، 2003م.

77- دلائل الإعجاز. عبد القاهر الجرجاني. علّق عليه: محمّد محمود شاكر. مكتبة الخانجي: القاهرة.

78- الدّيباج المُذهب في معرفة علماء أعيان المذهب. القاضي إبراهيم بن نور الدّين المعروف بابن فرحون. تحقيق: مأمون بن محـــي الدّين. دار الكتب العلمية: بيروت. ط1، 1417هـــ، 1996م.

حرف الراء (ر)

79- رجال صحيح مسلم. لأبي بكر أحمد بن علي بن منجويه الأصبهاني. تحقيق: عبد الله اللّيثي. دار المعرفة: بيروت. ط1، 1407هـــ، 1987م.

80- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي. دار إحياء التراث العربي: بيروت.

81- رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز. عزّ الدّين عبد الرزّاق بن رزق الله الرسْعَني الحنبلي. دراسة وتحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهَيش. مكتبة الأسدي: مكّة المكرّمة. ط1، 1429هـــ، 2008م.

حرف الزاي (ز)

82- زاد المسير في علم التّفسير. لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي. المكتب الإسلامي: بيروت ، دمشق. ط3، 1404هـــ، 1984م.

حرف السين (س)

83- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر. لأبي الفضل محمّد خليل بن علي المرادي. دار الكتاب الإسلامي: القاهرة.

84- سنن أبي داود. سليمان بن الأشعث السّجستاني. اعتنى به: مشهور حسن سلمان. مكتبة المعارف: الرّياض.

85- سنن أبي داود. سليمان بن الأشعث السجستاني.كتاب الطّلاق. تحقيق: محمّد عوامة. دار القبلة للثقافة الإسلامية: جدة، مؤسسة الرّيان: بيروت، المكتبة المكية: مكة. ط1، 1419هـ، 1998م.

86- سنن ابن ماجة. لأبي عبد الله محمّد بن يزيد القزويني. اعتنى بها: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. مكتبة المعارف: الرياض. ط1.

87- السنن الكبرى. لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي. تحقيق: محمّد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية: بيروت. ط3، 1424هـ، 2003م.

88- السنن الكبرى. لأبي عبد الرّحمان أحمد بن شعيب النّسائي. تحقيق وتخريج: حسن عبد المنعم شلبي. مؤسسة الرّسالة: بيروت. ط1، 1421هـ، 2001م.

89- سير أعلام النّبلاء. شمس الدّين محمّد بن أحمد بن عثمان الذّهبي. مؤسسة الرّسالة: بيروت. ط1، 1405هـ، 1985م.

90- السّيرة النبوية. لأبي عبد الملك بن هشام المعافري. حققها: مصطفى السّقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي.

91- السّيرة النّبوية. لأبي عبد الملك بن هشام المعافري. تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللّحام. تقديم ومراجعة: صدقي جميل العطّار. دار الفكر: بيروت. 1424هـ، 2003م.

حرف الشين (ش)

92- شجرة النّور الزّكية في طبقات المالكية. محمّد بن محمّد مخلوف. المطبعة السّلفية: القاهرة.

93- شذرات الذّهب في أخبار من ذهب. لشهاب الدّين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمّد العكري (ابن عماد الحنبلي). تحقيق: محمود الأرناؤوط. دار ابن كثير: دمشق، بيروت. ط1، 1413هـ.

94- شرح مقدمة التفسير لابن تيمية. محمّد بن صالح العثيمين. إعداد :عبد الله بن محمّد بن أحمد الطّيار. دار الوطن: الرياض. ط1، 1415هـ ،1995م.

95- شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية. مساعد بن سليمان الطّيار. دار ابن الجوزي: الرّياض. ط2، 1428هـ.

حرف الصاد (ص)

96- الصّحاح. إسماعيل بن حماد الجوهري. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار. دار العلم للملايين: بيروت. ط4، 1990م.

حرف الطاء (ط)

97- طبقات الشافعية. لأبي بكر بن أحمد بن محمد تقي الدين ابن القاضي شهبة. اعتنى بتصحيحه وعلّق عليه ورتب فهارسه: حافظ عبد العليم خان. دائرة المعارف العثمانية: الهند. ط1، 1399هـ، 1979م.

98- طبقات المفسّرين. عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. تحقيق: علي محمد عمر. مكتبة وهبة: القاهرة. ط1، 1396هـ.

حرف العين (ع)

99- علوم القرآن بين البرهان والإتقان. حازم سعيد حيدر. مكتبة دار الزّمان: المدينة المنوّرة . 1420هـ.

100- عمدة التّفاسير عن الحافظ ابن كثير. أحمد شاكر. دار الوفاء: مصر. ط2، 1426هـ، 2005م.

حرف الغين (غ)

101- غاية النّهاية في طبقات القرّاء. ابن الجزري. دار الكتب العلمية: بيروت. ط1، 1427هـ، 2006م.

102- غرر البيان في من لم يسم في القرآن. بدر الدّين محمّد بن إبراهيم بن سعد الله ابن جماعة. دراسة تحقيق: عبد الجواد خلف. دار قتيبة: بيروت. ط1، 1410هـ، 1990م.

103- غرر التبيان في من لم يسمّ في القرآن. بدر الدّين محمّد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة المعروف :بابن جماعة. دراسة وتحقيق: عبد الجواد خلف. دار قتيبة: دمشق. ط1، 1410هـ، 1990م.

104- غريب كلمات صحيح البخاري. عبد المتعال محمّد الجبري.

حرف الفاء (ف)

105- الفائق في غريب الحديث: محمود جار الله الزمخشري. تحقيق: علي محمّد البجاوي، أبو الفضل إبراهيم. مكتبة عيسى بابلي الحلبي وشركاؤه. ط2.

106- فتح الباري بشرح صحيح البخاري . أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. تعليق عبد الرحمان بن النّاصر البرّاك. دار طيبة: الرّياض. ط1، 1426هـ ، 2005م.

107- فتح الباري بشرح صحيح البخاري. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. قرأ أصله تصحيحًا وتحقيقًا: عبد العزيز بن عبد الله بن باز. المكتبة السّلفية.

108- فتح القدير. الشّوكاني. تحقيق: عبد الرّحمان عميرة. وضع فهارسه وشارك في تخريج أحاديثه: لجنة التحقيق والبحث العلمي بدار الوفاء.

109- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات. عبد الحي بن عد الكبير الكتاني. إعتناء: إحسان عبّاس. دار الغرب الإسلامي: بيروت. ط2، 1402هـ، 1982م.

110- فنون بلاغية البيان والبديع. أحمد مطلوب. دار البحوث العلمية: الكويت. ط1، 1395هـ، 1975م.

حرف القاف (ق)

111- القاموس المحيط. مجد الدّين محمّد بن يعقوب الفيروزبادي. تحقيق: مكتب تحقيق التّراث في مؤسسة الرّسالة. مؤسسة الرّسالة: بيروت. ط8، 1426هـ، 2005م.

112- قصص الأنبياء . محمّد متولي الشّعراوي. مكتبة التّراث الإسلامي: القاهرة. النّاشر: دار الكتب العلمية: لبنان.

113- قصص القرآن. حمدي بن محمّد نور الدين آل نوفل . مكتبة المورد : القاهرة. ط1، 1423هـ، 2002م.

114- القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث. صلاح عبد الفتّاح خالدي. دار القلم: دمشق. ط1، 1419هـ، 1998م.

115- القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع تطبيق لقصتي آدم ويوسف. عبد الكريم الخطيب. دار المعرفة: بيروت. ط2، 1395هـ، 1975م.

116- قواعد الترجيح عند المفسّرين. حسين بن علي بن حسين الحربي. دار القاسم: الرّياض. ط1، 1417هـ، 1996م.

117- قواعد التّرجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية. حسين بن علي ن حسين الحربي. راجعه وقدم له: منّاع القطان. دار القاسم: الرياض. ط2، 1429هـ، 2008م.

118- قواعد التّفسير. خالد بن عثمان السّبت. دار ابن عفّان: القاهرة. ط1، 1420هـ، 1999م.

حرف الكاف (ك)

119- كتاب الطّبقات الكبير. لمحمّد بن سعد بن منيع الزّهري. تحقيق: علي محمّد عمر. مكتبة الخانجي: القاهرة. ط1، 1421هـ، 2001م.

120- الكشاف عن غوامض التنـــزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل. لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزّمخشري. تحقيق وتعليق ودراسة: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمّد معوض. شارك في التحقيق: فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي. مكتبة العبيكان: الرياض. ط1، 1418هـ، 1998م.

121- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. مصطفى بن عبد الله الشّهير بحاجي خليفة. تحقيق: محمّد شرف الدين، رفعت بيلكه. دار إحياء التّراث العربي: بيروت.

122- الكشف والبيان. أبو إسحاق أحمد المعروف بالثّعلبي. دراسة وتحقيق: أبي محمّد بن عاشور. دار إحياء التّراث العربي: بيروت. ط1، 1422هـ، 2002م.

123- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللّغوية. لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي. مؤسسة الرسالة: بيروت. ط2، 1419هـ، 1998م.

حرف اللام (ل)

124- لباب النّقول في أسباب النّزول. جلال الدّين السّيوطي. مؤسسة الكتب الثقافية: بيروت. ط1، 1422هـ، 2002م.

125- اللباب في علوم الكتاب. لأبي حفص عمر بن عليّ بن عادل الدّمشقي الحنبليّ. تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض. دار الكتب العلمية: بيروت. ط1، 1419هـ، 1998م.

126- لسان العرب. محمّد بن مكرم بن منظور. دار المعارف: القاهرة.

127- لسان الميزان. ابن حجر العسقلاني. اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدّة. اعتنى بإخراجه وطباعته: سلمان عبد الفتاح أبو غدة. مكتب المطبوعات الإسلامية.

حرف الميم (م)

128- مباحث في علوم القرآن. منّاع القطان. مطبعة المدني: المؤسسة السّعودية بمصر. النّاشر: مكتبة وهبة: القاهرة. ط11، 1421هـ، 2000م.

129- مباحث في مبهمات القرآن سورتي الفاتحة والبقرة. عبد الجواد خلف. دار البيان: مصر. ط1، 1412هـ، 1992م.

130- المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر. لضياء الدّين ابن الأثير. تقديم وتعليق: أحمد الحوفي، بَدَوي طبانة. دار النّهضة: مصر.

131- محاسن التأويل. محمّد جمال الدّين القاسمي. تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء الكتب العربية: مصر. ط1، 1376هـ، 1957م.

132- المحرر الوجيز. ابن عطية الأندلسي. تحقيق: عبد السّلام عبد الشافعي. دار الكتب العلمية: بيروت. ط1، 1422هـ، 2001م.

133- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. لأبي محمّد عبد الحق بن عطية الأندلسي. مطبوعات وزارة الشؤون الدينة: قطر. ط2، 1428هـ، 2007م.

134- محيط المحيط. بطرس البستاني. مكتبة لبنان: لبنان. 1987م.

135- مدارك التّنزيل وحقائق التأويل. لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النّسفي. تحقيق: سيّد زكريا. مكتبة نزار مصطفى الباز.

136- مدارك التّنزيل وحقائق التّأويل. لأبي البركات عبد الله بن محمود النّسفي. حققه: يوسف عليّ بديوي. دار الكلم الطّيب: دمشق. ط1، 1419هـ، 1998م.

137- المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الإسلامية .شعبان محمّد إسماعيل. دار الأنصار: مصر. ط1، 1400هـ، 1980م.

138- مراصد الاطّلاع على أسماء الأمكنة والبقاع. لصفيّ الدّين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي. تحقيق: علي محمّد البجاوي. دار الجيل: بيروت. ط1، 1412هـ، 1992م.

139- المستدرك على الصحيحين. الحاكم النّيسابوري. دار الحرمين: القاهرة. ط1، 1417هـ، 1997م.

140- مسند أحمد بن حنبل. أحمد بن حنبل. أشرف على تحقيقه: شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة: بيروت. ط1، 1419هـ، 1999م.

141- معالم التّنزيل. لأبي محمّد الحسين بنِ مسعود البغوي. تحقيق: محمّد عبد الله النّمر، سليمان مسلم، عثمان جمعة. دار طيبة: الرّياض. ط1، 1409هـ، 1989م.

142- معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب. ياقوت الحموي. تحقيق: إحسان عبّاس. دار الغرب الإسلامي: بيروت. ط1، 1993م.

143- معجم المؤلفين تراجم مصنّفي كتب العربية. عمر رضا كحالة. مؤسسة الرسالة: بيروت. ط1، 1414هـ، 1993م.

144- معجم البلدان. لشهاب الدّين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي. دار صادر: بيروت. 1397هـ، 1977م.

145- معجم مقاييس اللغة .لأبي الحسين أحمد ابن فارس. تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون. دار الفكر: بيروت.1399هـ، 1989م.

146- مفحمات الأقران في مبهمات القرآن. جلال الدّين السّيوطي. تحقيق: مصطفى ديب البغا. دار الهدى: الجزائر.

147- المفردات في غريب القرآن . لأبي القاسم الحسين بن محمّد (الرّاغب الأصفهاني). تحقيق: محمّد سيّد كيلاني. دار المعرفة: بيروت.

148- مقالات في التفسير وعلوم القرآن. مساعد بن سليمان الطيار. دار المحدّث: الرّياض. ط1، 1425هـ.

149- المقدمات الأساسية في علوم القرآن. عبد الله بن يُوسف الجُدَيْع. مركز البحوث الإسلامية: بريطانيا. توزيع: مؤسسة الرّيان: لبنان. ط1، 1422هـ،2001م.

150- مناهل العرفان في علوم القرآن.محمّد عبد العظيم الزَرْ قَاني.تحقيق: فواز أحمد زمرلي. دار الكتاب العربي: بيروت. ط1، 1415هـ، 1995م.

151- منهج المدرسة الأندلسية في التّفسير صفاته وخصائصه. فهد الرّومي. مكتبة التّوبة: الرّياض.ط1 ،1417هـ، 1997م.

152- منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير. فهد بن عبد الرّحمان بن سليمان الرّومي. ط2، 1403هـ،1983م.

153- المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج. محيي الدّين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النّووي. مؤسسة قرطبة. ط2، 1414هـ، 1994م.

154- موجز البلاغة. محمّد الطّاهر بن عاشور. المكتبة العلمية: تونس. ط1.

155- موسوعة الأسماء و الأعلام المبهمة في القرآن الكريم. عبد الله بن عبد الله بن سلامة الأدكاوي. تحقيق: مروان عطية، محسن خرابة. مكتبة العبيكان: الرياض. ط1، 1421هـ، 2001م.

156- الموسوعة القرآنية المتخصصة. إعداد: ثلة من الباحثين. إشراف وتقديم: محمد حمدي زقزوق.

حرف النون (ن)

157- النجوم الزّاهرة في ملوك مصر والقاهرة. لجمال الدّين أبي المحاسن يوسف بن تَغري بَردي الأتابكي. قدم له وعلّق عليه: محمّد حسين شمس الدّين. دار الكتب العلمية: بيروت. ط1، 1413هـ، 1992م.

158- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب. لأبي العبّاس أحمد القلقشندي. تحقيق: إبراهيم الأبياري. دار الكتاب اللبناني: بيروت. ط2، 1400هـ، 1980م.

159- النّهاية في غريب الحديث والأثر. ابن الأثير. تقديم: علي حسن الأثري. دار ابن الجوزي: المملكة العربية السعودية. ط1، 1421هـ، 2000م. ص287.

160- النّور السافر عن أخبار القرن العاشر. عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروس. حققه وضبط نصوصه وصنع فهارسه: أحمد حالوا، محمود الأرناؤوط، أكرم البوشي. دار صادر: بيروت. ط1، 2001م.

حرف الهاء (هـ)

161- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين. إسماعيل باشا البغدادي. دار إحياء التراث العربي: بيروت. 1951م.

حرف الواو (و)

162- الوافي بالوفيات. صلاح الدّين خالد بن أيبك الصّفدي. تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى. دار إحياء التّراث العربي: بيروت. ط1، 1420هـ، 2000م.

163- وفيات الأعيان وأبناءُ أبناءِ الزّمان. لأبي العبّاس شمس الدّين أحمد بن محمّد بن أبي بكر بن خلكان. تحقيق: إحسان عبّاس. دار صادر: بيروت.

❖ المخطوطات والمواقع والكتب الالكترونية:

- تلخيص كتاب التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء الأعلام. محمد بن عمر بن مبارك الحضرمي. مخطوط. مخطوطات مكتبة الأزهر: مصر. عدد الأوراق: 15. رقم النسخة: 305116.

- المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين. إعداد: أعضاء ملتقى أهل الحديث. كتاب إلكتروني.

- موقع الدكتور عبد الجواد خلف.

- موقع الدكتور مساعد الطّيار.

- موقع ملتقى أهل الحديث.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

5- فهـــرس الموضـــوعـات:

العـــــــنوان	الصفحة
مـــقدمـــة.....	6
الفصل الأوّل: مدخل إلى علم المبـــهمات.....	18
المبحث الأول: **مفهوم علم المبهمات وأهميته**.....	20
المطلب الأول: مفهومه.....	20
الفرع الأول: لغة.....	20
الفرع الثّاني: اصطلاحًا.....	22
المطلب الثاني: أهمّيته.....	25
المبحث الثّاني: صـــوره.....	32
المطلب الأوّل: مبهمات يحب التوقف فيها، ولا يجوز البحث عنه..	33
المطلب الثّاني: مبهمات يجوز البحث فيها وطلب معرفتها.....	34
الفرع الأوّل: مبهمات الأشخاص والملائكة التي أُريد بها التّعيين.....	34
الفرع الثّاني: مبهمات الجموع الذين عرف بعض أسمائهم..	37
الفرع الثّالث: مبهمات الأمكنة و الأزمنة والأعداد.....	39
الفرع الرابع: مبهمات الحيوانات والنباتات والكواكب.....	41
المبحث الثّالث: المؤلفات فيه.....	45
المطلب الأول: المؤلفات المستقلة في هذا العلم.....	45
المطلب الثّاني: عناية كتب علوم القرآن به.....	58
الفصل الثّاني: أسباب الإبهام، طرق الوصول إليه وعلاقته بمباحث علوم القرآن...	63
المبحث الأول: **أسباب الإبهام وطرق الوصول إليه**.....	65
المطلب الأول: أسباب الإبهام في القرآن.....	65
الفرع الأوّل: الاستغناء ببيانه في موضع آخر.....	65

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفرع الثّاني: أن يتعين لاشتهاره..... 67
الفرع الثّالث: قصد السّتر عليه..... 68
الفرع الرّابع: أن لا يكون في تعيينه كبير فائدة..... 71
الفرع الخامس: التنبيه على العموم..... 72
الفرع السّادس: تعظيمه بالوصف الكامل..... 76
الفرع السّابع: تحقيره بالوصف النّاقص..... 77
المطلب الثّاني: طرق الوصول إليه..... 81
الفرع الأوّل: القرآن الكريم..... 82
الفرع الثّاني: السّنة النّبوية..... 83
الفرع الثّالث: المأثور عن الصّحابة..... 84
الفرع الرّابع: المأثور عن التّابعين..... 85
المبحث الثّاني: علاقة علم المبهمات بمباحث علوم القرآن..... 88
المطلب الأوّل: علاقته بعلم أسباب النّزول..... 88
المطلب الثّاني: علاقته بعلم قصص القرآن..... 97
المطلب الثّالث: علاقته بعلم الإسرائيليات..... 103
الفصل الثالث: أساليب المبهم في القرآن الكريم..... 114
المبحث الأوّل: أسلوب التّصريح..... 116
المطلب الأوّل: مفهومه..... 116
الفرع الأوّل: لغة..... 116
الفرع الثّاني: اصطلاحًا..... 117
المطلب الثّاني: النّماذج التّطبيقية..... 117
المبحث الثّاني: أسلوب الكنايـــة..... 122
المطلب الأوّل: مفهومه..... 122
الفرع الأوّل: لغة..... 122
الفرع الثّاني: اصطلاحًا..... 123
المطلب الثّاني: النّماذج التّطبيقية..... 125

المبحث الثّالث: أسلوب التّعريض..... 130
المطلب الأوّل: مفهومه..... 130
الفرع الأوّل: لغة..... 130
الفرع الثّاني: اصطلاحًا..... 131
المطلب الثّاني: الفرق بين الكناية والتّعريض..... 132
المطلب الثّالث: النّماذج التّطبيقية..... 134
المبحث الرّابع: أسلوب الذّكر والحذف..... 140
المطلب الأوّل: مفهومه..... 140
الفرع الأوّل: لغة..... 140
الفرع الثّاني: اصطلاحًا..... 142
المطلب الثّاني: النّماذج التّطبيقـــية..... 143
المطلب الثّالث: بعض أغراضه البلاغية..... 148
الفصل الرّابع: آثـــار تعيين المبهم التّـــفسيرية..... 149
المبحث الأوّل: الاختلاف في التّفسير والاشتغال بالترجيح بين أقوال المفسّرين.. 151
المطلب الأوّل: الاختلاف في التفسير..... 151
المطلب الثاني: الاشتغال بالترجيح بين أقوال المفسّرين..... 158
المبحث الثّاني: التّوسع في الإسرائيليات والاستطراد في ذكر ما لا فائدة فيه..... 165
المطلب الأوّل: التوسع في الإسرائيليات..... 165
المطلب الثاني: الاستطراد في ذكر ما لا فائدة فيه..... 173
المبحث الثّالث: العناية بذكر سبب النّزول والوقوف على معرفة مناقب المبهمين أو مثالبهم..... 180
المطلب الأوّل: العناية بذكر سبب النّزول..... 180
المطلب الثاني: الوقوف على مناقب المبهمين أو مثالبهم..... 189
خاتمة..... 197
الفـــهارس العامة..... 202
1-فهرس الآيات القرآنية..... 203

2- فهرس الأحاديث النّبوية..... 209
3- فهرس الأعلام المترجم لهم..... 211
3- فهرس المصادر والمراجع..... 217
4- فهرس الموضوعات..... 235
ملخص البحث..... 239
ملخص البحث بالعربية..... 240
ملخص البحث بالإنجليزية..... 241

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخص البحث

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخص البحث بالعربية:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصّالحات، وبعد:

فهذا البحث المعنون بـــ: "المبهم في القرآن الكريم، أساليبه، وآثاره التّفسيريّة"، يرادُ منه دراسة المبهمات كعلم من علوم القرآن، والكشف عن أساليبه، وبناء جوانبه، ثمّ إبراز جملةٍ من الآثار التي ترتبت على الاشتغال بتعيين المبهمات وبيانها في كتب التّفسير.

وقد بُني أغلبُ هذا العمل على النّظر والاستفادة من نوعين من المؤلفات هما: كتب علوم القرآن وكتب التّفسير، ليكتمل جانباهُ النّظريّ والتّطبيقيّ.

وقد حددّ البحث في الفصل الأوّل مفهوم علم المبهمات، وشرح أهميته، وعرّف بصوره، وطرق في الفصل الثاني أسبابَه، وأوضح طرق الوصول إليه، وشرح العلاقة بين علم المبهمات وبعض علوم القرآن الأخرى، لينتقل إلى الحديث في الفصل الثالث عن أساليب المبهم التي يَرِد بها في القرآن، ثمّ عَمِلَ جادًّا في الفصل الرّابع على إبراز آثار اشتغال العلماء بتعيين المبهمات وبيانها في كتب التّفسير، ليقف على آثار ستة، قد شرحها ومثّل لها من تفاسير عـــدّة، وهي:

1- الاختلاف في التفسير، أو: اختلافهم في تعيين المبهمات.
2- التوسع في الأخذ عن أهل الكتاب.
3- العناية الفائقة بأسباب النزول، ممّا له تعلّق بالمبهمات.
4- الاستطراد في ذكر ما لا فائدة فيه.
5- الوقوف على مناقب المبهمين أو مثالبهم.
6- الاشتغال بالترجيح بين أقوال المفسّرين.

ثمّ انتهى البحث إلى خاتمة رَصَدَ فيها مجموعة من النتائج، وأبدى فيها بعض الاقتراحات وأوصى بها، ممّا يُرجَى أن تكون مفاتيحَ أفكارٍ أخرى، ومنطلقاتِ مشاريع علميّة مستقبليّة.

وصلّى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

Summary

This memoir Entitled" Ambiguity in the Holly Quran, its Methods and Explanatory repercussions" Included in four Chapters which research's Subject revolve about it. The first one is an introduction to Ambiguity Science which I included in three sections, First one I assigned to talk about the Definition of Ambiguity Science and its importance, and the second about the types which the Ambiguity of the Holly Quran came, and the third the books about this science with it two independences types and the study books of science Quran.

And the second chapter I allocated it to talking about the raisons of Ambiguity and the ways to Access to it and it relationship with some Quran's sciences, which I make it in two considerable Sections, the first one is about the raisons of it existences and the ways to access to it, and the second about it relationship with some Quran's sciences and I choose three of them which are the science of revelation raisons and the Israelis science and the science of holly Quran stories.

The third chapter allocated it to talking about the Methods which that Quran's ambiguity came in, and I make it in four sections, the first one is about statement Method, the second about Metonymy method, the third about Exposure method and the fourth about the mentioning and deletion method.

The fourth chapter is the fruit of this study and it result and that through the showing of explanatory effect which it come from learning of Quran's ambiguity, and I make it in six sections. The first of them about difference in explanation, the second about the expansion in learning from people of the

book, and the third about caring on mentioning the raison of revelation of verses, the fourth about the exaggeration in mentioning which not important, the fifth about knowing the virtues and the disadvantages of Ambiguity scientists, and the sixth about Weighting between the exponents opinions.

And this memoir it also contained a Conclusion and Index of verses and Hadith "Conversations Prophetic" and rumored Scientists , and a list of Research's resources and references, and the Subjects of research.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية